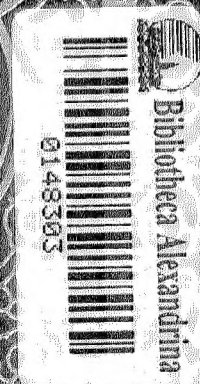


مَصَادِرُ
نَهْجِ الْبَلَاءِ
وَأَسَانِيدُهُ

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْغَابِرِ

مَجْمُوعَةُ الْكَاتِبِ

وَأَرَادَ الْأَصْحَابُ
بِرِوَايَتِهِ



مصادر
« نهج البلاغة »
وأسانيده

مَصَادِرُ
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
وَأُسَانِيدُهُ

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمَّادِيُّ الْخَطِيبُ

الجزء الثاني

دَارُ الْأَضْوَاءِ
بِئْرُوت - لُبْنَان

الطبعة الثالثة
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الأضواء

الغبيّره - شارع عبد الله الحاج - بناية الروضة
ص.ب. ٢٥/٤٠ - بريق، الغبيّره - حنكلو

كتاب وتاريخ

تفضل الاستاذ الكبير ، والكاتب
البليغ الدكتور باقر عبد الغني عميد
كلية اللغات في جامعة بغداد ، فأتحفنا
بهذا الكتاب ننشره في مطلع هذا الجزء
اعتزازاً به وله جزيل الشكر ، وجيل
الثناء .

بغداد : ١٩٦٨/١١/٥ .
سماحة العلامة الجليل السيد عبد الزهراء المحترم .
السلام عليك . وبعد :

كان أول عهدي بـ (نهج البلاغة) يوم كنت تلميذاً في الصف الأول
المتوسط كان بين يديّ أقرأه ولا أفقه منه شيئاً ، وشببت وشبّ شغفي به
دليل عقيدة لم ينحت الدهر منها ذرة - إن شاء الله - ورائد فكرة
تتكسر الافكار من كل مهب على حدها ، وريع هوى شيعي يحمي الخواطر ،
ويشرح الصدر . وينعش الوجدان .

فلئن أطلت الوقوف عند كتابك أيها السيد الجليل ، ذلك أنه شعب ندى
من شعاب (النهج) ورافد من روافده الثرة ، يملأ صدري بالرواء ، وعواطفي
بالصفاء ، ويشد ما لا يحل ولا يفل من عقد الولاء للامام بديع النهج .

كان أول ما وفقت اليه - زاد الله توفيقك - أن تصديت لبحث أصيل
جزيل النفع ، جليل الأثر فرسمت له خطة علمية تتجلى معالمها في تنسيق
الفصول والأبواب ، وتنضيد المادة ، ودقة الانسجام بين ما تنتهي منه ، وما
تمهد له ، بشكل يحقق وحدة الموضوع ، وتكامل أجزائه ، فكان أن تراصت
نتائج البحث ، وتلاصحت خلاصاته بما يضمن له الرجحان في موازين البحوث
الرصينة .

ثم سميت بك همتك - شد الله ازرك ، وأجزل أجرك - فوفرت مادته
الغزيرة من (مصادر) زكيتها بأمانة الباحث ، و (أسانيد) دعمتها بحجة
الناقد وأخبار وروايات نفضت عنها الشك بقوة المثبت ، ولا شك أن
المعنيين بحقل البحوث والدراسات سيقفون على ما بذلته من جهد وصبر وأنت
تجمع مادة الكتاب وسيعرف ذوو الاصابة منهم ما انتهت اليه من أصيل
الرأي ، وواضح الحجة ، وسليم الخلاصة . وسيقرّ لك أهل الانصاف والذمة
العلمية بعدالة الميزان ، وسلامة المقياس ، وبراعة العرض ، وألمعية الاستنتاج ،
ونزاهة الحكم ، وصراحة الفصل ، ودقة الأحكام .

ولن تكدر صفو اعجابي وتقدير ملاحظاتي ما هي من صميم الجانب العلمي
من الكتاب ولكنك قد تراها مفيدة من حيث العرض المادي له ، منها :

كنت اوثر أن تطبع نصوص (النهج) بحرف أوضح^(١) وأن تأخذ الصفحة
كلها الى أن تنتهي . ثم يفرد عنوان لرواتها ويرتبون بأرقام ، وأرى ان يُشار
الى المصدر مع تفصيلاته في الحاشية دون أن يتخلل ذكره الحديث ، وان
يلتزم بنهج واحد من هذا الباب فقد ذكرت المصادر وتفصيلاتها ثم اقتصرت

(١) ليس الدكتور الباقور بأول من آخذني بذلك فقد سبقه الى ذلك جماعة من العلماء
والادباء وقد تلافينا ذلك في هذه الطبعة .

على ذكرها مع الاحالة على الحاشية في وقت واحد وفي صفحة واحدة (ج ٢ / ٦٨) كما أمل أن لا يغفل ذكر أرقام الصفحات من المراجع كما وقع مثلاً ص ١٨٤ من (قسم الرسائل) عند الاشارة الى (العقد الفريد) وكما حصل في مواطن أخرى .

وما دام الكتاب ينصب في فكرته الاساسية على أسانيد (النهج) فلعل الأخ الكريم يشاركني الرأي في افراد فهرس خاص برجال السند .
وختاماً وددت لو أن حديثي كان كله تهنئة لك على الجهد الضخم ،
والحصيلة الرائعة فلا أملك ما أعبر به عن تقديري وتهنيتي غير دعاء حار الى
الله تعالى أن يزيد في توفيقك ، وأن يحجزيك عالماً ينفع الناس بعلمه ، ومعلماً
لا يمل درسه ، ولا يطوى له كتاب .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

افخلص

ياقر عبد الغني

وافانا بهذا التأريخ الشاعر الفاضل صاحب
القصائد الذهبية المنقوشة على الأبواب الذهبية
في مشهد الكاظمين عليها السلام والحرم
الزينبي في دمشق السيد علي رضا الهندي
ننشره على هذه الصفحة شاكرين لطفه .

| | |
|----------------------|-------------------|
| وقد سددت فراغه | في العلم كان فراغ |
| مصادرا وصياغه | بغير سفر جليل |
| (ونور نهج البلاغه) | نور الهدى فيه أرخ |

١٣٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَحْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ،
وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي
لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ ، وَالْدُّنْيَا دَارُ مُنَى
لَهَا الْفَنَاءُ^(١) وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ . وَهِيَ حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ ، وَقَدْ
عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّازِرِ^(٢) ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا .
بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الزَّادِ ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ
الْكَفَافِ^(٣) ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ .

(١) منيت : قدر لها ، والجلاء : الخروج من الاوطان .

(٢) التبت : اختلطت به محبة وعلقة .

(٣) الكفاف : ما يكف الانسان عن السؤال : والمراد به القوت .

قال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) : م ١ ص ٢٥١ : اعلم أن هذا الفصل يشتمل على فصلين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، أحدهما : حمد الله والثناء عليه إلى قوله : ولا تفقد له نعمة ، والفصل الثاني : من ذكر الدنيا إلى آخر الكلام ، وأحدهما غير مختلط بالآخر ، ولا منسوق عليه ، ولكن الرضي رحمه الله تعالى يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام التقاطاً ، ولا يقف مع الكلام المتوالي ، لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام ، ولو أتى بخطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذي جمعه .

والأمر كما ذكر ابن أبي الحديد ، فإن ما نقله الرضي من كلامه عليه السلام في هذا الموضع ملتقط من خطبة له عليه السلام خطبها في عيد الفطر ، وأولها : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . الأنعام : ١ » لا نشرك بالله شيئاً ولا نتخذ من دونه ولياً ، و(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الغفور الرحيم . سبأ : ١ و ٢) (كذلك الله لا إله الا هو اليه المصير . المؤمن : ٣) (والحمد لله الذي يمكس السماء أن تقع على الأرض الا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم . الحج : ٤) .

اللهم ارحمنا برحمتك ، واعمنا بمغفرتك إنك أنت العلي الكبير والحمد لله غير مقنوط من رحمته ... الخ .

وفي هذه الخطبة أيضاً ما رواه الرضي عليه الرحمة من كلامه عليه السلام في الخطبة التي مرت برقم (٢٨) باب الخطب والتي أول ما اختار الرضي منها قوله عليه السلام « إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ... » كما أشار إلى ذلك الشيخ ميثم بن علي البحراني في (شرح نهج البلاغة) ج ٢ ص ٤١ و ١١٧ . والخطبة هذه رواها بتمامها قبل الرضي الصدوق في كتاب (من لا يحضره

الفقيه (: ج ١ ص ٣٢٧ كما رواها بتمامها بعد الرضي شيخ الطائفة في (مصباح
المتبجد) : ص : ٤٥٨ بسند ذكره هناك عن أبي مخنف .

٤٦ - وَمِنْ كَلَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند عزمه على المسير الى الشام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ (١) ، وَكَآبَةِ
الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوْمِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . اللَّهُمَّ
أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، وَلَا
يَجْمَعُهَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ صَاحِبًا ، وَالْمُسْتَضْعَبَ
لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .

قال الرضي رحمه الله : وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله ﷺ
وقد قفاه امير المؤمنين بأبلغ كلام وتممه احسن تمام من قوله : « ولا
يجمعها غيرك » الى آخر الفصل .

★ ★ ★

تعليق الرضي هذا مثبت في نسخة ابن ابي الحديد ساقط من اكثر
نسخ (نهج البلاغة) .

(١) وعثاء السفر : مشقة اخذاً من الوعث وهو المكان السهل كثير الرمل الذي يتعب
فيه الماشي ويشق عليه ، والكآبة : الغم وسوء الحال ، والانكسار من الحزن .

وصدر هذا الكلام - كما يقول الرضي - مروى عن رسول الله ﷺ^(١) وقمعه أمير المؤمنين عليه السلام من قوله : « ولا يجمعهما غيرك » ... الخ .

وهذا الدعاء دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الركاب من منزله بالكوفة متوجهاً الى الشام لحرب معاوية وأصحابه رواه كل من أعثم الكوفي في (الفتوح) : ج ٢ ص ٤٦١ ، ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) وذكره غيره من رواة السير^(٢) .

قال نصر : لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين قال : باسم الله ، فلما جلس على ظهرها قال : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا المنقلبون) اللهم إني أعوذ بك .. الى آخر الفصل وزاد فيه نصر بعد قوله عليه السلام : وكأبة المنقلب (والخيرة بعد اليقين)^(٣) .

وفي كتاب : « دعائم الإسلام » للقاضي النعمان : ج ١ ص ٣٤٧ ، قال : وعن علي عليه السلام أنه كان اذا برز للسفر قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأن محمداً عبده ورسوله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا السلام ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، اللهم اني أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكأبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد ، اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمستعان على الأمر اطولنا البعيد ، وسهل لنا الحزونة ، واكفنا المهم ، إنك على كل شيء قدير .

(١) انظر : (تهذيب اللغة) للأزهري : ج ٣ ص : ١٥٣ مادة : « وعت » و (رياض الصالحين) للنووي : ص ١٩٧ الحديث ٩٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ١ ص ٢٧٧ .

(٣) صفين ١٣٢ .

٤٧ - قَوْلُ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي ذِكْرِ الْكَوْفَةِ

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّدِينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِي^(١) ، تُغَرِّكِينَ
بِالنَّوَازِلِ ، وَتُرْكِبِينَ بِالزَّلَازِلِ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ
جَبَّارُ سُوءٍ إِلَّا أَنْتَ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ .

هذا الكلام تصوير لما ينال الكوفة من العسف والخطب ، وقد وقع ما
ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ومن خصائص الكوفة التي ذكرها عليه السلام في هذا
المكان أن كل جبار من الجبابرة الذين يقصدونها بسوء لا بد أن يبتلى بشاغل ،
أو يرمى بقاتل .

ومن الجبابرة الذين ارادوا بها السوء زياد بن أبيه ، روى أنه كان جمعهم في
المسجد لسب علي عليه السلام ، والبراءة منه ، ويقتل من يعصيه في ذلك ، فبينما هم
مجتتمعون إذ خرج صاحبه فأمر بالانصراف ، وقال : ان الأمير مشغول عنكم ،
وقد كان قد رمى في تلك الساعة بالغالج^(٢) .

ومنها : الحجاج وقعت الكلة في جوفه فمات من ذلك^(٣) .

(١) العكاظي نسبة الى عكاظ - كفراب - وهو سوق تقيمه العرب في الصحراء بين نخلة
والطائف يجتمعون فيه ليتعاطوا أي يتفاجروا ، والاديسم العكاظي المستعكم الدبغ ،
وتعركين من عركتهم الحرب اذا مارسهم ، والنوازل : الشدائد ، والزلازل : المزعجات
من الخطوب .

(٢) مجمع البحرين مادة : جبر .

(٣) مروج الذهب : ٢ - ١٧٣ .

ومنهم : خالد بن عبد الله القسري ضرب حتى هلك من الضرب وصودرت أمواله وقتل ابنه يزيد وجراً بأرجلها في شوارع الكوفة ثم رمى بجيفتيهما الى الكلاب (١) .

وكان خالد منحرفاً عن امير المؤمنين عليه السلام يسبه على المنبر ويقول اللهم « كذا » من علي بن أبي طالب ابن عم محمد بن عبد الله وزوج ابنته فاطمة وأبو الحسن والحسين ثم يقول : هل كنت ؟ ودخل عليه جمعة بن هبيرة الخزومي وبين يديه نبق يأكل منه فقال له : إذا شمت علياً فلك بكل نبقة دينار ، وكان يقول : لخالد ابن امي أفضل من علي بن أبي طالب وخالد هذا رجل من رجاله ، وذكر المدائني : أنه أمر ابن شهاب أن يكتب له السيرة فقال له ابن شهاب : انه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب؟ قال : لا الا أن تراه في قعر جهنم ، ذكر ذلك أبو الفرج الاصفهاني وبهذا تعرف كيف تلاعب خالد وأضرابه من الولاة بالتاريخ الاسلامي .

ولا عجب أن يكون خالد كذلك فأنا أذكر لك ملخص ما ذكره ابو الفرج من أحواله : (أ) أصله من يهود تيماء . (ب) : كان جده يزيد بن أسد مع معاوية يوم صفين وكان يجيد تنميق الكذب حتى لقب بخطيب الشيطان ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه ثم نشأ خالد ففاق الجماعة . (ج) كان يتخنت في صغره وكبره ، ويعمل عمل قوم لوط . (د) انه دعى وابن زنا . (هـ) كان في بادىء أمره قواداً يجمع بين عمر بن ابي ربيعة وصويحباته . (و) كان زنديقاً ، يسمى بشر زمزم ام الجملان ويوم في كلامه أن الوليد بن عبد الملك أفضل من رسول الله وإبراهيم الخليل عليهما السلام ، ويقول : والله لو أمرني امير المؤمنين « الوليد » ان انقض الكعبة حجراً حجراً لنقضتها حتى أنقلها إلى الشام ، لأمير المؤمنين « الوليد » أكرم على الله

(١) انظر تاريخ الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ١٢٠ ، و الاغانى : ١٩ / ٦٣ .

من أنبيائه (ز) كان يولي المجوس والكفار على المسلمين ويهدم المآذن ويشيد البيع لأن امه كانت نصرانية، فاذا أذن المؤذن أمر بالنواقيس فضربت، ذلك غيض من فيض مناقبه ! التي ذكرها أبو الفرج في الاغانى ١٩ / ٦٣ . وهو لا يتهم في حق مثله .

أما من رمام الله من الجبارين بقاتل فهم كثير وأحوالهم مشهورة .

وقد روى هذا الكلام قبل الشريف الرضى - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحق بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه في كتاب (البلدان ص ١٦٣ قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام للكوفة : ويحك يا كوفة واحتك البصرة كأنى بكما تمدان مدّ الأديم ، تمركان عرك العكاظي الا أنى أعلم فيما أعلمني الله عز وجل أنه ما أراد بكما جبار سوءاً الا ابتلاه الله بشاغل .

ولا يضر هذا التفاوت اليسير بين رواية (البلدان) و (النهج) بعد إثبات أن هذا الكلام مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قبل ولادة الشريف الرضى رحمه الله تعالى .

ورواه - بعد الشريف الرضى - الزمخشري في الجزء الاول من « ربيع الأبرار » باب البلاد والديار .

٤٨ - وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند المسير الى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا
لَا حَ نَجْمٌ وَخَفَقَ ^(١) . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرُ مَفْقُودٍ إِلَّا نِعَامٌ وَلَا

(١) وقب : دخل ، غسق : اشتدت ظلمته . وخفق النجم : غاب .

مُكَافَا الْإِفْضَالِ .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمِي^(١) وَأَمْرِيهِمْ بِلُزُومِ هَذَا
الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي . وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ
النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوَطِّنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةَ^(٢) فَأَنْهَضَهُمْ
مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ^(٣) .
(أَقُولُ يَغْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمِلْطَاطِ هَاهُنَا السَّمْتُ الَّذِي أَمَرَهُمْ
بِلُزُومِهِ وَهُوَ شَاطِئُ الْفُرَاتِ . وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضًا لِشَاطِئِ
الْبَحْرِ ، وَأَصْلُهُ مَا أَسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَيَغْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءُ
الْفُرَاتِ وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَعَجِيبَهَا) .



هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة ،
ومتوجهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ذكرها جماعة من
أصحاب السير ، ذكر ذلك ابن أبي الحديد . في (شرح النهج) م ١ ص ٢٨٧ .
وانظر كتاب « صفين » لابن مزاحم ص ١٣١ و ص ١٣٢ .

(١) المقدمة : ما يتقدم الجيش للاستكشاف .

(٢) اكناف جمع كنف وهو الجانب

(٣) الأمداد جمع مدد، وهو ما يمد به الجيش لتقويته

٤٩ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ^(١) ، وَأَمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ، فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ ^(٢) ، سَبَقَ فِي الْعُلُوفِ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوفِ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ . فَلَا إِسْتِعْلَاؤُهُ بَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ ^(٣) عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ ^(٤) بِهِ وَالْجَاهِدُونَ لَهُ عُلوًّا كَبِيرًا .

(١) بطن الخفيات : علمها . يقال : بطنت الأمر : علمت باطنه ، وكنى بأعلام الظهور عن آياته الدالة على وجوده .

(٢) أي لا يمكن من لم يره بعينه أن ينكره لدلالة كل شيء عليه سبحانه . ولا سبيل لمن أثبت وجوده أن يحيط علماً به تعالى شأنه .

(٣) أعلام الوجود الدالة على إقرار الجاحد لا تخص منها لجوء الجاحد إليه سبحانه عند الشدة .

(٤) المشبهون الذين شبهوه تعالى بشيء من مخلوقاته .

نقل هذا الكلام شيخنا المجلسي رفع الله درجته في كتاب «الروضة» من (البحار) ج ٦٧ ص ٣٠٤ عن (نهج البلاغة) وعن كتاب «عيون الحكم والمواظ» لعلي بن محمد بن شاذان الواسطي المتوفى سنة (٤٥٧) بحرف واحد.

وذكر ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ١ ص ٢٩١ عند شرح قوله عليه السلام في هذا الكلام (فلا عين من لم يره تنكره .. الخ) قال: وقد روي هذا الكلام على وجه آخر، قالوا في الكلام: (فلا قلب من لم يره ينكره، ولا عين من أثبتته تبصره) وفي ذلك دلالة على أن هناك من روى هذا الكلام غير الشريف الرضي ولكن ابن أبي الحديد لم يذكره، وفي قوله: قالوا دليل على أن رواه جماعة فتأمل!

٥٠ - قَوْلُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّمَا بَدَأَ وَتَوَعَّاهُ الْفِتَنَ أَهْوَاءَهُ تَتَّبَعُ^(١) ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ ،
يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالُ رِجَالًا^(٢) عَلَى غَيْرِ
دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى
الْمُرْتَادِينَ ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ لَأَنْقَطَعَتْ
عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ^(٣) وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضَعْفٌ وَمِنْ

(١) المراد بالفتن هنا الآراء الباطلة والاحكام المبتدعة .

(٢) أي يتابع عليها رجال رجالا .

(٣) المرتادين : الطالبين . واللبس : الشبهة بالامر .

هَذَا ضَعُفٌ^(١) فَيُمَزَّجَانِ ، فَهَذَا لِكَ يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى
أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .

★ ★

رواه قبل الشريف الرضي :

أ - البرقي في (الحسن) : ١ / ٢٠٨ في كتاب (مصابيح الظلم) بسنده
عن الحسن بن علي بن فضال بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب أمير
المؤمنين عليه السلام الناس فقال : « إنما بدء وقوع الفتن » الخ .

ب - الكليني في (اصول الكافي) : في باب البدع والرأي والمقائيس عن
الحسين بن محمد الأشعري بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب أمير
المؤمنين عليه السلام فقال : « إنما بدء وقوع الفتن .. » الخ .

ورواه أيضاً في (روضة الكافي) : ص ٥٨ .

ج - ابن واضح في (التاريخ) : ٢ / ١٣٦ قال : وانصرف الإمام علي
عليه السلام إلى الكوفة - أي بعد التحكيم - فلما قدمها قام خطيباً ، فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ان أول وقوع الفتن » الخ . باختلاف بسيط
في بعض الالفاظ .

د - التوحيد في (البصائر والذخائر) ص ٣٢ قال : قال علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه : « إن الحق لو جاء محضاً لما اختلف فيه ذو حجا ، وإن
الباطل لو جاء محضاً لما اختلف فيه ذو حجا ولكن أخذ ضعف من هذا ،
وضعت من هذا » .

ولسنا بحاجة إلى تعداد من رواه بعد الرضي رحمه الله .

(١) الضعف : قبضة من الحشيش مختلطة فيها الاخضر واليابس .

٥١ - وَمَنْ خُطِبَ لِبُرِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما غلب أصحاب معاوية على شريعة
الفرات بصفتين ومنعواهم الماء

قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمْ الْقِتَالَ^(١) فَقَرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرٍ
نَحْلَةٍ ، أَوْزَوْا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ ، فَامْلُوتُ
فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ ، أَلَا وَإِنَّ
مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغَوَاةِ^(٢) ، وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ^(٣) حَتَّى
جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ .

قال نصر بن مزاحم : حدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر : خطب علي
عليه السلام يوم الماء فقال : « أما بعد ، فإنَّ القوم قد بدؤكم بالظلم ، وفاتحواكم
بالبغي ، واستقبلوكم بالعدوان واستطعموكم القتال حين منعوكم الماء فأقروا على
مذلة ، وتأخير مهلة ... » الفصل الى آخره^(٤) .

(١) استطعموكم القتال كلمة مجازية معناها طلبوا القتال منكم ، كأنه جعل القتال
شيء يستطعم .

(٢) اللمة - بضم اللام - وإذا كانت الميم مخففة فالمراد جماعة قليلة ، وإذا كانت مشددة
فالقصد الاصحاب بالسفر .

(٣) عمس الخبر - بالتخفيف والتشديد - ابهمه وهو عارف والاغراض جمع غرض وهو
الهدف ، والقرار : الثبات ، والهلة : المنزلة .

(٤) انظر : « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : ١٢ ص ٣٢٩ .

٥٢ - فَوْنُ خُطْبَةِ لُبِّ عَلَيْنَا السَّيِّدِ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمتْ وَآذَنْتْ بِوَدَاعٍ ، وَتَنَكَّرَتْ
مَعْرُوفَهَا ، وَأَذْبَرَتْ حَدَاءَ^(١) . فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا^(٢) .
وَتَحْدُرُ بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا .
وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا^(٣) . فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ
الْإِدَاوَةِ . أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدَيَانُ لَمْ
يَنْقَعْ^(٤) . فَارْزَمُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ^(٥) عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ، الْمَقْدُورِ
عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ . وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ

(١) تصرمت : انقطعت وآذنت : أي أعلمت بذلك ، وتنكر معروفها : جهل منها ما كان
معروفًا . حداء - بالحاء المهملة - : مسرعة ، وتروي بالجيم أي منقطعة .

(٢) تحفزهم : تدفعهم وتسوقهم . وتحدرهم بالموت - بالراء - أي تحوّلهم به ، وتروي
« تحدر » - بالواو - أي تسوقهم بالموت إلى الهلاك مؤكدة لها .

(٣) أمر الشيء : صار مرأً ، وكدر : تعكر .

(٤) السملة - معرّكة - بقية الماء في الحوض . والادواة : المطهرة . والمقلة - بفتح الميم
والسكون - : حصاة يضعها المسافرون في أناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها فيتناول كل واحد
مقدار ما غمرها ، يفعلون ذلك إذا أرادوا قسمة الماء عند قلته . والتمزّز : الامتصاص قليلاً
قليلاً . والصدّيان : الصادي ، ولم ينقع : لم يرو .

(٥) ازمعوا الرّحيل : أي عزموا وأجمعوا عليه .

عَلَيْكُمْ أَلَا مَدُّ فَوَ اللَّهِ لَوْ حَسَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلْدِ الْعِجَالِ^(١) . وَدَعَوْتُمْ
بِهَدِيلِ الْحَمَامِ^(٢) وَجَارْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ الرُّهْبَانِ^(٣) . وَخَرَجْتُمْ
إِلَى اللَّهِ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ التِّمَاسِ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ
دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رَسُولُهُ^(٤)
لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ،
وَاللَّهُ لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاءًا^(٥) وَسَأَلْتُ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ
إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ^(٦)
مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ — وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ — أَنْعَمَهُ
عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

هذا مختار خطبة خطب بها عليه السلام في أحد أعياد الأضحى ، وأولها
«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد، الحمد لله على ما هدانا»
وهي خطبة نقلها الصدوق في «الفضيلة» : ج ١ ص ٣٢٩ ، كما نقلها الشيخ
الطوسي في (المصباح) ص ٤٦١ قال : روى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن

(١) الولد : جمع وال . زواجة : كل أم فقدت ولدها والمجال : النياق التي فقدت فصائلها .

(٢) هديل الحمامة : صوتها عند فقدان إلفها .

(٣) الجؤار : الصوت المرتفع والمراد به التضرع . والمتبتل : المنقطع للعبادة .

(٤) الرسل - هنا - الحفظة أي الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد .

(٥) أنمأت : ذابت .

(٦) أي مدة بقائها .

جندب عن أبيه : أن علياً عليه السلام خطب يوم الأضحى ، وذكر الخطبة فيها ما اختار السيد الشريف في (نهج البلاغة) ، كما ذكر طرفاً منها أبو نعيم في « الحليمة » ج ١ ص ٧٧ بسنده عن بكر بن خليفة ، وأملى الشيخ المفيد طرفاً منها في المجلس العشرين من أماليه ص ٨٧ باسناده المتصل بمجاهد فتأمل .

٥٣ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّعْلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية .

وَمِنْ كَمَالِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتَشْرَافُ أُذُنِهَا ^(١) وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا .
فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ
عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمُنْسَكِ ^(٢) .

(١) استشراف اذنها : طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع ، او نقصان الخلقة كالصحاء « وهي معدومة الاذن خلقة » بناء على رأي بعض الفقهاء بلزوم استيفاء الاضحية لشروط الهدى ، وقيل : المراد بالاستشراف التأمل والتفقد ففي الحديث عن علي عليه السلام : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأضاحي باستشراف العين والاذن ... » الحديث ، وفسر ذلك في القاموس بالتفقد والتأمل لئلا يكون فيهما نقص وعمل هذا تصح رواية « الفقيه » (استشراف اذنها وعينها) ، وفسر ابن أبي الحديد الاستشراف بمعنى آخر قال : استشراف اذنها ارتفاعها وانتصابها واذن شرفاء اي منتصبه وليس في هذا التفسير ما يوافق صفات الاضحية في أقوال الفقهاء .

(٢) عضباء القرون : مكسورته ، وتجرجر رجلاها أي عرجاء .

قال الرضي رحمه الله : والمنسك هنا : المذبح .

هذا الكلام تابع للخطبة السابقة ، ولذا ليس في النسخة التي عليها شرح ابن أبي الحديد - وهي أصح النسخ - كلمة « ومن كسلا له عليه السلام » بل كان الفاصل بينها كلمة (ومنها : في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية) وورودها تحت عنوان خاص في سائر النسخ فالماظنون بل المقطوع به أنه من سهو النساخ تعرف ذلك بمراجعة (من لا يحضره الفقيه) : ج ١ ص ٤٦١ ، و (مصباح المتهجد) : ص ٤٢٩ ، فإن الصدوق وشيخ الطائفة عطر الله مرقديها رويها هذا الكلام في الخطبة السالفة - كما قدمنا - وفي المصدرين : « ومن تمام الاضحية استشراف اذنها ، وسلامة عينها ، وإذا سلمت العين والاذن تمت الاضحية ، وإن كانت عضباء القرن ، أو تجر برجلها إلى المنسك [فلا تجزي] وإذا ضحيتم فكلوا واطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام » الخطبة .

وفي (الفقيه) استشراف عينها واذنها ، وكلمة « فلا تجزي » ليست في (المصباح) .

٥٤ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر البيعة

فَتَدَاكُّوْا عَلَيَّ تَدَاكُّ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وِرْدِهَا ^(١) قَدْ
أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا وَخَلَعَتْ مَثَانِيهَا ^(٢) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ

(١) تداكوا . ازدحوا ، والهييم : العطاش ، والورد : شرب الماء .

(٢) المثنى : جمع مثناة - بكسر الميم وفتحها - وهو الحبل يشنى ويعمل به البعير .

بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ . وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ
فَمَا وَجَدْتُني يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ
مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ .

تقدم منا الكلام على مصادر هذه الخطبة عند القول في مصادر الخطبة
رقم (٢٦) . ونضيف إلى ذلك أن صاحب « العقد الفريد » روى طرفاً منها
في الجزء الرابع وابن الأثير فسر غريبها في (النهاية) : ج ٢ ص ١٢٨ مادة
دكك وما في هذه الخطبة هو الأمر الواقع حتى أخذ أبو مخنف قوله عليه السلام
« فتداكوا على تذاك الابل الهم يوم وردها » فقال عند صفته لبيعة الناس
أمير المؤمنين عليه السلام : إن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد رسول الله
ﷺ لينظروا من يولونه أمرهم حتى غصّ المسجد بأهله ، فاتفق رأي عمار ،
وأبي الهيثم بن التيهان ، ورفاعة بن رافع ، ومالك بن عجلان ، وأبي أيوب
خالد بن يزيد على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان أشدهم تهالكاً عليه عمار ،
فقال لهم : أيها الأنصار قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه ، وأنتم على
شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم ، وإن علياً أولى الناس بهذا
الأمر لفضله وسابقته .

فقالوا : رضينا به حينئذ ، وقالوا باجمعهم لبيعة الناس من الأنصار
والمهاجرين : أيها الناس إنا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله ، وإن علياً
من علمتم وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه ، ولا أولى به .
فقال الناس باجمعهم قد رضينا ، وهو عندنا على ما ذكرتم وأفضل .

وقاموا كلهم وأتوا علياً عليه السلام فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها^(١) ، فتداكوا عليه تذاك الابل الهيم على وردها حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً فلما رأى منهم ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس - إلى أن قال - فنهض الناس معه حتى دخل المسجد فكان أول من بايعه طلحة فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي : تخوفت أن لا يتم له أمره لأن أول يد بايعته سلاء ، ثم بايعه الزبير وبايعه المسامون بالمدينة لإمام محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحسان ابن ثابت وعبد الله بن سلام . الخ .

نقل ذلك ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) ١م ص ٣٤٠ من كتاب « الجمل » لأبي مخنف .

٥٥ - قَوْلُ كَلَامِ الرُّعَيْنِ السَّيِّئِ الْإِسْلَامِ

وقد استبطا أصحابه أذنه لهم في القتال بصفتين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلْتُ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ أَلْمُوتِ فَوَإِلَّهِ مَا أَبَالِي
أَدْخَلْتُ إِلَى أَلْمُوتِ أَوْ خَرَجَ أَلْمُوتُ إِلَيَّ ، وَأَمَّا قَوْلُكُمْ :
شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَإِلَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا

(١) وهذه العبارة أيضاً مأخوذة من كلامه عليه السلام « ربسطم يدي فكففتها » انظر « نهج البلاغة » : ٢٤٩/٢ .

أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بِي وَتَعُشُوا إِلَى ضَوْئِي^(١) ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى صَلَاحِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا .



قال ابن أبي الحديد : لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمسامحة رجاء أن يعطفوا إليه ، واستأثرت لقلوبهم ، وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم ، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من عند معاوية أحد ، واستبطأ أهل العراق أذنه لهم في القتال ، وقالوا : يا أمير المؤمنين خلفنا ذراريها ونساءنا بالكوفة ، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً ؟ ! إذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا . قال لهم عليه السلام : ما قالوا ؟ فقال منهم من قال : إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت ، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام . فقال عليه السلام : ومتى كنت كارهاً للحرب قط ؟ ! إن من العجب حبي لها غلاماً ويافعاً وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر ، وقرب الوقت ، وأما شكي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة ، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله ، ولكنني استأنيت بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة ، فان رسول الله ﷺ قال لي يوم خيبر : (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس)^(٢) .

فأنت ترى أن الحديدي ذكر السبب في قول أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الكلام ، كما ذكر الكلام الذي رواه الرضي بصورة لا تختلف عنه معنى وإن اختلفت معه في بعض اللفاظ. ثم أن ورود ما هو بهذا المعنى عنه شيء عليه السلام كثير .

(١) عشا إلى النار يعشو : استدل عليها ببصر ضعيف .

(٢) الشرح ٢٢ ص ٣٤٧ .

٥٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا
وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا . مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا
وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ^(١) وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ
الْعَدُوِّ ؛ وَلَقَدْ كَانَ أَجَلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوِلَانِ
تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا^(٢) أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ
كَأْسَ الْمُنُونِ ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ،
فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ^(٣) وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا
النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ ، وَمُتَبَوِّثًا أَوْطَانَهُ^(٤)
وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ ، وَلَا أَخْضَرَّ
لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِينَهَا دِمًّا^(٥) ، وَلَتَتْبِعُنَهَا نَدْمًا .

(١) اللقم : الجادة الواضحة . والمضض : لدغ الألم وبرحاؤه .

(٢) التصاول : أن يحمل كل واحد من القرنين على صاحبه ، والتخالس : التسالب والانتهاج .

(٣) الكبت : الازدلال .

(٤) الجوران : مقدم عنق البعير ، وتبوات المنزل : نزله .

(٥) يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دممًا ، وأصله الناقة يفرط في حلبها فيحلب
الحالب دممًا ،

هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصة ابن الحضرمي لما قدم البصرة من قبل معاوية ومعه كتاب منه إليهم - وذلك بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر - يدعوم إلى نبد طاعة علي عليه السلام ونكت بيعته ، ويسألهم معاونته على الطلب بدم عثمان . فلما قرأ عليهم الكتاب قال معظمهم : سمعنا وأطعنا ، واستولى على البصرة وجبى خراجها .

وكان أمير البصرة يومئذ زياد بن أبيه قد استخلفه عبدالله بن العباس وقدم على علي عليه السلام إلى الكوفة يعزیه عن محمد بن أبي بكر رحمه الله . فرحل زياد من قصر الامارة واستجار بالازد ومعه بيت المال ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، فرفع ابن عباس كتابه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فخطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بخطبة منها ما اختاره الرضي هنا ، ثم أرسل جارية ابن قدامة السعدي إلى البصرة في جماعة ، فلما وصلها انضم إليه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هناك ، فناهض جمع ابن الحضرمي واضطره إلى دار من دور البصرة في عدد من أصحابه ، فحرق جارية الدار عليهم فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً من أصحابه ، وثاب الناس بعد إلى طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وسمي جارية محرقاً من يومئذ في قصة مشهورة نقلها ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ١ ص ٣٤٨ - ٣٥٥ مفصلاً عن الواقدي وإبراهيم ابن هلال الثقفى . وكلاهما متقدمان على الرضي كما لا يخفى .

وروى نصر بن مزاحم بسنده عن الشعبي أن علياً قال يوم صفين وقد أقرّ الناس بالصلح : « إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق » إلى أن قال عليه السلام : « ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا »^(١) . إلى آخر ما اختاره الرضي . فيظهر من هذا أن أمير المؤمنين عليه السلام قال هذا الكلام في غير موطن .

(١) صفين : ص ٢٠ .

ورواه الزخشري في الجزء الرابع من (ربيع الابرار) في باب القتل
والشهادة ..

وعلى كل حال فإنّ هذا الكلام معروف النسبة اليه عليه السلام، ومرويّ في
كتب العلماء قبل الرضي وبعده .

٥٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأصحابه

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ -
مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ
وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَيِّئِ وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي ، فَأَمَّا
السَّبُّ فَسُبُّوْنِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ ، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا
تَتَبَرَّأُوا مِنِّي فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ -
وَالْهَجْرَةِ .

في هذا الكلام إخبار منه عليه السلام بما يكون قبل كونه ، بإعلام من الله وتعليم
من رسول الله ﷺ والرجل الموصوف بهذا الكلام هو معاوية بن أبي سفيان
- كما يذهب الى ذلك أكثر شارحي (نهج البلاغة) ومفسروا هذا الكلام في سائر
كتب الأخبار ، لأنه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل ، وكان بطيئاً يقعد
بطنه اذا جلس على فخذه ، وهذا ما دعاه لأن يخطب جالساً .

وقد سبق رسول الله علياً صلوات الله عليها يحل ما قاله في هذا الكلام فقد روى الثقفى في (الغارات) بسنده عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سيظهر على الناس رجل من امتي عظيم السرم ، واسع البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، يحمل وزر الثقلين ، يطلب الإمارة يوماً فإذا أدركتموه فابقروا بطنه ، قال : وكان في يد رسول الله ﷺ قضيب وقد وضع طرفه في بطن معاوية (١) .

ونقل أبو عثمان الجاحظ في كتاب (السفيانية) عن جلام بن جندب الغفاري : أن أبا ذر قال لمعاوية في جملة كلام دار بينها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ولي الامة الأعين الواسع البلعوم ، الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الامة حذرهما منه » (٢) .

وأما قوله عليه السلام : فاقتلوه ولن تقتلوه ، فإنه نظير قوله تعالى : (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) (٣) وهو من دلائل إمامته صلوات الله عليه إذ تضمن الأخبار عن الحال في المستقبل بأنهم لا يقتلونه ، ولن تفيد النفي المؤبد ، وذلك ما وقع ، فإن معاوية لم يقتل بل مات على فراشه ، وأما أمره بقتله فإنه عليه السلام أمر بذلك عملاً بقول رسول الله ﷺ .

كما أخرج نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) وابن عدي ، والعقيلي والخطيب ، والمنائوي من طريق أبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود مرفوعاً : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » وفي لفظ : « يخطب على منبري فاقتلوه » ، وفي لفظ : « يخطب على منبري فاضربوا عنقه » ، وفي لفظ أبي سعيد : فلم نفعل ولم نفلح وقال الحسن (البصري) فما فعلوه ولا أفلحوا .

(١) شرح ابن أبي الحديد : م ١ ص ٣٧٣ .

(٢) الفدير : ٨ - ٣٠٤ .

(٣) البقرة : ٢٤ .

راجع : كتاب (صفين) ٢٤٣ ، ٢٤٨ ط مصر ، (تاريخ الطبري) :
١١ - ٣٣٧ . تاريخ الخطيب ١٢ - ١٨١ (شرح ابن أبي الحديد) م : ١ -
٣٤٨ ، (كنوز الدقائق للمناوي) ص ١٩ ، (اللآلئ المصنوعة) ١ - ٤٢٤
و ٤٢٥ (تهذيب التهذيب) : ٢ - ٤٢٨ (١) .

ثم حرفت هذه الكلمة النبوية عن موضعها فأبدلت التاء المثناة من فوق
بالباء الموحدة من تحت ، وأضافت إليها الأيدي ! الأمانة على ودائع العلم ما
شاء لها الهوى حتى صارت كذا : « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري
فاقبلوه فإنه أمين مأمون » وجاء من لم يدر بهذا التحريف فعلق على الحديث
النبوي الشريف بقوله : إن معاوية هذا غير معاوية بن أبي سفيان ، بل هو
معاوية بن تابوت رأس المنافقين ، وكان حلف ان يتبول ويتغوط على منبره (٢) .

ولشيخنا الاميني رحمه الله تعالى تعليق لطيف على اسطورة معاوية بن
تابوت ، قال : هل عندك خبر بتاريخ معاوية بن تابوت ؟ وأنه أي ابن بي
هو ؟ ومتى ولدته ام الدنيا ؟ وأنى ولد ؟ وأين ولد ؟ ومن رآه ، ومن سمع
منه ؟ ومن الذي أوحى خبره الى أبي بكر بن أبي داود « راوي الحديث »
وهل هو أبر يمينه أو حنثها ؟ وهل رآه أصحاب النبي ﷺ على منبره فقتلوه؟
أو لم ير حتى اليوم ؟ ولم ير قط الى آخر الابد .

فأما هذا الكلام : فانه مستفيض عن أمير المؤمنين عليه السلام قبل الشريف
رحمه الله ولكن اختلفوا في حديث البراءة فمنهم من روى أنه عليه السلام قال :
(فلا تتبرأوا مني) ومنهم من قال : انه لم يقل . فروى ابراهيم بن هلال
الثقفي في كتاب (الغارات) بسنده عن محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : خطب
علي عليه السلام على منبر الكوفة فقال . سيعرض عليكم سي ، وستذبحون عليه ،

(١) الفدير : ١٠ ص ١٤٦ .

(٢) انظر الفدير ١٠ ص ١٤٢ و « النصائح السكافية » ص ٣٦ .

فإن عرض عليكم سي فسبوني ، وإن عرض عليكم البراءة مني فإني على دين محمد ﷺ ، ولم يقل فلا تتبرؤا مني .

وروى أيضاً بسنده عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : والله لتذبحن علي سي - وأشار بيده الى حلقه - ثم قال : «فإن أمروكم بسبي فسبوني وإن أمروكم أن تبرأوا مني فإني على دين محمد ﷺ» ، ولم ينههم عن إظهار البراءة (١) .

وروى مثل ذلك الكليني في (الكافي) والعياشي في تفسير قوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٢) . كما روى ذلك الحيري في (قرب الاسناد) .

وفي (أنساب الاشراف) للبلاذري ص ١١٩ طمؤسسة الاعلمي بيروت في ترجمة علي عليه السلام بسنده عن شهاب مولى علي عليه السلام « وانكم مستعرضون علي سي والبراءة مني فسبوني ولا تتبرؤا مني » .

وفي رواية الحاكم في (المستدرک) : ٣٨٥/٢ (إنكم ستعرضون علي سبي فسبوني فإن عرضت عليكم البراءة فلا تبرأوا مني فإني على الإسلام) .

وروى شيخ الطائفة في موضعين من أماليه (الأول ص ٢١٤) و (الثاني) ص ٣٧٤ بسندين ذكرهما هناك .

وللاختلاف في الرواية اختلفت أحكام الفقهاء من الامامية في هذه المسألة.

قال شيخنا المجلسي عطر الله مرقده : «الأخبار في البراءة من طرق الخاصة والعامة مختلفة والأظهر في الجمع بينها ان يقال : يجوز التكلم بها عند الضرورة الشديدة ، وجواز الامتناع عنه وتحمل ما يترتب عليه ، وأما أيتها

(١) شرح النهج العديدي : ١٢ - ٣٧٢ .

(٢) النحل : ١٠٦ .

أولى ففيه إشكال ، بل لا يبعد القول بذلك في السب أيضاً ، وذهب إلى ما ذكرناه في القول بالبراءة جماعة من علمائنا .

قال : وأما نسبة ابن أبي الحديد إليهم جميعاً من تحريم القول بالبراءة فلعلّه اشتبه عليه ما ذكره من تحريم الحلف بالبراءة اختياراً فإنهم قطعوا بتحريم ذلك وإن كان صادقاً ولا تعلق له بأحكام المضطر .

قال : وقال الشهيد الثاني في (القواعد والفوائد)^(١) التقية تبيح كل شيء حتى إظهار الكفر ، ولو تركها حينئذ أثم إلا في هذا المقام (أي في قتل مسلم كما أشار إليه قبل هذا) ومقام التبري من أهل البيت عليهم السلام فإنه لا يؤثم في تركها . قال : وخصوصاً إذا كان ممن يقتدى به^(٢) .

وعلق بعض الفضلاء على قول المجلسي بما يأتي :

« لا يخفى إنه لا يستفاد من الرواية جواز التبري مطلقاً عند التقية فإن التبري أعم من القلب واللسان ، والتبري بالقلب لا يجوز ، بل لا يجزئ الإنسان بالأمر القلبي أصلاً ، أما التبري باللسان دون القلب فعند التقية يجوز وبما ذكرنا يجمع بين الروايات الناظرة إلى جواز السب والتبري وعدم جوازهما »

وفي « نهاية ابن الأثير » : ١ / ١١٢ و « لسان العرب » : ١٤ / ٣٢٢ و « تاج العروس » : ٨ / ٢٠٦ : ذكروا في حديث علي عليه السلام (لا يذهب أمر هذه الأمة إلا على رجل واسع السرم ، ضخم البلعوم) .

وبما مرّ تعرف استتار هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قبل الرضي وبعده ، والاختلاف في اللفظ لا يضر بعد الاتفاق على المعنى ، فإن أمراً ذا

(١) راجع « القواعد والفوائد » ص ٢٦٣ وسفينة البحار مادة : وقى .

(٢) البحار : ج ٣٩ ص ٣٢٩ .

بال مثل هذا الأمر يستحيل أن لا يخبر علي عليه السلام به الامة في مواطن اخرى لتأخذ حذرهما ، وتعرف موقفها منه ، فعلى ما قدمنا يكون إنه عليه السلام قال مراراً ولذا اختلفت الالفاظ واتفق المعنى ، وإني لأعتقد أن الاختلاف الشديد فيما روي من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلماته — كما أشار إليه الرضي في مقدمة النهج — راجع إلى هذا ، فإن المصلحة العامة قد تقتضي أن يكرر أمير المؤمنين عليه السلام بعض المعاني والألفاظ في عدة مواطن فتجيء بصور مختلفة .

٥٨ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ^(١) ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبِرٌ ، أَبَعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ! فَأَوْبُوا شَرَّ مَا بِ وَأَرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَإِثْرَةً^(٢) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً .

قال الرضي رحمه الله تعالى : (قوله عليه السلام « ولا بقي منكم آبر » يروي بالباء والراء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل أى يصلحه . ويروي « آثر » وهو الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه ، وهو أصح الوجوه عندي .

(١) الحاصب : الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي صفار الحصى .

(٢) الاثره - هنا - الاستبداد بالفيء والغنائم .

كأنه عليه السلام قال : (لا بقي منكم مخبر) . ويروى « آبر » بالزاي المعجمة وهو الواثب . والهاالك أيضاً يقال له آبر) .

في عرض الرضي رحمه الله تعالى لاختلاف الوجوه في رواية « آبر » دليل على أن هذا الكلام مشهور بين الرواة . هذا وقد رواه قبل الرضي الطبري في (التاريخ) : ج ٦ ص ٤٨ في حوادث سنة (٣٧) من أوله الى « وما أنا من المهتدين » في جملة كلام له عليه السلام كلم به الخوارج لما زعموا أنه أخطأ في قبول التحكيم ، فشرطوا في العودة الى طاعته أن يعترف بأنه كفر ثم آمن .

وفي رواية الطبري (وابر) بالوار بعد ألف ثم باء بعدها راء قال في (القاموس) يقال : ما به وابر أي أحد .

ورواه أيضاً ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٢٤ من قوله « أبعد إيماني بالله » إلى « وما أنا من المهتدين » .

وكذلك سبط ابن الجوزي في (تذكرة خواص الامة) : ج ص ١٠٠ .
أما قوله عليه السلام : « ستلقون بعدي ذلاً شاملاً » إلى آخر الفصل فرواه قبل الرضي الطبري في (المسترشد) ص ١٦٢ .

وفسر ابن الأثير في (النهاية) كلمة « آبر » بجميع وجوه رواياتها في مواضعها من كتابه .

وقال ابن أبي الحديد في (الشرح) م ١ ص ٣٨٠ : وهذه المخاطبة لهم ، وهذا الدعاء عليهم ، وهذا الاخبار عن مستقبل حالهم وقد وقع ذلك ، فإن الله تعالى سلط على الخوارج بعده الذل الشامل ، والسيف القاطع ، والإثرة من السلطان ، وما زالت حالهم تضمحل حتى أفنهم الله وأفنى جمهورهم ، ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبنيه الحنف القاضي والموت الزؤام .

٥٩ - وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له : انهم قد عبروا جسر
النهروات .

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّطْفَةِ . وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ^(١)
وَلَا يَنْلِكَ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ .

قال الشريف : « يعني بالنطفة ماء النهر ، وهو أفصح كناية عن الماء
وإن كان كثير أجماً ، وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه ^(٢) .
ولما قتل الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين : هلك القوم بأجمعهم .

قال عليه السلام :

كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُطِفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ .
كَلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَابِينَ .

روى هذا الكلام أبو العباس المبرد في (الكامل) : ج ٢ ص ١٢٠ قال :

(١) قال الشيخ محمد عبده : ما نجى منهم الا تسعة تفرقوا في البلاد ، وما قتل من أصحاب
أمير المؤمنين الا ثمانية .

(٢) يعني في الخطبة (٤٨) .

(٣) قرات النساء : يعني الارحام ، ونجم : ظهر وطلع .

وقد قال علي ، وقيل له : إنهم يريدون الجسر ، فقال : لن يبلغوا النطفة ، وجعل الناس يقولون له في ذلك حق كادوا يشكون ، ثم قالوا : قد رجعوا يا أمير المؤمنين ، فقال : « والله ما كذبت ولا كُذبت » ثم خرج اليهم في أصحابه ، وقد قال لهم : « ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة » فقتل من أصحابه تسعة وفلت منهم ثمانية .

وقال البيهقي في (الحاسن والمساوي) : ص ٣٨٥ في باب محاسن الصدق : ومنهم - أي ومن المعروفين بالصدق - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه ، قال لأصحابه يوم النهروان : « شدوا عليهم ، فوالله لا يقتلون منكم عشرة ولا ينجو منهم عشرة » فشدوا عليهم ، فوالله ما قتل من أصحابه تمام عشرة ولا نجا منهم عشرة ، ثم قال : « اطلبوا ذا الشدية ، فطلبوه فقالوا : لم نجده ، فقال : « والله ما كذبت ولا كُذبت » ، والله لقد أخبرني رسول الله ﷺ : إنه يقتل مع شرّ جيل ، يقتلهم خير جيل .

ثم دعا ببغلة رسول الله ﷺ فسار حتى وقف على قليب فيه قتلى فقال : « اقلبوا القتلى واطلبوه بينهم » فإذا هو سابع سبعة ، فلما أخرجه قال : « الله أكبر لولا أن تتكلموا فتركوا العمل لأخبرتكم بما جعل الله عز وجل لمن قتلهم على لسان نبيّه ﷺ » .

وفي «مروج الذهب» للمسعودي : ج ٢ / ٤١٦ : وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - أنّ القوم قد عبروا نهر طاراستان وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طاراستان ، بين حلوان وبغداد من جادة خراسان^(١) ، فقال علي : والله ما عبروا ولا يقطعونه ، حتى نقتلهم بالرّميّة دونه ، ثم تواترت عليه الأخبار بقطع هذا النهر ، وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ، ويحلف

(١) هذا من أعمال بعقوبة ولا يزال هناك نهر يعرف بهذا الاسم ويسمونه خريسان

أنهم لم يعبروه ، وأن مصارعهم دونه ، ثم قال : « سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم عشرة ؛ ولا يقتل منكم عشرة » فسار علي فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب ما قاله لأصحابه ، فلما أشرف عليهم قال : الله أكبر صدق رسول الله ﷺ ، ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه .. الخ .

واني لأستحسن جداً تعليق ابن أبي الحديد على هذا الكلام حيث قال : « هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ، ونقل الناس كافة له ، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب ، والأخبار على قسمين أحدهما الأخبار المجملة والأعجاز فيها نحو أن يقول الرجل لأصحابه : إنكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً ، فان نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه ، وسماها معجزة ، وان لم ينصر قال لهم : تغيرت نياتكم ، وشككتكم في قولي فمنعكم الله نصره ، ونحو ذلك من القول ، ولأنه قد جرت العادة أن الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر ، ويمنعونهم الدول ، فلا يدل وقوع ما يقع من ذلك على أخبار عن غيب يتضمن إعجازاً . والقسم الثاني في الأخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فانه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعين في أصحابه ، وفي الخوارج ، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان . وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله ﷺ وعرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه ، والقوى البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا ، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره بمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر ، غلا فيه من غلا حتى نسب الى أن الجوهر الإلهي حل في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام ، وقد أخبره النبي ﷺ بذلك فقال : « يهلك فيك رجلان محب غالي ، ومبغض قالي » وقال له تارة أخرى : « والذي نفسي بيده لولا أني أشفق أن يقول طوائف من امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً

لا تَمْرُ بِلَا من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك « (١) .

روي أن شاباً من أصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم به من أمرهم وسار إلى النهر لبيان صدق حكمه : والله لا كونن قريباً منه فان كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان رحي بين عينيه ، أيدعي علم الغيب ؟ فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بذلك وطلب منه أن يغفر له ، فقال عليه السلام : « ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفروه » .

وقال عليه السلام

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ
كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ .

قال الرضي رحمه الله : « يعني معاوية وأصحابه » .

لم نجعل لهذا الفصل رقماً لأن أغلب طبعات (النهج) جعلته وما قبله تحت رقم واحد لأنها في معنى واحد وإن اختلف المقامان فأردنا أن لا تختلف أرقام كتابنا هذا .

وقد عثرت على روايتين عنه عليه السلام تفسران هذا الكلام :

(الأولى) رواها الصدوق في (علل الشرائع) : ص ٢٠١ ، والشيخ في (التهذيب) : ج ٢ ص ٤٨ عن جعفر الصادق عن أبيه عليها السلام ، قال :

(١) شرح نهج البلاغة : م ١ ص ٤٢٥ .

ذكرت الحرورية ^(١) عند علي عليه السلام فقال : إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلهم ، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلهم فإن لهم في ذلك عقلا .

(الثانية) عن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام ، قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النهروان قال : « لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه » .

وهذا إخبار منه عليه السلام على أن أئمة الجور الذي حاربوا الخوارج بعد أمير المؤمنين عليه السلام أكثر باطلا من الخوارج وليس بنهي منه عن قتالهم .

وتروى بوجه آخر « لا يقاتلهم بعدي إلا من هو أولى بالحق منهم » ^(٢) .

ولما طلب معاوية من الحسن بن علي عليها السلام أن يخرج لمহারبة الخوارج امتنع ، فقال معاوية : أوليسوا هم أعداءك وأعدائي ؟ قال عليه السلام : « نعم يا معاوية ولكن ليس من طلب الحق .. » الخ ^(٣) .

والظاهر أنه أخذها من كلام أبيه سلام الله عليها .

(١) الحرورية : الخوارج نسبة الى موضع يقال له حروراء كانت فيه الواقعة .

(٢) التهذيب ، م ٢ ص ٤٨ .

(٣) علل الشرائع « الباب ١٥٧ » عن كتاب (الفاروق بين الأباطيل والحقوق) ل محمد بن بحر الشيباني .

٦٠ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما خوف من الغيلة ^(١)

وَإِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً ^(٢) ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي
أَنْفَرَجْتُ عَنِّْي وَأَسْلَمْتَنِي فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ ، وَلَا يَبْرَأُ
الْكَلْمُ ^(٣) .

أول هذا الكلام رواه ابن كثير في (البداية والنهاية) : ج ٨ ص ١٢
عن كتاب (القدر) لأبي داود وأبو داود ^(٤) توفي قبل الرضي بنحو مائة
وثلاثين عاماً .

ورواه بعد الرضي جابر الله الزمخشري في باب القتل والشهادة من (ربيع
الأبرار) بتفاوت يدل أنه منقول عن غير (نهج البلاغة) والآمدي في (غرر
الحكم) ص ٨٩ في حرف الألف فيما ورد عنه عليه السلام بلفظ إن المشددة .

والسبب في هذا الكلام أنه عليه السلام خوف من غيلة ابن ملجم - لعنه
الله ، مراراً ، فقد ظهرت منه إشارات تدل على أنه ينوي ذلك .

(١) الغيلة - بالكسر - الاغتيال أي القتل على حين غرة من المقتول .

(٢) الجنة - بضم الجيم - ما يستتر به الانسان من درع وغيره ، وأسلته : تخلت عنه .

(٣) طاش السهم : انحرف عن الغرض ، والكلم : الجراح .

(٤) هو سليمان بن الأشعث بن إسحق السجستاني صاحب كتاب (السنن) المشهور توفي سنة

ذكروا أن ابن ملجم قال قبل أن يضرب علياً وكان جالساً في بكر بن وائل
إذ مرّ عليه يجنازة أيجر بن جابر العجلي أبي حجار وكان نصرانياً والنصارى
حوله وأناس مع حجار لمنزلته فيهم يشون في جانب فقال ابن ملجم : ما
هؤلاء ؟ فاخبر الخبر فأنشأ يقول :

لئن كان حجار بن أيجر مسلماً لقد بوعدت منه جنازة أيجر
وان كان حجار ابن أيجر كافراً فما مثل هذا من كفور بمنكر
أترضون هذا أن قيساً ومسلماً جميعاً لدى نعش فيا قبج منظر
فلولا الذي أنوي لفرقت جمعهم بأبيض مصقول الدياس مُبشّر
ولكنني أنوي بذلك وسيلة إلى الله أو هذا فخذ ذاك أو ذر^(١)

ويروى أنه عليه السلام كان يخطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء
المنبر فسمع وهو يقول : والله لأريحنهم منك ، فلما انصرف عليه السلام أتوا
به ملتبساً^(٢) فأشرف عليه السلام عليهم وقال : ما تريدون ؟ فأخبروه بما سمعوا
منه ، فقال عليه السلام : خلوا عنه : « وإن علياً من الله جنة ... » إلى آخر ما
رواه الرضي .

وروي أن الأشعث بن قيس لقي ابن ملجم متقلداً سيفه فقال له : ما
يقلدك السيف وليس بأوان حرب ؟ قال أريد أن أنحر جزور القرية^(٣) .

ومن هنا كانت الصلة بين الأشعث بن قيس وابن ملجم واستمرت إلى ليلة
مقتل أمير المؤمنين عليه السلام إذ كان تلك الليلة عينه ورقبيه وهو القائل له

(١) تاريخ الطبري : ٦ / ٨٤ حوادث سنة ٤٠ .

(٢) يقال : لبب فلان فلاناً : أي جمع ثيابه عند نحره وصدره ثم جره .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ج ٢ ص ١٥٦ و ١٥٧ .

يحرّضه على قتل أمير المؤمنين إذ ناداه تلك الليلة : النجاء النجاء بحاجتك فقد فضحك الصبح (١) .

وسياتي ما هو في معنى هذا الكلام (في باب الكلمات القصار) في الحكمة رقم (٢٠١) والحكمة رقم (٣٠٦) .

٦١ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا . وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا (٢) ، أَتَبْلِي النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ (٣) ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ، وَإِنَّمَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءُ الظِّلِّ ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ (٤) ، وَزَايِدًا حَتَّى تَقْصَ .

لا شك أن هذا الفصل من خطبة له عليه السلام أطول مما ذكر ، التقط منها منها الرضي ما اختاره هاهنا . وأنا أورد لك ما ذكره الآمدي في (غرر

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٣٣ .

(٢) تقدير الكلام أن الدنيا لا يسلم من عقاب ذنوبها الا فيها ولا تكون السلامة الا بأمرين

عمل صالح وتوبة كاملة ، وكل عمل قصد به المكلف الدنيا لا ينجيه شيء منه في الآخرة .

(٣) ما أخذوه منها لها كلال لا يعمل به صالحاً وما أخذوه لغيرها كلال يعمل صالحاً .

(٤) سابغاً ممتداً سائراً للارض ، وقلص : انقبض .

الحكم) في حرف الألف تحت حرف (إن) المشددة ، لتري التفاوت بين رواية الرضي والآمدي ، وتلاحظ الزيادة في رواية الأخير لتقطع أن لكل واحد منها مصدراً غير مصدر صاحبه ، ثم أضف على ذلك أن الآمدي ذكر في مقدمة كتابه أنه حذف الاسانيد خشية من كلفة التطويل .

إن الدنيا دار لا يسلم منها إلا بالزهد فيها ، ابتلي الناس بها فتنة ، فما أخذوا منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه ، وما أخذوا منها لغيرها قدموا عليه ، وأقاموا فيه ، وانها عند ذوي العقول كالظل بيننا تراه سائفاً حتى قلص ، وزائداً حتى نقص ، وقد أعذر الله سبحانه اليكم في النهي عنها وأنذركم وحذركم منها فأبلغ .

وروى صاحب (الفرر) أول هذا الفصل في حرف الألف تحت ألف الاستفتاح فراجع ص ١٠ و ٨٨ و ١٩٩ .

٦٢ - وَمَنْ خُطِبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ^(١) ،
وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ^(٢) ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ

(١) أي ساقبوا بالأعمال قبل حلولها .

(٢) ابتاعوا أي اشترؤا الباقي وهو نعيم الآخرة بالفاني وهو نعيم الدنيا .

جَدَّ بِكُمْ^(١) . وَاسْتَعِدُّوا لِمَوْتٍ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ^(٢) وَكُونُوا
قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا^(٣) . وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ
بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ
سُدًى^(٤) . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لِحَدِيرَةٍ
بِقِصْرِ الْمُدَّةِ^(٥) . وَإِنَّ غَايِبًا يَخْذُوهُ الْجَدِيدَانِ : - اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ -
لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ^(٦) وَإِنْ قَادِمًا يَقْدِمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ
لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ
أَنْفُسَكُمْ غَدًا^(٧) فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ ،
وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ،
وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمْنِيهِ

(١) الارتحال : الانتقال ، والمراد منه لازمه وهو الزاد الذي لا بد منه للراحل ، وجد
بكم أي أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون .

(٢) أي تاهبوا له ، وأظلكم قرب منكم كأنه القى عليكم ظله .

(٣) كونوا قوماً إذا استنامتهم الغفلة صاح بهم صائح الموعظة فانتهبوا

(٤) سدى : عبثاً .

(٥) المراد بالغاية الاجل ، وكل لحظة تمر فهي نقص بالامد بيننا وبين الاجل ، وكل

ساعة تهدم ركناً منه وما كان كذلك فهو قصير .

(٦) المراد بالغائب الموت ، ويحدوه ، يسوقه ، والابوة ، القدموم .

(٧) القادم : الموت وتحروزون : تحفظون .

التَّوْبَةُ لَيْسَ وَفَهَا ، حَتَّى تَنْجُمَ مَنِيتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا^(١)
فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَأَنْ
تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ
لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ^(٢) وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً ، وَلَا
تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَاآِبَةً .



قد نثر الآمدي فقرات من هذه الخطبة بحسب مواضعها من « الفرر
والدرر » وأنا أنظم لك هنا ما نثره هناك مع تعقيب كل فقرة برقم الصفحة
التي سطرت فيها ، ثم لاحظ التفاوت اليسير بين الروایتين لتعرف اختلاف
المصدرين .

« ترحلوا فقد جدّ بكم ، واستمدوا للموت فقد أظلمكم (١٥٤) كونوا
قوماً صيح فانتبهوا ، كونوا قوماً علموا أن الدنيا ليست بدارهم فاستبدلوا
(٢٤٦) إن غاية تنقصها اللحظة ، وتهدمها الساعة لحرية بقصر المدة ، وإن
غائباً يقدم عليك بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة (١٠٥) تزودوا من
الدنيا ما تحوزون به أنفسكم غداً وخذوا من الفناء للبقاء (١٥٥) هـ » .

ويظهر مما اختاره سبط ابن الجوزي في تذكرته : ص ١٤٥ من كلام أمير
المؤمنين عليه السلام أن في هذه الخطبة فقرات لم يذكرها الرضي في (النهج) فإنه

(١) تنجم : تطلع على حين غفلة .

(٢) تبطره : تطفئه وتقصّر به ، تمنعه .

روى بعد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَنْ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ الْحَرِي بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ »
 هذه الفقرات : (فرحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ، ودعى الى إخلاص نفسه
 فدفنى ، واستقام على الطريقة فنجا ، وأحب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدم
 صالحاً ، واكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضاً ، وأحرز
 عوضاً ، كابر هواه ، وكذب مناه ، وجعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى
 عدة وفاته ، ركب الطريق الغراء ، ولزم المحجة البيضاء ، اغتنم المهل ،
 وبادر الاجل ، وتزود من العمل .

هذا وقد ذكر السبط في كتابه أنه لا يذكر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام
 إلا ما اتصل إليه إسناده ، وإنما حذف بعض الأسانيد طلباً للاختصار .

٦٣ - وَمِنْ خُطْبَةِ ابْنِ عَلِيٍّ بِالسَّيْلَامَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً^(١) ، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ
 أَنْ يَكُونَ آخِرًا ، وَيَكُونَ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا ،
 كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ^(٢) . وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ
 ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ،
 وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ

(١) أي كما أن ذاته - جلّت عظمته - لا يطرأ عليها التغير كذلك أوصافه ثابتة له معاً لا
 يسبق منها وصف وصفاً ، فهو أول وآخر وظاهر وباطن وهكذا في سائر صفاته تعالى أزلاً
 وأبدًا .

(٢) وصف غير الله بالوحدة تقليل الا الله سبحانه فوصفه بالوحدة تنزيه .

وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَيُصِثُّ
كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا ^(١) ، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ
يَعْنَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ
غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ ^(٢) ، لَمْ يَخْلُقْ مَا
خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخُوفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ،
وَلَا أَسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدِّ مُثَاوِرٍ ^(٣) ، وَلَا شَرِيكِ مُكَاتِرٍ ، وَلَا
ضِدِّ مُنَافِرٍ ، وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ ، وَعِبَادُ دَاخِرُونَ ^(٤)
لَمْ يَخْلُقْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنْشَأْ عَنْهَا
فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ ^(٥) لَمْ يُوْذِهِ خَلْقُ مَا أَبْتَدَأَ ، وَلَا تَدْيِيرُ
مَا ذَرَأَ ، وَلَا وَقْفَ بِهِ عَجْزُ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ ^(٦) عَلَيْهِ

(١) يصم - بفتح الصاد - مضارع صم اي يصاب بالصمم ، ويصمه
مضارع اصم أي يفقده السمع .

(٢) أما كونه سبحانه ظاهراً بمعنى أن أدلة وجوده جلية واضحة ومعنى
أنه تعالى باطن أي غير مدرك بالحواس الباطنة ، أما غيره فهو ظاهر بالنسبة
إليه سبحانه لا يخفى عليه شيء من أموره ، وكونه باطناً فلأنه لا يعلم ما يعلمه
الله تعالى منه .

(٣) تشديد السلطان: تقويته ، والند: النظر ، والمثاور: الموائب والمحارب
والمكائر: المفاخر بالكثرة ، وتروى بالباء أي مفاخر بالكبر والعظمة ، والمنافر
المحاكم في الرفعة والحسب .

(٤) مربوبون أي مملوكون ، وداخرون : أذلاء خاضعون .

(٥) بائن : منفصل .

(٦) يُوْذِهِ : يشقله وذراً أي خلق ، وولجت : دخلت .

شُبْهَةٌ فَيَا قَضَى وَقَدَّرَ ، بَلْ قَضَاءُ مُتَقَنٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبَرَّمٌ ، أَلْمَأْمُولُ مَعَ النَّقَمِ ، وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النَّعَمِ .

خطب عليه السلام بهذه الخطبة حين استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية كما في (التوحيد) للصدوق ص ٢٩ فإنه روى بعضها بتفاوت مع رواية الرضي في موضعين من كتابه (التوحيد) ص ٢٩ و ص ٦٢ .

ورواها بعد الرضي علي بن محمد بن شاذان الليثي الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) بصورة لا تختلف عن رواية الشريف الرضي .

ونقل الآمدي جملاً من هذه الخطبة في (غرر الحكم) : ص ٢٣٨ تدل بما أذكره لك من صورتها أنه قد انفرد بمصدر مع زيادة لم تأت في رواية الشريف ، فروى مثلاً : « كل عزيز غير الله سبحانه ذليل » و « كل قوي غير الله سبحانه ضعيف » و « كل مالك غير الله سبحانه مملوك » وهكذا تراه جاء بلفظ الجلالة ظاهراً في كل العبارات مع أنه في « النهج » في كلها ضمائر تعود الى اللفظ المقدس في قوله عليه السلام « الله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً » .

أما الفقرات التي رواها زائداً على ما في « النهج » فهي : « كل سر عند الله سبحانه علانية » و « كل غالب غير الله سبحانه مغلوب » و « كل طالب غير الله سبحانه مطلوب » كما روى الفقرة الآتية بهذه الصورة : « كل قادر غير الله سبحانه مقدور » مع أنها وردت في « النهج » : « كل قادر غيره يقدر ويمعجز ^(١) » .

(١) لانه تعالى قادر لذاته ، وغيره قادر لامر خارج من ذاته ، والعجز على من عداه غير ممتنع ، وعليه سبحانه مستحيل .

٦٤ - وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين^(١)

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبُوا السَّكِينَةَ ،
وَعَضُّوا عَلَى الْنَوَاجِذِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ،
وَأَكْمَلُوا أَلَلَامَةَ وَقَلِّقُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلَامِهَا ،
وَالْحَظُّوا الْخَزَرَ وَأَطْعَنُوا الشَّرَرَ ، وَتَافَحُوا بِالطُّبَا ، وَصَلُّوا
السُّيُوفَ بِالْخَطَا ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ ، وَأَسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ،
فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَنْ
أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَأَمْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجْحًا ، وَعَلَيْكُمْ
بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَالرُّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ، فَاضْرِبُوا تَبَجَّهُ ،
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَأَمْنٌ فِي كِسْرِهِ ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدًا ، وَأَخَّرَ
لِلنُّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ
الْحَقِّ (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ).

(١) سيأتي شرح هذه الالفاظ بعد قليل .

هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الذي كانت عشية ليلة الهريز في كثير من الروايات .

وفي رواية نصر بن مزاحم: أنه خطب في أول أيام اللقاء والحرب بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين ^(١) .

وعلى كل حال فإنّ هذا الكلام متواتر عنه ، مشهور النسبة إليه سلام الله عليه نذكر من نقلته قبل الرضي وبعده :

١ - ابن قتيبة في « عيون الاخبار » : م ١ ص ١١٠ قال :

وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به ، لرأيته يوم صفين وكأن عينيه سراجا سليط وهو يحمّس أصحابه إلى أن انتهى إليّ وأنا في كنف فقال : معشر المسلمين استشعروا الخشية .. الخ .

٢ - نصر بن مزاحم - على ما حكاه ابن أبي الحديد - قال : قال نصر حدثنا عمر بن سعد قال : حدثني عبد الرحمن عن أبي عمرو عن أبيه : أنّ علياً عليه السلام خطب في ليلة هذا اليوم فقال : معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلّبوا السكينة ، وعضوا على النواجذ ، فإنّه أنبى للسيوف عن الهام .. الفصل بطوله ^(٢) .

٣ - استشهد الجاحظ في « البيان والتبيين » : ج ٢ ص ٢٤ بفقرة من هذه الخطبة قال : وقال علي كرم الله تعالى وجهه : (عضوا على النواجذ من الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام) .

٤ - فرات بن إبراهيم بن فرات وكان في عهد الامام الرضا عليه السلام في

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ١ ص ٤٧٩ .

(٢) شرح النهج للحديدي : م ١ ص ٤٨٣ .

تفسيره رواها بالصورة التي رواها صاحب كتاب (بشارة المصطفى)
كما سيأتي .

٥ - البيهقي في « المحاسن والمساوي » ص ٤٥ .

٦ - ابو جعفر محمد بن محمد بن القاسم الطبري من علماء القرن السادس في كتاب (بشارة المصطفى) ص ١٧٢ ، قال أخبرنا الشيخ العفيف أبو البقاء إبراهيم بن الحسن البصري رحمه الله قراءة عليه في صفر سنة عشر وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال : حدثني الشيخ أبو طالب محمد بن الحسين بن عتبة ، قال : حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن مخلد المداري ، قال : حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن المطلب الشيباني في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد في نهر الدجاج في دار الصيداوي المنشد ، قال : حدثنا محمد بن أبي الصهبان الباهلي ، قال : حدثنا احمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان الاحمر^(١) عن أبان بن تغلب^(٢) عن

(١) هو أبان بن عثمان الاحمر البجلي الكوفي البصري أصله من الكوفة فكان يسكنها تارة ، والبصرة أخرى وقد أخذ عنه أهلها أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وأبي عبد الله محمد بن سلام ، واكثروا الحكاية عنه في النسب ، واخبار الشعراء ، وأيام العرب ، وروى عن أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الكاظم سلام الله عليهما ، وقد أجمعوا على تصحيح ما يصح عنه .

(٢) أبان بن تغلب (كتضرب) كوفي ثقة جليل القدر ، عظيم المنزلة لقي زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام وروى عنهم ، وكان له حظوة عندهم وروى عن أبان بن محمد بن أبان بن تغلب قال : سمعت أبي يقول : دخلت مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام فلما بصر به أمر بوسادة فالقيت له وصافحه واعتنقه وساءله ورحب به ، وقال له الباقر عليه السلام : اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب ان يرى في شيعتي مثلك ، وكان رحمه الله مقدما في كل فن من العلم في القرآن والفقه الحديث والادب والنحو واللغة سمع من العرب وحكى عنهم ، وكان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الخلق ، واخليت له سارية النبي صلى الله

عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال : عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ما كشفت النساء ذيوهن عن مثله ، لا والله ما رأيت فارس [محرباً] ^(١) يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفين ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، وكان عينيه سراجاً سليط ^(٢) ، تتوقدان من تحتها ، يقف على شزيمة شزيمة يخطبهم ، حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم ، وطلعت خيل معاوية تدعى بالكتيبة الشهباء ، عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب ، فاقشعر الناس لها لما رأوها ، وانحاز بعضهم إلى بعض ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : فيما الخنع ^(٣) والنخع — يا أهل العراق — هل هي إلا أشخاص مائلة ^(٤) ، فيها قلوب طائرة لو مستها سيوف أهل الحق لرأيتموها كجراد بقية سفته الريح ^(٥) في يوم عاصف ، ألا فاستشعروا الخشية ، وتجليبوا السكينة ^(٦) ، وادرعوا الصبر ، وغضوا الاصوات ،

عليه وآله ، وروى ان الصادق عليه السلام قال له : ناظر أهل المدينة فاني احب ان يكون مثلك من رواتي ورجالي . مات رحمه الله سنة (١٤١) وقال الصادق عليه السلام لما اتاه نعيه : ام والله لقد اوجع قلبي موت ابان .

(١) في الاصل محدثا والتصحيح عن « المحاسن والمساوي » واهلها : مجربا .

(٢) السليط : الزيت .

(٣) النخع والخنع : الدل والخضوع .

(٤) المائلة : القائمة او المتائلة المشبهة بالانسان وتروى المائلة من الميل وهو العدول عن الحق . فيها قلوب طائرة اي كانت تخفق من الخوف .

(٥) سفت (بالتخفيف) الريح التراب : ذرته ، والقيعة : الارض المستوية .

(٦) استشعر : لبس الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب ، وتجليب لبس الجلباب : وهو ما تخمر المرأة به ثيابها من فوق ، والخشية : الخوف من الله تعالى ولكونها غاشية قلبية عبر عنها بالاستشعار ، وعبر بالتجليب في جانب السكينة لانها عارضة تظهر على البدن ، وعبر عن الصبر بالدرع .

وقلقولوا الاسياف في الاغمداء قبل السلة^(١) وانظروا الخزر، واطعنوا الشزر^(٢)،
كافعوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا^(٣)، والنبسال بالرماح، وأعيدوا
الكر^(٤)، واستحيوا من الفر، فانه عار في الاعقاب، ونار يوم الحساب،
فطيبوا عن أنفسكم نفساً^(٥)، وامشوا إلى الموت مشياً سجيحاً^(٥)، فانكم بعين
الله عز وجل، ومع أخي رسول الله ﷺ، وعليكم بهذا السرادق الادلم، والرواق
المظلم، فاضربوا ثبجه^(٦)، فان الشيطان راقد في كسره، نافشاً حضنيه،
مفترشاً ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلاً^(٧)، فصمدا
صمداً^(٨)، حتى ينجلي لكم عمود الحق^(٩)، (وأتم الاعلون والله معكم ولن

(١) مخافة ان تستعصي من الخروج عند السل .

(٢) الخزر - محركة - النظر كأنه من احد الشقين وهو علامة
الغضب . والشزر - بالفتح - الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً .

(٣) الظبا جمع ظبة : حد السيف وقوله عليه السلام : (وصلوا
السيوف بالخطا) . اذا قصرت سيوفكم عن الوصول الى اعدائكم فصلوها
بخطاكم .

(٤) اي ابدلوا نفوسكم عن رضى وطيب خاطر .

(٥) السجج « بضمتين » : السهل اللين .

(٦) السرادق : الفسطاط التي تمد حول البيت ، والادلم الاسود
وهو صورة ومعنى كالمظلم ويريد بالرواق مضرب معاوية ، وكان معاوية في
مضرب عليه قبة عالية قد كلفه بالثياب والارائك ، وجعل في وسطه منبرا
جلس عليه ، وحوله صناديد اهل الشام ، والشج الوسط وثبج الانسان
ما بين كاهله الى ظهره .

(٧) الكسر « بكسر الكاف » جانب الخباء ، والشيطان هنا يحتمل
وجهين : احدهما ان يعنى به الشيطان والثاني ان يعنى به معاوية وهو
اظهر للقرينة التي تؤيده وهو قوله عليه السلام : (وقد قدم للوثبة يداً . الخ .

(٨) صمدت لفلان : اي قصدت له .

(٩) اي يسطع نوره وضوءه .

يترك أعمالكم (١) ، ها أنا شاد فشدوا . (بسم الله حم لا ينصرون) .

ثم حمل عليهم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام حمله وتبعته خويلة (٢) لم تبلغ المائة فارس ، فأجالهم فيها جولان الرحي المسرحة بثفالها (٣) ، فارتفعت عجاوجة منعتني النظر ، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر إلا رأساً نادراً ، ويداً طائفة ، فما كان بأسرع من أن ولوا مدبرين (كأنهم حرر مستنفرة فرت من قسورة) (٤) فاذا أمير المؤمنين قد أقبل وسيقه ينطف (٥) ووجهه كشقة القمر ، وهو يقول : (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم) (٦) .

قال عكرمة : وكان ابن عباس رضي الله عنه يحدث فيقول : أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بقتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين انتهى .

وإنما نقلت الحديث بكامله لاستحساني له ولعل القاريء الكريم يستحسنه مثلي .

٧ - القاضي القضاعي في « دستور معالم الحكم » ص ١٢٤ وفسر غريب الخطبة هناك .

٨ - ابن عساكر في « تاريخ دمشق » مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق : م ١٢ الورقة ١٨٢ في ترجمة الامام علي عليه السلام وفسر غريبه .

(١) لن يترككم : لن يتقصكم وهاهنا مضاف محذوف تقديره جزاء أعمالكم ، وهو من كلام الله تعالى رصع به خطبته عليه السلام .

(٢) تصغير خيل

(٣) الثفال جلدة تبسط تحت الرحي ليقع عليها الدقيق ، وسمى الحجر الاسفل من الرحي ثفالاً بها .

(٤) المدر : ٥٠ و ٥١ : والمعنى كأنهم حرروا نائرة من القسورة وهو الأسد : وقيل الرماة ورجال القنص .

(٥) ينطف : يقطر .

(٦) التوبة ١٢ .

٦٥ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى الانصار

قَالُوا : لَمَّا أَتَيْتُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْبَاءَ السَّقِيفَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
مَا قَالَتْ الْأَنْصَارُ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَهَلَّا أَحْتَجُّنُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَّى
بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِيهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ؟

قَالُوا : وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ؟
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنْ
الْوَصِيَّةُ بِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟
قَالُوا أَحْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ .
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ ^(١) .

* *

(١) أراد بالشجرة : شجرة النبوة . والثمرة آل البيت عليهم السلام .

لروى صدر هذا الكلام النووي في (نهاية الإرب) : ج ٨ ص ١٦٨ وما ذكره الرضي في هذا الموضع يشتمل على أمور :

- ١ - وصية رسول الله ﷺ بالأنصار .
- ٢ - قول الأنصار يوم السقيفة : « منا أمير ومنكم أمير » .
- ٣ - احتجاج قريش عليهم بأنهم شجرة الرسول ﷺ .
- ٤ - قول أمير المؤمنين عليه السلام : احتجوا بالشجرة ، وأضاعوا الثمرة . يريد بالثمرة أهل البيت عليهم السلام .

(١)

أما وصية رسول الله ﷺ بالأنصار فقد أخرجها البخاري ومسلم في مسنديهما عن أنس بن مالك ، قال : مر أبو بكر والعباس رضي الله تعالى عنهما بمجلس من الأنصار في مرض رسول الله ﷺ وهم يبكون ؟ فقالا : ما يبكيكم ؟ قالوا ذكرنا محاسن رسول الله ﷺ فدخلا على النبي ﷺ وأخبراه بذلك ، فخرج ﷺ وقد عصب رأسه بحاشية بردة (وفي البخاري : برد) فصعد المنبر - ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فانهم كرشي وعيبي ، وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم .

(صحيح البخاري : ٢ : ٣١٤ صحيح مسلم الحديث ١٩٤٩)

(٢)

وقولهم : (منا أمير ومنكم أمير) قد تواتر في كتب السير والتواريخ ، والصحاح والمسانيد ، والتراجم والأدب ، وإجمال ما ذكره : أن معظم الأنصار كان رأيهم أن لا تكون البيعة إلا لعلي عليه السلام فلما رأوا طمع قريش فيها : وظهرت لهم إمارات ذلك أرادوها لأنفسهم فاجتمعوا في سقيفة بني

ساعده ، وأخرجوا سعد بن عبادة وهو مريض وقالوا : « نولي هذا الأمر بعد محمد سعد بن عبادة » ثم إنهم تراءوا الكلام بينهم فقالوا : « فان أبت مهاجرة قريش ، وقالوا : نحن المهاجرون ، وصحابة رسول الله الأولون ، ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده ؟ » فقالت طائفة منهم : « فانا لئذا نقول : « منا أمير ومنكم أمير » . فقال سعد بن عبادة : « هذا أول الوهن » (١) .

(٣)

وسمع أبو بكر وعمر ذلك فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح ، وجماعة آخرون منهم المغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن عوف واجتمعوا مع الأنصار في السقيفة يتنافسون على الإمارة ، وأراد عمر أن يتكلم فمنعه أبو بكر عن الكلام فتكلم أبو بكر وذكر سابقة المهاجرين بالرسول دون جميع العرب ، وقال : « هم أول من عبد الله في الأرض ، وآمن بالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم » ثم ذكر فضيلة الأنصار وقال بعد ذلك : « فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الامراء وأنتم الوزراء ، فقام الحباب بن المنذر قال . « يا معشر الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس في فيثكم وظلكم ولم يحترىء على خلافكم ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير » .

انظر الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ١١ وما نقله ابن ابي الحديد في اوائل م ٢ من شرحه على نهج البلاغة عن كتاب السقيفة لابي بكر الجوهري

(١) انظر الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ١١ .

ونرى ان من نافلة القول تكثير المصادر على اثبات قول الانصار « منا أمير ومنكم أمير » .

(٤)

أما إنهم احتجوا بالشجرة وأضاعوا الشجرة ، فهو من الامور الثابتة التي لا تحتاج إقامة الأدلة وتكثير الشواهد وقد تكرر ذلك منه عليه السلام وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في الحكمة رقم (١٩٠) عند قوله عليه السلام : « واعجبا أ تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟ » قال هناك والله الموفق .

٦٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملك عليه فقتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنِ عُتْبَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهِ
إِيَّاهَا لَمَا خَلَى لَهُمُ الْعَرَصَةَ ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بَلَا ذِمَّ
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ " ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا ، وَكَانَ
لِي زَيْبًا .

كان عليه السلام قد ولي محمد بن أبي بكر مصر ، فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين وقوي أمر معاوية طمع في مصر . وقد كان عمرو بن العاص بإيعه علي أن يكون معه في قتال علي ، ويكون مصر له طعمة ، فبعثه اليها بعد صفين

(١) لما يتوهم من المدح لمعتبة .

في ستة آلاف فارس ، وقد كان فيها جماعة عظيمة من يطلب بدم عثمان ، وكانوا يزعمون أن محمداً قتله فانضافوا الى عمرو ، وكان معاوية كتب الى وجوه مصر ، إما الى شيعته فبالترغيب ، وأما إلى أعدائه فبالترهيب ، وكتب محمد بن أبي بكر الى علي عليه السلام بالقصة يستمده بالمال والرجال ، فكتب إليه يشته ويعدده بذلك بأسرع ما يمكن ، فجعل محمد يدعو أهل مضر الى قتال عمرو ، فانتدب معه أربعة آلاف رجل فوجه منهم ألفين مع كنانة ابن بشر لاستقبال عمرو ، وبقي هو في ألفين ، فأبلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسناً وقتل من عسكر عمرو خلقاً كثيراً ، ولم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله ، فلما قتل تفرق الناس عن محمد . وأقبل عمرو يطلب محمداً فهرب منه مختفياً ، فدخل عمرو فسطاطه . وخرج معاوية بن حديج الكندي ، وكان من امراء جيش عمرو ، في طلب محمد فظفر به ، وقد كاد يموت عطشاً ، فقدمه فضرب عنقه ، ثم أخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت وأحرقه . وقد كان علي عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحو من ألفي رجل ، فسار بهم خمس ليال ، وورد الخبر الى علي بقتله وأخذ مصر فجزع عليه السلام عليه جزعاً ظهر أثره في وجهه ثم قال : رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً وقد أردت .. الفصل (١) .

وروى ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) قال : روى المدائني أن علياً قال : « رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً لقد أردت أن اولي المرقال هاشم بن عتبة ^(٢) مصر فانه والله لو وليها لما خلا ابن العاص وأعوانه العرصة

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد : م ٢ ص ٢١ - ٣٨ و (شرح نهج البلاغة) للشيخ ميشم البحراني ١٨٦ و ١٨٧ .
(٢) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص كان من افاضل الصحابة وكان شيعة لأمير المؤمنين ومن قوله لأمير المؤمنين عليه السلام : « والله ما احب ان لي ما على الارض بما اقلت وما تحت السما مما اظلت واني واليست عدوا لك أو عاديت وليالك » .

ولا قتل إلا وسيفه بيده بلا ذم لمحمد فقد أجهد نفسه ففضى ما عليه .
قال المدائني : وقيل لعلي عليه السلام : لقد جزعت على محمد بن أبي بكر
يا أمير المؤمنين ، قال : « وما يمنعني ! إنه كان لي ربياً وكان لبني أخاً
وكننت له والداً أعده ولدأ » .

فالنقل لهذا الكلام الثقيف والراوي له المدائني وكلاهما أقدم من الرضي
بزمان ليس بالقصير وقد اشتملت هذه الرواية على ما نقله الرضي ولا خير
من التفاوت النزر بين النقلين ، ولعل ما سقط من ألفاظ في رواية المدائني من
سهو النساخ .

ورواه الطبري في « التاريخ » ج ٦ ص ٦٣ في حوادث سنة ٣٦ بتفاوت
يسير عما في « النهج » والبلاذري في ترجمة علي عليه السلام من (أنساب
الأشراف) ص ٤٠٤ ط الاعلمي .

= وكان على مسيرة أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين وكان يحب
الشهادة بين يديه ودعا له أمير المؤمنين بقوله : « اللهم ارزقه الشهادة في
سبيلك » قاتل يوم صفين هو وعمار معا وكان عمار يقول له يومئذ : « تقدم
هاشم تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الاسنة ، اليوم القى الاحبة
محمدا وحزبه » .

وكان يرقل الى الحرب فلقلب بذلك وقتل يومئذ فجزع الناس عليه
جزعا شديدا واصيب معه عصابة من اسلم من القراء فمر بهم علي عليه
السلام وهم قتلى فقال :

جزى الله خيرا عصابة اسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
الايات

واخذ ولده الراية وحمل بها وابلى بلاء حسنا فاسر وأتى معاوية
فلما أدخل عليه وعنده ابن العاص قال : يا أمير هذا المختال بن المرقال
فدونك الضب فان العصي من العصية ، فأمر معاوية بحجسه فحجسه بعد
مناظرة طويلة جرت بينه وبين معاوية وعمره .

٦٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم أصحابه

كَمْ أَذَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبَكَارُ الْعَمِيدَةَ^(١) . وَالشَّيَابُ
الْمُتَدَاعِيَةُ^(٢) . كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكُ مِنْ آخَرٍ^(٣)
أَكَلَمَا أَطْلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ
رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الصَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَالضَّبْعِ
فِي وَجَارِهَا^(٤) . الدَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ . وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ
رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ^(٥) . وَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ^(٦) قَلِيلٌ
تَحْتَ الرَّاياتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ^(٧)
وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي ، أَضَرَعَ اللَّهُ

(١) البكار - ككتاب - جمع بكر : الفتى من الابل ، والعمد - بفتح فكسر - : انفضخ رأس سنامها من الركوب ، وظاهره سليم .

(٢) المتداعية : الحلقة المتخرقة ، ومداراتها : استعمالها بالرفق التام .

(٣) حيصت : خبطت ، وتهتك : انخرقت .

(٤) المنسر - كمجلس - القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير ، وأطل : أشرف وانجحر - بتقديم الجيم - دخل الجحر ، والوجار - بالكسر - جعر الضب وغيره .

(٥) تقدم تفسيره في الخطبة رقم (٢٩) .

(٦) الباحات : الساحات .

(٧) الأود - بفتح الواو - الأعوجاج .

خُدُودَكُمْ^(١) . وَأَتَعَسَ جُدُودَكُمْ^(٢) لَا تَغْرِفُونَ الْحَقَّ
كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كِبَاطِلِكُمُ الْحَقَّ .

روى أول هذه الخطبة - قبل الرضي - البلاذري في (أنساب الأشراف):
ص ٤٣٨ ط : الأعلمي بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام .

ويظهر من رواية ابن واضح لها في (التاريخ) : ج ٢ ص ١٨٤ أنها من
جملة الخطب التي خطبها عليه السلام في غارة النعمان بن بشير على عين التمر
وقد أشرنا الى القصة عند القول في مصادر الخطبة (٣٩) وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :
« منيت بن لا يطيع اذا أمرت ... » الخ .

٦٨ - وقال عليه السلام

في 'سحرة' اليوم الذي 'ضرب فيه'^(٣)

مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ^(٤) فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدَا
فَقَالَ : أَدْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ : أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال الرضي رحمه الله : « يعني بالأود الاعوجاج وباللدد الخصام وهذا من
أفصح الكلام » .

(١) أضرع خدودكم : أذل وجوهكم ، يقال ضرع فلان ذل . وأضرعه غيره : أذله ،

(٢) التمس : اهلاك ، والجدود : الخطوط والمعنى حط من حظوظكم .

(٣) السحرة - بضم السين المهملة - السحر الأطل من آخر الليل .

(٤) ملكتنى عيني : أخذني النوم . وسنح لي : مر بي كما يستنح الأطباء والطير .

- رواه قبل الرضي وبعده جماعة نذكر منهم :
- ١ - ابن سعد في (الطبقات) ج ٣ ص ٣٦ .
 - ٢ - ابو الفرج الاصبهاني في (مقاتل الطالبين) : ص ١٦ .
 - ٣ - ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٩٨ .
 - ٤ - ابو علي القالي في (ذيل الأمالي) ص ١٩٠ .
 - ٥ - ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٦٠ .
 - ٦ - محمد بن حبيب البغدادي في كتاب « المغتالين » رواه بسنده عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : دخلت عليه وهو مجروح فقال : ادن مني يا أبا عبد الرحمن - والنساء يبكين - فدنوت منه ، فقال لي : بت الليلة أوقظ أهلي فملككتني عيني وأنا جالس ، فسنح لي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأودواللدد فقال : ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني من هو خير لي منهم وابدلهم من هو شر لهم مني .
 - وذكر أنه ﷺ قال في ابن ملجم : أطبوا طعامه ، وألينوا فراشه .
 - ٧ - ابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ٣ ص ٦١ في ترجمة أمير المؤمنين ﷺ هذه الرواية .
 - ٨ - المفيد في « الارشاد ص ٩ » رواه بتفاوت عما في النهج .
 - ٩ - المرتضى في « الفرر والدرر ج ٤ ص ٧٨ » ذكر أول هذا الكلام . وغيرهم .. وغيرهم .

٦٩ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ^(١) وَمَاتَ قِيَمُهَا وَطَالَ تَأْيِمُهَا وَوَرِثَهَا أَبَعْدَهَا^(٢) أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا^(٣) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ ، قَاتِلُكُمْ اللَّهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ . أَعَلَى اللَّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ . كَلَّا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِثْتُمْ عَنْهَا^(٤) وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا . وَيَلُمُّهُ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ^(٥) لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاظٌ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ .

هذا مختار خطبة خطب بها عليه السلام بعد صفين ، وقد روى طرفاً منها ابن

(١) أملصت : ألفت حملها ميتاً .

(٢) القيم : الزوج ، والتأيم : الخلو من الزوج ويقال امرأة أيم ورجل أيم يتساوى بذلك المذكر والمؤنث .

(٣) أي ساقنتني الضرورة اليكم بسبب نكت أصحاب الجمل .

(٤) لهجة : نوع من الكلام لم تحضره ولستم من أهله .

(٥) ويلمه : تكتب موصولة كما في الصورة ، وأصل الكلمة ويل أمه ، كلمة تقال في مقام المدح وإن كان وضعها لئذه ، وقد يجاء بها للتعجب . والضمير إلى ما دل عليه معنى الكلام من العلم .

(٦) كيلاً منصوب لانه مصدر في موضع الحال ، والمعنى اكيل لكم الحكمة والعلم كيلاً ولا اطلب ثمناً .

دأب المعاصر لموسى الهادي الخليفة العباسي في كتابه (١) ورواها المفيد في (الارشاد) ص ١٦١ ، وأنا أنقل لك الخطبة حتى تعرف مقدار ما اختاره الرضي منها :

« أيها الناس إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا ، وسمعتكم فلم تجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، شهود كفيّاب ، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتتنفرون منها ، وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتني على آخر قولي حتى أراكم متفرقين (أيادي سباً) ، ترجمون إلى مجالسكم ترتبمون حلقاً ، وتضربون الأمثال وتنشدون الأشعار ، وتتجسسسون الأخبار .. جهلة من غير علم ، وغفلة من غير ورع ، وتثبطاً من غير خوف ، نسيتم الحرب والاستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها .

.. يا أهل الكوفة أنتم كامّ مجالد حملت فأملصت فمات قيمها ، وطال تأيها ، وورثها أبعدها ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة .. ليتوارثنكم من بني أمية عدة ما الآخر بأرأف من الأول ... يقتلون خياركم ، ويستعبدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخائرهم ، بما ضيعتم من أموركم ، وصلاح أنفسكم ودينكم .

يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون لتكونوا على حذر ، ولينذر به من اتعظ واعتبر ، كأني بكم تقولون : إنّ علياً يكذب - كما قالت قريش لنبيها نبي الرحمة - .. ، ويلكم فعلى من أكذب ؟ أعلى الله فأنا أول من عبده ووحده ، أم على رسول الله ﷺ ؟ فأنا أول من آمن به وصدقته ونصره ، كلا والله ، ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغنياء ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة (لتعلمن نبأه بعد حين) .. الخ.

(١) (الاختصاص) : ص ١٥٥ .

وقال ابن أبي الحديد : وقد روى هذا الكلام (يعني : ما أتيتكم اختياراً .. الخ) على وجه آخر (ما أتيتكم اختياراً ولا جنتكم شوقاً) بالشين المعجمة ^(١) والظاهر من كلامه انها رواية غير (النهج) فتبصر .

ورواية الطبرسي لها في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٥٤ أطول وبما هو جدير بالذكر انك إذا لاحظت رواية المفيد تجد أن المختار هنا وما سيأتي تحت رقم (٩٥) خطبة واحدة كما سنشير الى ذلك إن شاء الله تعالى .

٧٠ - فَرْجُ خُطْبَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

علم فيها الناس الصلاة على النبي ﷺ

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ ^(٢) وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا ، شَقِيَّهَا وَسَعِيدِهَا ^(٣) اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَتَوَاصِي بَرَكَاتِكَ ^(٤) عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أَنْغَلَقَ ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ^(٥)

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٤٧ .

(٢) المدحوت : الارضون : وداحي المدحوت : باسطها من دحوت الرغيف اذا بسطته وداعم المسموكات مقيمها ، والمسموكات : المرفوعات وهي السموات .

(٣) جابل ، خالق ، والفطرة : الخلقة والمعنى : خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيل الخير والشر ، واستحقاق الشقاوة والسعادة .

(٤) الشرائف جمع شريفة ، والتواصي جمع نامية اي الزائده .

(٥) الحق في الاولى : ضد الباطل ، وفي الثانية الدلائل والمعجزات وجيшат جمع جيشة من جاشت القدر : اذا ارتفع غليانها ، والدامغ من دمغه : اذا شجحه حتى بلغت الشجة الدماغ .

وَالَّذِافِعَ جَيْشَاتِ الْآبَاطِلِ ، وَالَّذَامِغَ صَوَلَاتِ الْأَضَالِيلِ ،
 كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ ، قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ
 نَاكِيلٍ عَنْ قُدُمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ^(١) ، وَإِعْيَا لَوْحِيكَ
 حَافِظًا لِعَهْدِكَ ، مَا ضِيًّا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ
 الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْخَابِطِ وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ
 حَوَصَاتِ الْفِتَنِ^(٢) ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنِيرَاتِ
 الْأَحْكَامِ^(٣) ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ
 وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ^(٤) ، وَرَسُولُكَ إِلَى
 الْخَلْقِ ، اللَّهُمَّ أَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ ، وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ
 الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ، اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمِ
 لَدَيْكَ مَنَزَلَتَهُ ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ ، وَأَجْزِهِ مِنْ أَيْتَعَالِكَ لَهُ مَقْبُولَ
 الشَّهَادَةِ وَمَرْضِي الْمَقَالَةِ^(٥) ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ ،

- (١) مستوفزا : أي مسارع ، والنكول ، الاحجام ، والواهي :
 الضعيف .
 (٢) اورى الزند : اخرج ناره ، والقبس : الشعلة ، والخابط : السائر
 على غير هدى .
 (٣) الاعلام جمع علم - بالتحريك - ما يستدل به على الطريق ،
 ونيرات الاحكام اي ذوات النور .
 (٤) شهيدك : أي شاهدك ، وبعيثك أي مبعوثك .
 (٥) خطه فصل : أي امر فاصل وتروى « خطبة » أي مقال فاصل .

اللَّهُمَّ أَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ ^(١) ، وَمُنَى
الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ وَرَخَاءِ أَدْعَاةِ ، وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ ،
وَتَحْفِ الْكَرَامَةِ .

هذه الخطبة رواها عدة من العلماء قبل الرضي وبعده ، مسندة ومرسلة ،
نذكر منهم :

أ - ابن قتيبة في (غريب الحديث) قال : إن سلامة الكندي قال كان
علي عليه السلام يعلمنا الصلاة على رسول الله ﷺ فيقول : اللهم داحي
المدحوات .. الحديث .

وفسر ابن قتيبة غريب هذه الخطبة في كتابه ^(٢) .

ب - ابن هلال الثقفي في (الغارات) بسنده عن أبي سلامة الكندي ^(٣) .

ج - أبو علي القالي في (ذيل الامالي) ص ١٧٣ قال : حدثنا أبو بكر
ابن دريد ، قال : حدثنا الحسن بن حصر عن أبيه عن بعض ولد علي رضي
الله تعالى عنه ، قال : كان علي يعلم الناس الصلاة على النبي ﷺ ويقول : اللهم
داحي المدحوات .. الخ .

د - وفسر الازهري جملاً منها في مواضع من (تهذيب اللغة) وتبعه ابن
الاثير في (النهاية) والزخشي في (الفائق) وابن منظور في (لسان

(١) تقول العرب عيش بارد : أي لا حرب فيه ولا نزاع لان البسر
والسكون متلازمان تلازم الحرارة للحركة ، وقرار النعمة : مستقرها
حيث لا تغنى .

(٢) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٤ ص ٣٦٤ .

(٣) انظر م تاسع عشر البحار ص ١٦ ط الكمباني .

العرب) ولسنا بحاجة الى استقصاء المواد من الكتب المذكورة .

ورواها بعد الرضي جماعة بصور تدل على أنها لم تنقل عن (نهج البلاغة)
نذكر منهم :

هـ - القاضي القضاعي في الباب السادس من (دستور معالم الحكم) في
ص ١١٩ قال : كان عليه السلام يعلم أصحابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ويقول : اللهم
داحي المدحوات .. الخ .

و - سبط ابن الجوزي الحنفي في (تذكرة الخواص) ص ١٣٦ ، قال :
أخبرنا عبد الله بن أبي المجد الحربي ، أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، أخبرنا
أبو الفتح أحمد بن محمود الخداد ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم بن
منحويه ، أخبرنا محمد بن أحمد بن اسحق ، أخبرنا عبد الله بن سليمان بن
الأسعث ، حدثنا ابن عرفة ، حدثنا عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، عن مجالد
عن سعيد بن عمير قال : خطب أمير المؤمنين يوماً فقال : الحمد لله داحي
المدحوات ، وداعم السموات ، وجابل القلوب على فطرتها ، شقيها وسعيدها ،
وغويها ورشيدها . اللهم واجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك على سيدنا
محمد عبدك ورسولك .. الخ .

ز - السامهيجي في (الصحيفة العلوية) : ص ٣ .

ح - وقد جمع الشيخ المحمودي في كتابه الجليل (نهج السعادة) قسم
الدعاء أسانيد هذه الخطبة : ص ٢٨٦ فراجعته تجد ما يشفي ويكفي .

٧١ - وَمَنْ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة :

قَالُوا أَخَذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ

الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَكَتَمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَا لَهُ : يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ . إِنَّهَا
كَفٌ ^(١) يَهُودِيَّةٌ ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبْتِهِ ^(٢) ، أَمَا إِنَّ لَهُ
إِمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ ^(٣) الْأَرْبَعَةُ ،
وَسَتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ .

روى طرفاً من هذا الكلام قبل الرضي ابن سعد في (الطبقات) ج ١
في ترجمة مروان ، والبلاذري في (أنساب الأشراف) بترجمة أمير المؤمنين
ص ٣٦١ ط الأعلمي ورواه بعده الزعزعي في (ربيع الأبرار) الورقة
٣٧ من الجزء الأول (مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء) وسبط ابن الجوزي في
(تذكرة الخواص) ص ٧٨ باختلاف يسير ، وجاء في (النهاية في غريب
الحديث) لابن الأثير ج ١ ص ٦٧ في حديث علي « أما إنَّ له إمرة كلمعة
الكلب ابنه) ومع ملاحظة أن الرضي رواها « كلمعة الكلب أنفه » تعرف
أنَّ ابن الأثير أنفرد بمصدر .

وقال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ٢ ص ٥٣ : قد روى
هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب (نهج البلاغة) وهي

(١) كف يهودية : أي غادره .

(٢) السبت - بالفتح - السبت وهو مما يحرس الإنسان على أخفائه
فكنى به عن الغدر الخفي .

(٣) الأكبش جمع كبش وهو من القوم رئيسهم ، واليوم الاحمر: الشديد

قوله عليه السلام في مروان : « يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه ، وإن له امرة » . الى آخر الكلام .

فترى ابن أبي الحديد هنا ينص على تواتر هذا الخبر ، وكثرة طرقه ، وروى الزيادة التي لم يروها الرضي ولكنه لم يذكر المصادر لشهرة هذا الكلام .

هذا وقد ذكر ابن واضح في تاريخه ج ٢ ص ١٦٨ بيعة مروان لأمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان فإنه بعد أن ذكر بيعة المهاجرين والأنصار لأمير المؤمنين عليه السلام قال : بايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش : مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وكان لسان القوم ، فقال : يا هذا إنك قد وترونا جميعاً ، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر ، وأما مروان فشتت أباه ، وعبت على عثمان حين ضمه إليه . فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصابنا ، وتبقي لنا ما في أيدينا ، وتقتل قتلة صاحبنا فغضب علي عليه السلام وقال : أما ما ذكرت من وتري أياكم فالحق وترككم ، وأما وضعي عنكم عما في أيديكم فليس لي أن اضع حق الله ، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسمعكم ، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتلهم غداً ، ولكن لكم أن أحكمكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيقت ، فان شتم فالحقوا بملاحقكم ، فقال مروان : بل نبايعك ، ونقيم معك فترى ونرى اه وهذا ما أشار اليه عليه السلام بقوله : أو لم يبايعني بعد قتل عثمان .

وفي رواية القطب الراوندي في « الخرائج والجرائح » ان ابن عباس تشفع به أيضاً ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قال له لما خلى سبيله : هيه يا بن الحكم خفت على رأسك أن يقع في هذه الممعة كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان (وجعل يعدد من ولي الأمر من أبنائه) يسومون هذه الامة خسفاً ، ويسقونها كأساً مصبره . اه

وظهر مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام في إمرة مروان فكانت كلعقة الكلب أنفه لقصرها إذ كانت تسعة أشهر ، وكان في أيام كتابته لعثمان أكثر حكماً وأشد تسلطاً منه في أيام خلافته وكان نهاية أمره أن خالد بن يزيد بن معاوية شكاه إلى أمته - وكان قد خلف عليها بعد يزيد - لأنه قد ذكرها بقبيح ، وأفحش عليه والمجلس غاص بأهله ، فقالت لا يعرفن ذلك فيك وأنا أكفيك أمره ، فلما دخل عليها مروان قال لها : ما قال لك خالد ؟ قالت : وما عساه يقول ، إنه لأشد إعظاماً لك من أن يشتكيك ثم مكثت أياماً فدفست إليه سماً فلما ولج في بدنه اعتقل لسانه فدخل عليه ولده فجعل يشير إليها فلم يفهموا مراده ، وجعلت هي تبكي وتقول : يا أبا عبد الملك إلى الموت وأنت توصي بي ، فلما جنّ الليل عمدت إلى الوسائد والبراذع فجعلتها عليه ، وأمرت جوارياها وجلسن عليه حتى خنقته (١) .

وفسر الناس الأكبش الأربعة الذين ذكر أمير المؤمنين عليه السلام بابناء عبد الملك بن مروان وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، ولم يزل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة أخوة إلا هؤلاء .

٧٢ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزموا على بيعة عثمان :

لَقَدْ عَازَمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللَّهِ لَا سَلَمَ مَا
سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٥٤ وحياة الحيوان للدميري .

الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ
زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ .

قال ابن أبي الحديد : ونحن نذكر في هذا الموضع — أي في شرحه لهذا الكلام — ما استفاد في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى ، وتعيده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم ، وقد روى الناس ذلك فأكثروا ، والذي صحّ عندنا أنه لم يكن الأمر كما روي من تلك التعديلات الطويلة ، ولكنه قال لهم — بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكا هو عليه السلام عن البيعة — : « إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى » في كلام ذكره أهل السيرة — قال — : وقد أوردنا بعضه فيما تقدم ، ثم قال لهم : « أنشدكم الله أفیکم أحد آخی رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه حيث آخی بين بعض المسلمين وبعض غیری ؟ » فقالوا : لا ، فقال : « أفیکم أحد قال له رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فهذا مولاه » غیری ؟ » فقالوا : لا فقال : « أفیکم أحد قال له رسول الله ﷺ : « أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبی بعدي » غیری » ، قالوا : لا ، قال : « أفیکم من أوثمن على سورة براءة ، وقال له رسول الله ﷺ : « إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني » غیری ؟ » قالوا : لا ، قال : « ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله ﷺ فروا عنه في مآقط الحرب وما فررت قط ؟ » قالوا : بلى ، قال : « ألا تعلمون أني أول الناس إسلاماً ؟ » قالوا : بلى ، قال : « فآیتنا أقرب الى رسول الله ﷺ نسباً ؟ » قالوا : أنت فقطع عليه عبد الرحمن كلامه ، وقال : يا علي قد أبى الناس إلا عثمان فلا تجعل على نفسك سبيلاً ، ثم قال : يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر ؟ قال :

روى ابن الأثير في (النهاية) بعض هذا الكلام في مادة (قرف) وفسره ،
وفي (مجمع البحرين) مادة (قرف) قال : وفي حديث علي عليه السلام : « أو
لم ينه أمية عن قرفتي » أي تهمني وعيبي ، تأمل أن رواية صاحب (المجمع)
« قرفتي » بالتاء ورواية الرضي بحذفها .

٧٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى ، وَدُعَى إِلَى رَشَادٍ
فَدَنَا^(١) ، وَأَخَذَ بِحُجْزَةٍ هَادٍ فَتَجَا^(٢) ، رَاقِبَ رَبَّهُ وَخَافَ
ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ خَالِصًا ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، أَكْتَسَبَ مَذْخُورًا^(٣) ،
وَأَجْتَنَّبَ مَخْذُورًا ، رَمَى غَرَضًا ، وَأَحْرَزَ عَوْضًا ، كَابَرَ
هَوَاهُ^(٤) ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَالتَّقْوَى
عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ^(٥) وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ ،
أَغْنَمَ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

(١) الحكم هنا : الحكمة ، ووعى : حفظ ، ودنا : قرب من الرشاد
الذي دعى إليه

(٢) الحجة - بالضم - : معقد الاضرار من السراويل .

(٣) المذخور : المحروز والمراد به العمل للأخيه

(٤) كابر هواه : غلبه ، ويروى كائر - بالثلثة - والمعنى واحد

(٥) الطريقة الغراء : الواضحة النيرة ، والمحجة : الجادة .

أَنْ أَقْتَلَ مِنْ شَقِّ عَصَا الْجَمَاعَةِ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِعَلِي : بَايَعُ إِذْنَ وَإِلَّا كُنْتُ
غَيْرَ تَابِعٍ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَانْفَذْنَا فِيكَ مَا أَمَرْنَا بِهِ ، فَقَالَ : « لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي
أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَاللَّهِ لَا سَلْمَنَ » الْفَصْلُ إِلَى آخِرِهِ .

فَالْمَفْهُومُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ هَذَا أَنَّ الرِّضِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا بَعْضَ
كَلَامِهِ الَّذِي قَالَهُ فِي تِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ ، وَأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ أَصَحُّ مَا رَوَى عَنْهُ مِنْ
كَلَامِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَأَنَّهُ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ رَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَنَّ الرِّضِيَّ لَمْ يَنْفَرِدْ
بِرَوَايَتِهِ ، وَأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ تَابِعٌ لِلْكَلِمَةِ الْآتِيَةِ فِي بَابِ الْكَلِمَاتِ الْقَصَارِ
بِرَقْمٍ : (٢١) .

٧٣ - وَمِنْ كَلَامِ الرِّضِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا بَلَغَهُ اتِّهَامُ بَنِي أُمِيَّةَ لَهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِي دَمِ عِثَانَ :

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمِّيَّةَ عِلْمَهَا بِي عَنْ قَرَفِي ، أَوْ مَا وَزَعَ الْجَبَّالَ
سَابِقَتِي عَنْ تُهْمَتِي ، وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي ، أَنَا حَجِيجُ
الْمَارِقِينَ^(١) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُغْرَضُ
الْأَمْثَالُ^(٢) وَبِمَا فِي الصَّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ .

(١) حَجِيجُ الْمَارِقِينَ : أَيِ خَصِيمِهِمْ ، وَالْمَارِقُونَ الْخَارِجُونَ عَنِ الدِّينِ ،
وَالْمُرْتَابُونَ : الشَّاكُونَ .

(٢) الْأَمْثَالُ : مُتَشَابِهَاتُ الْأَعْمَالِ أَيِ أَنَّ الْأُمُورَ الْمُخْتَلِفَ فِيهَا تَعْرَضُ
عَلَى الْقُرْآنِ فَمَا وَافَقَهُ فَهُوَ الْحَقُّ ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ الْبَاطِلُ .

هذه الخطبة رواها قبل الرضي الحراي في (التحف) : ص ١٥١ ، وأوّل ما رواه منها : « من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن كان من قوت الدنيا لا يشبع ، لم يكفه منها ما يجمع ، ومن سعى للدنيا فاتته ، ومن قعد عنها أتته ، إنما الدنيا ظل ممدود ، إلى أجل محدود ، رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ودعي الى رشاد فدنا » ... الخ .

وقال الكراجكي - وهو من معاصري الرضي في (كنز الفوائد) : ص ١٦٢ : وجاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « تكلم أمير المؤمنين صلوات الله عليه بأربع وعشرين كلمة قيّمة كل كلمة منها وزن السموات والارض قال : « رحم الله امرأ سمع حكماً فوعى » الخ .

وجاء في رواية الكراجكي « محظوراً » مكان « محذوراً » ومكان « أحرز » « أخذ » وزاد على رواية الشريف بعد « كذب مناه » هذه الفقرة « حذر أملاً ، ورتب عملاً » وروى بدل « جعل الصبر مطية لنجاته » « جعل الصبر رغبة حياته » وبدل « التقوى » « التقى » وفي روايته زيادة بعد قوله عليه السلام « والتقوى عدة وفاته » هذه الجملة « يظهر دون ما يكتف ، ويكتفي بأقل مما يعلم » .

وبهذا تعلم أن الكراجكي لم ينقل عن (النهج) وأن ما في (النهج) هو مختارها .

ورواها محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ج ١ ص ٥٩ كرواية الرضي بزيادة الواو العاطفة في فقرات خلت منها رواية الشريف .

ورواها ابن شاكّر في (عيون الحكم والمواعظ) عن غير (نهج البلاغة) بدليل التفاوت بين الروايتين .

ومن رواها الزرخشري في (ربيع الابرار) ج ١ الورقة : ٢٣١ مخطوطة كاشف الغطاء ، والحصري في (زهر الآداب) ج ١ ص ٤٢ ، ونثرها الآمدي في محالها من (غرر الحكم) .

ويظهر عند المقارنة بين رواية الرضي ورواية سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ١٤٥ أن هذه الخطبة والخطبة (٦١) واحدة للتداخل بينها .

٧٥ - وَمِنْ كَلَامِ الرُّعَيْنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيَفُوقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَفْوِيقًا ، وَأَلَّهِ
لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَا نُفَضِّلُهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةَ .

قال الرضي رحمه الله : ويروى « التُّرَابَ الْوِذَمَةَ » وهو على القلب (١) ، وقوله عليه السلام : « لَيَفُوقُونَنِي » أي يعطونني من المال قليلا كفسواق الناقة ، وهو الحلبة الواحدة من لبنها ، و « الوِذَامِ » جمع وَذَمَة وهو الحزّة (٢) من الكرش أو الكبد تقع على التراب فتنفض .

روى هذا الكلام أبو الفرج الاصبهاني في كتاب « الاغاني » . ج ١١ / ٢٩
باسناد رفعه الى الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا الى المدينة ، وبعثني الى علي عليه السلام وكتب اليه : إني لم أبعث الى أحد بأكثر مما بعثت به اليك إلا شيئا في خزائن أمير المؤمنين ، قال : « فأتيت عليا فأخبرته ، فقال : لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد ﷺ ، أما والله إن وليتها لانفضتها نفض القصاب والتراب الوذمة » .

(١) أي ان الصحيح الرواية الاولى اذ لا معنى للثانية ، كما ترى من رأي أبي الفرج في المتن ، ولكن الرضي رحمه الله نقل ما وجد على وجهه بلا تحريف ولا تبديل ثم بين الحقيقة فقال رحمه الله : وهو على القلب وهاكذا فلتكن الامانة .

(٢) الحزّة - بالضم - القطعة .

قال أبو الفرج : هذا غلط (يعني من الراوي) إنما هو الودام التربة .
ثم رواه أبو الفرج بسند آخر عن السعدي عن أبيه وذكر آخره على
الوجه التالي : « والله لأن بقيت لانفضها نفض القصاب الودام التربة » .

وقد روى هذا الكلام الازهري في « تهذيب اللغة » : ج ١٥ ص ٢٧ مادة
(ودم) وأبو عبيد القاسم بن سلام في « غريب الحديث » . وابن دريد في
(المؤلف والمختلف) وأبو موسى محمد بن أبي المديني الاصبهاني فيما استدركه
على (الجمع بين الغريبين) (١) وأبو هلال العسكري في (جمهرة الأمثال) ج ١
ص ١٦٥ ، وفيها قال علي رضي الله عنه : « لانفضهم نفض الجزار الودام
التربة » فقلبه أصحاب الحديث فقالوا : التراب الودمة .

٧٦ - وَمِنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُذْتُ فَعُدْ
عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ
لَهُ وَفَاءً عِنْدِي (٢) ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ
يَلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ ،
وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَافِ ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ (٣) .

(١) انظر (النهاية) لابن الاثير : ج ١ ص ١٨٥ ونقل هناك تفسير
الاصمعي لهذا الكلام .

(٢) وأيت : وعدت ، وأي كوعي : أي وعد .

(٣) رموز الالفاظ : الاشارة بها ، وسقطات الالفاظ : لغوها ،
والجنان : القلب ، والهفوات جمع هفوة وهي الزلة .

روى أبو عثمان الجاحظ آخر هذا الدعاء في (المائة المختارة) من قوله عليه السلام : « اللهم اغفر لي رمزات الأحاظ » إلى آخر ما ذكر الشريف في هذا الموضع . ولا يهمننا أن لا يثبت هذا الدعاء لأمير المؤمنين عليه السلام فلنا فيما روى من أدعيته سلام الله عليه في كتب الفريقين ما يغنى عن هذه السطور الأربعة ، على أنها ثابتة الورود قبل الرضي كما يرى في نقل الجاحظ لبعضها .

٧٧ - وَمِنْ كَلَامِ الرُّعَيْنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لبعض أصحابه ^(١) لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له : يا أمير المؤمنين : إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تطفر بهرادك من طريق علم النجوم ، فقال عليه السلام :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ . وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ (٢) ؟ . فَمَنْ صَدَّقَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ . وَتَبَتَّغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُوَلِّيكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعَمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَأَمِنَ الضَّرُّ .

(١) قيل : هو عفيف بن قيس اخو الاشعث بن قيس .

(٢) حاق به الضر : أحاط .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ :
 أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُوا النُّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ
 فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ (١) فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ وَالْمُنَجِّمِ
 كَالْكَاهِنِ (٢) وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ

نقل ذلك قبل الرضي جماعة منهم :

إبراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث في كتاب « صفين »^(٣) والشيخ الصدوق
 في (عيون أخبار الرضا) نقله بثلاثة أسانيد : ١ - ١٣٨ ونقله أيضاً في
 « الأمالي » ص ٢٤٩ في المجلس الرابع والستين ، ونقله أيضاً في (عيون
 الجواهر)^(٤) .

ولسنا بحاجة إلى ذكر من رواه بعد الرضي فإنه كلام مشتهر روته
 الخاصة والعامة بطرق مختلفة ، وصور شتى لا تختلف عما رواه الرضي إلا في
 بعض الألفاظ .

والظاهر أن الرضي اختار ما نقله هنا من قصة طويلة أنقلها لك عن كتاب
 « صفين » لابن ديزيل ، وعسى أن يكون في هذا ما فيه من فائدة ، قال :
 عزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحرورية ، وكان في أصحابه
 منجم فقال : يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة ، وسر على ثلاث ساعات

(١) استثنى عليه السلام من علم النجوم ما ينفع الناس كعلم الهيئة
 وسير النجوم وحركاتها للاهتمام بها .

(٢) الكاهن : من يدعى علم الغيب .

(٣) شرح النهج الحديدي : م ١ - ٢٠٣ .

(٤) انظر فرج المهموم : ص ٥٧ .

مضين من النهار فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصعابك أذى وضر شديد ، وإن سرت الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت ، وأصبت ما طلبت ، فقال له علي عليه السلام : أتدري ما في بطن فرسي أذكره هو أم انثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، فقال علي عليه السلام : من صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ..) الآية (١) . ثم قال عليه السلام : « إن محمداً ﷺ ما كان يدعي علم ما أدميت علمه ، أتزعم إنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وتصرف عن الساعة التي يحقق السوء بمن سار فيها ، فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ ذكره في صرف المكروه عنه ، وينبغي للموقن بأمرك أن يوليكَ الحمد دون الله جلّ جلاله ، لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وصرفته عن الساعة التي يحقق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً ، اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا ضر إلا ضرّك ولا إله غيرك . »

ثم قال : « نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها » ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به من ظلمات البر والبحر ، إنما المنجم كالكاهن ، والكاهن كالكاfer ، والكاfer في النار ، أما والله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك في السجن أبداً ما بقيت ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان . »

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم فظفر وظهر ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس : سار في الساعة التي أمره بها المنجم

(١) لقمان / ٣٤ .

فظفر وظهر ، أما انه ما كان لمحمد ﷺ منجم ، ولا لنا من بعده حق فتح الله لنا بلاد كسرى وقيصر ، أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي من سواه (١) .

والسيد ابن طاووس رفع الله درجته ، رأى في تضعيف هذه الرواية ، وإن كان لا يؤخذ بظاهرها - إن صححت - ذكر ذلك في كتاب (فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم) ص ٥٧ - ٥٩ وأنا الخص لك ذلك :

١ - إن في طريق هذه الرواية من لا يمكن التعويل عليه كعمر بن سعد بن أبي وقاص قاتل الحسين عليه السلام .

٢ - لو صححت هذه الرواية لحكم أمير المؤمنين عليه السلام إماماً بكونه مرتدّاً عن فطرة فيقتل ، أم عن غير فطرة فيتوب ، فإن امتنع يقتل ، والرواية لم تشر إلى شيء من ذلك .

٣ - إن أمير المؤمنين عليه السلام : لم يبعده ولم يعززه بل قال سيروا على اسم الله .

٤ - جاء في الأدعية المأثورة : التعوذ من السحر والكهانة فلو كان التنجيم كذلك لتضمنته الأدعية .

٥ - جاء في صفات رسول الله ﷺ أنه لم يكن ساحراً ولا كاهناً ولم يرد في صفاته أنه غير عالم بالنجوم .

وأنا أجمل لك ما قيل في ذلك :

١ - إن عمر بن سعد المذكور في طريق الرواية لم يكن عمر بن سعد بن أبي وقاص المباشر لقتال الحسين عليه السلام ، وإنما هو عمر بن سعد بن سعد

(١) شرح النهج للحليدي : م ص ٢٠٣ .

ابن أبي الصيد الأسدي^(١) ومن البعيد جداً أن نصر بن مزاحم المتوفى سنة (٢٠٢) يأخذ عن عمر بن سعد المقتول سنة (٦٦) .

٢ - إن ظاهر التشبيه بالكافر انه ليس بكافر، وإنما يدل معه على اشتراكه معه في بعض الصفات ، لا في جميع الأحكام حتى يقتله في الحال ، أو بعد امتناعه من التوبة على أنه عليه السلام شبهه بالمشبه بالكافر .

٣ - قد ظهر من رواية غير الرضي لهذه الواقعة أن أمير المؤمنين أوعده بالسجن المؤبد والحرم من العطاء، ولم يعلم أن المنجم أصر على العمل بالنجوم حتى يستحق ما أوعده أمير المؤمنين عليه السلام به أم لا ؟ وعدم اشتمال رواية السيد الرضي على هذه الزيادة لا يدل على عدمها ، فإن المعلوم من عادته في (النهج) الاقتصار على ما يختاره من كلامه عليه السلام لا استيفاء النقل .

٤ - ان المنجم يعود ضرره على نفسه ، والكاهن والساحر يعود ضررها على الناس ومع هذا فقد تضمن الدعاء الذي رواه ابن طاووس نور الله ضريحه في باب الاستغارات يتضمن البراءة إلى من التجأ إلى العمل بالنجوم .

٥ - حيث إن المشركين وصفوا رسول الله ﷺ بأنه كاهن وساحر، وشاعر ولم يصفوه بالنجوم ، جاء في صفاته البراءة من تلك الصفات ، ومع ذلك فإنه ﷺ كان عالماً بما هو الحق من علم النجوم^(٢) .

(١) قال فيه الذهبي : شيعي بغيض متروك الحديث ، وقال فسي عمر بن سعد بن أبي وقاص : هو في نفسه غير متهم ، لكنه باشر قتال الحسين وفعل الإفصائل ج ٣ - ٩٨ : و ١٩٩ .
(٢) قال المجلسي رحمه الله يظهر من الاخبار ان نوعاً من هذا العلم حق يعلمه الانبياء والاوصياء ، واما ان ما في أيدي الناس من ذلك فلا .

٧٨ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ حَرْبِ الْجَمَلِ فِي ذِمِّ النِّسَاءِ

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ (١) نَوَاقِصُ
الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ ، فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ
فَقَعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ،
وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ
مَوَارِيثِ الرِّجَالِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ
كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، فَاتَّقُوا شَرَّاءَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا
مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى
لَا يَظْمَنَ فِي الْمُنْكَرِ .

تقدم في الخطبة ٢٦ : أن هذا الكلام من جملة كتاب له عليه
السلام كتبه بعد احتلال عمرو بن العاص لمصر ، وقتل محمد بن أبي بكر ،
استعرض فيه الأحداث من أيام رسول الله ﷺ إلى اليوم الذي حرر فيه ذلك

(١) هذا مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (ما رأيت
ناقصات عقل ودين أغلب لعقول ذوي الالباب منها ، قيل : ما نقصان
دينهن قال : تمكث احداهن الايام والليالي لا تصلي) رواه الرازي في
تفسيره ٧١/٦ .

الكتاب ، وأمر أن يقرأ على الناس ، وذكرت هناك : أنه ليس من البعيد أنه عليه السلام قال هذا الكلام بالخصوص أكثر من مرة ، منها في ذلك الكتاب ومنها بعد حرب الجمل كما ذكر السيد الشريف في هذا الموضع ، وإنسا قلت ذلك اعتماداً على نص الشريف هنا ، وما ذكره سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ٨٥ حيث قال : ذكر علماء السير : أن علياً عليه السلام لما فرغ من حرب الجمل صعد منبر البصرة فخطب الناس وقال : « إن النساء نواقص الإيمان .. الخ » بأدنى تفاوت عما ذكر الرضي .

ويظهر أيضاً من رواية السبط : أن الخطبة (١٣) التي أول ما ذكر في « النهج » منها : (كنتم جند المرأة) والخطبة (١٤) والتي أول ما ذكر منها : (أرضكم قريبة من الماء) خطبة واحدة لأنه ساقها بمساق واحد .

وعلى كل حال لقد أثبتنا مصادر هذا الكلام قبل الشريف الرضي هناك ونزيد عليه هنا :

أن أبا طالب المكي المتوفى سنة (٣٨٢) نقل عبارة (أن النساء نواقص العقول) في قوت القلوب ج ١ ص ٢٨٢ وذكر تعليقاً لبعض العلماء عليها . وأن الشيخ الكليني ذكر من هذا الكلام آخره في الجزء الخامس من « فروع الكافي » بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له « اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر » إلى آخر ما ذكره الشريف ، وأرجو الانتباه لقوله : « في كلام له » لتعلم أن الكلام أكثر مما رواه الكليني .

وللشيخ محمد عبده تعليق لطيف على قوله عليه السلام : «نواقص العقول » ولعل المطالع يستلطفه أيضاً فلا بأس بنقله ، قال :

خلق الله النساء وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معين لا يكاد ينتهي حتى تستعد للحمل وولادة وهكذا ، فلا يكدن يفرغن من الولادة

والتربية فكانهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفتوة فكان في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث .

٧٩ - وَمِنْ كَلَامِ الزَّعْلِيَّةِ السَّيِّئَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ ،
وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ (١) . فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا
يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ (٢) وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ
فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتِبَ بَارِزَةً
الْعُذْرُ وَاضِحَةً (٣) .

روى صدر هذا الكلام - قبل الرضي - الصدوق في (معاني الأخبار)
ص ٢٥١ ، وفي (الحُصَالِ) ج ١ ص ١١ ، وروى آخر الكلام البرقي في
(المحاسن) : ص ٢٣٤ بتفاوت ، ورواه بعد الرضي صاحب (غرر الحكم)

(١) الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات .

(٢) عزب عنكم : أي بعد وفاتكم .

(٣) يقال : أعذر فلان إلى فلان أي أقام لنفسه عذراً فيما عاقبه به
لأنه حذره من مخالفته ، والكلام هنا على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له
تعالى منزلة قيام العذر لنا والمسفرة : الواضحة ، وبارزة العذر :
ظاهرة .

ص ١١٩ بتفاوت يسير جداً ، والفتال في (روضة الواعظين) ص ٤٣٤ في كلمة تشتمل على الحكم الآتية في (باب الكلمات القصار) برقم (٢٧) و(٧٢) و (٤٣٩) ، ونقله عنه الطبرسي في (مشكاة الانوار) : ص ١٠٦ .

٨٠ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنْ أَسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ (١) وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ . وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ (٢) . وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعَمَّتَهُ .

قال الرضي رحمه الله : أقول واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام : (من أبصر بها بصرته) وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ، ولا يدرك غوره ، ولا

(١) ساعاها : جرى معها في مطالبتها ، وفاتته : سبقته واتته : طاوعته .

(٢) أبصر بها : أتي فكر في احوالها ، وأبصر اليها : اشتغل بها حتى أعمته عن كل ما يراد منه .

سما اذا قرى اليه قوله : (ومن أبصر اليها أعمته) . فانه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر اليها واضحاً نيراً وعجيباً باهراً .

قد تواترت عنه عليه السلام صفة الدنيا هذه ، ومن الكتب الذي رويت فيها قبل (النهج) :

١ - « الكامل للمبرد : ج ١ ص ٨٨ ، قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في خطبة : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ، فقال : ما أصف من دار أولها عناء .. الخ .

٢ - « الأمالي » للقالبي ج ٢ ص ١١٧ بسنده عن أبي عبيدة ، قال : سألت رجلاً علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : صف لنا الدنيا ؛ فقال : وما أصف من دار .. الخ .

٣ - « المجتنب » لابن دريد : ص ٣١ .

٤ - « تحف العقول » لابن شعبة الحراني ص ١٣٨ .

٥ - « العقد الفريد » لابن عبد ربه : ج ٣ ص ١٧٢ .

وبعد (نهج البلاغة) :

٦ - « الأمالي للمرئضي ج ١ ص ١٥٣ .

٧ - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٣٦ .

٨ - مشكاة الأنوار للطبرسي ص ٢٤٣ .

٩ - غرر الحكم للآمدي ص ٨٦ في حرف الألف بلفظ إن المشددة .

١٠ - كنز الفوائد للكراچكي : ص ١٦٠ قال : ومن بديع كلام أمير

المؤمنين عليه السلام الذي حفظ عنه أن رجلاً قطع عليه خطبته ، وقال له : صف لنا الدنيا فقال : « أولها عناء .. الخ ، وذكر ما رواه الرضي بتفاوت ، ثم قال بعد ذلك : وعاد إلى مكانه من خطبته ، وهذا أعلى درجة في حضور الخاطر .

٨١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ لِبُعَاثِ السَّيْلَانِ

وَهِيَ مِنَ الْخُطَبِ الْعَجِيبَةِ وَتُسَمَّى الْغُرَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ (١) .
 مَانَحَ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَفَضَّلَ ، وَكَاشَفَ كُلَّ عَظِيمَةٍ
 وَأَزَلَّ (٢) أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ
 نِعَمِهِ (٣) . وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا (٤) . وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا
 هَادِيًا . وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا
 نَاصِرًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عُدْرِهِ وَتَقْدِيمِ
 نُذْرِهِ (٥) .

(١) الحول : القوة ، والطول : الافضال .

(٢) المانح : المعطي ، والازل ، بفتح الهمزة - : الضيق والشدة .

(٣) العواطف جمع عاطفة وهي ما يعطفك على الغير ، ويدنيه من معروفك ، والسوابغ : التوام الكوامل من سبغ الظل اذا تم وشمل .
 (٤) اولا منصوب على الظرفية ، وباديا منصوب على الحال وكذلك ما بعدها من صفاته جل جلاله ، اي احمده قبل كل شيء ، والبادي : الظاهر .

(٥) انتهاء عُدْرِهِ : ابلاغه ، والمعنى : انه تعالى اعذر الى خلقه بان عرفهم ان عصوه استحقوا العقاب ، وانذاره تخويله اياهم من عقابه .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ
الْأَمْثَالَ ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ ، وَالْبَسَكُمْ الرِّيشَ وَأَرْفَعَ
لَكُمْ الْمَعَاشَ (١) ، وَأَجَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ ، وَأَرْصَدَ
لَكُمْ الْجَزَاءَ (٢) ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ ،
وَالرَّفْدِ الرَّوَافِغِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ (٣) .
وَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا ، وَوَضَّفَ لَكُمْ مُدَدًا (٤) ، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ ،
وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبِرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا ،
فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ مَشْرُبُهَا ، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ مَنْظَرُهَا ،
وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَضَوْءٌ آفِلٌ ، وَظِلٌّ
زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ (٥) حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا ،

-
- (١) الرياش والريش : اللباس ، وارفع المعاش : جعله واسعا ،
والرفيغ - بالفين المعجمة - الواسع .
(٢) أحاطكم بالاحصاء : أي أحصى كل شيء منكم بعلمه وأحاط به
فلا يفوته من ذلك دقيق ولا جليل ، وأرصد لكم الجزاء : أعد له لكم .
(٣) الرشد جمع رشفه - كقطة - : الصلة والعطاء ، والروافغ :
الواسعة ، والبوالغ : الظاهرة البينة .
(٤) وظف لكم : قدر لكم ، والمدد جمع مدة وهي الزمن ، وقسار
خبرة أي دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا وفيها الاعتبار .
(٥) رنق : كدر : وردغ كثير الطين ، والمونق : المعجب ، والموبق :
المهلك ، وحائل من حال إذا تحول وانتقل ، وآفل : لا يلبث أن يظهر حتى
يفيب ، والسناد ، ما يستند إليه .

وَأَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ
بِأَحْبُلِهَا (١) . وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا . وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ
أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ (٢) . قَائِدَةٌ لَهُ إِلَى ضَنْكَ الْمَضْجَعِ ،
وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ ، وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ ، وَثَوَابَ الْعَمَلِ .
وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ ، لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ
أَخْتِرَامًا ، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ أَجْتِرَامًا (٣) . يَحْتَنِدُونَ
مِثَالًا ، وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ ، وَصَيُورِ
الْفَنَاءِ (٤) حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ
الدُّهُورُ ، وَأَزِفَ النَّشُورُ (٥) أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ

-
- (١) أنس نافرها: أي أنس بها من كان نافرًا بعقله عنها، وناكرها: الجاهل
بها وقمص الفرس: أي استن وهو أن يرفع يديه ويطرحها معا ونزل
اليدين منزلة الأرجل لأنها تمشي على جميعها، وتروى «بارحها» - بالحاء
جمع رحل ، وقنصت: اصطادت .
(٢) أقصدت: قتلت مكانها من غير تأخير ، وعلقت به: ربطت بعنقه
والأوهاق جمع وهق - بالتحريك والتسكين - الحبال .
(٣) لا تغلق: لا تترك ، والاخترام: اذهاب الانفس واستئصالها ،
ولا يرعوي: لا يكف ، والاجترام: افتعال من الجرم .
(٤) يحتنون: يقتنون ، وأصله من حذو النعل بالنعل إذا قدرت كل
واحد منها الى صاحبها ، وارسالا جمع رسل: القطيع من الغنم والابل
وصيور الامر - كتنور - مصيره وما يؤل اليه .
(٥) ازف: قرب .

الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ السَّبَّاحِ ، وَمَطَارِحِ
 الْمَهَالِكِ ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ (١) .
 رَعِيلاً صُمُوتاً (٢) ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ ،
 وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي (٣) . عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْأِسْتِكَانَةِ ،
 وَضَرْعُ الْأَسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ (٤) . قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ ،
 وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَهَوَتْ الْأَفْتِدَةُ كَاطِمَةً (٥) ، وَخَشَعَتِ
 الْأَصْوَاتُ مَهْنِمَةً (٦) وَالْجَمُّ الْعَرَقُ ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ ،
 وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ (٧)

- (١) الاوكار جمع وكر وهو عش الطير، والاورجة جمع وجار وهو الجحر مسكن السبع والضبع ونحوها ، والمطارح : الامكنة البعيدة ، ومهطعين : مقبلين .
- (٢) الرعيل : القطعة من الخيل ، وشبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل .
- (٣) ينفذهم البصر ، يجاوزهم ويحيط بهم . أي لا يعزب واحد منهم عن بصر الله تعالى .
- (٤) اللبوس - بالفتح - ما يلبس ، والاستكانة : الخضوع ، والضرع الضعف والخشوع .
- (٥) هوت الافئدة : خلت من المسرة ، وكاطمة : ساكنة .
- (٦) والهينمة : الكلام الخفي .
- (٧) الشفق - بالتحريك - الخوف ، وارعدت : عرتها رعدة ، والزبرة : الصوت الزاجر وفصل الخطاب : البت في الحكومة ، والمقايضة : المعاوضة .

وَمُقَايَظَةِ الْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ ،
 عِبَادُ مَخْلُوقُونَ اقْتِسَادَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً (١)
 وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً ، وَمُضْمَنُونَ أَجْدَاثاً ، وَكَائِنُونَ
 رُفَاتاً ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ، وَمُمِيزُونَ
 حَسَاباً ، قَدْ أُمِهُلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ (٢) وَهَدُوا
 سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ، وَعُمِّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ ، وَكُشِفَتْ
 عَنْهُمْ سُدُفُ الرِّيبِ (٣) وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ (٤) .
 وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ ، وَأَنَاءِ الْمُقْتَبِسِ الْمُتَرَادِ (٥) فِي مُدَّةِ
 الْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ ، فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَسَائِبَةً ،
 وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعاً

(١) مربوبون : مملوكون ، الاقتسار : الغلبة ، والاحتضار : حضور
 الملائكة ، والاجداث جمع جدث وهو القبر ، والرفات : العظام ، ومدِينُونَ ،
 مجزِئُونَ ، ومميزُونَ حساباً كل واحد يحاسب على عمله منفصلاً
 عن سواه .

(٢) المخرج : المخلص من ربة المعاصي بالتوبة ، والمنهج : الطريق
 (٣) والمستعتب : المسترضى ، والسدف جمع سدف - بالتحريك
 - المراد به هنا الظلام ، والريب جمع ريبة وهي الشبهة .

(٤) مر معناه في تفسير الخطبة (٢٨)

(٥) الروية : الفكرة ، والارتياذ : الطلب ، والاناء : التوادة ، والمقتبس
 هنا طالب العلم ، والمضطرب : مدة الاضطراب اي الحركة في العمل .

وَاعِيَةً ، وَآرَاءَ عَازِمَةٍ ، وَالْبَابُ حَازِمَةٌ (١) ، فَاتَّقُوا
 اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاغْتَرَفَ وَوَجَلَ
 فَعَمَلَ ، وَحَازَرَ فَبَادَرَ ، وَأَيَقَنَ فَاَحْسَنَ ، وَعَبَّرَ فَاَعْتَبَرَ ،
 وَحَذَّرَ فَازْدَجَرَ (٢) ، وَأَجَابَ فَاَنَابَ ، وَرَجَعَ فَتَابَ ،
 وَأَقْتَدَى فَاَحْتَذَى ، وَأَرَى فَرَأَى (٣) . فَاسْرَعَ طَالِباً ،
 وَنَجَا هَارِباً ، فَافَادَ ذَخِيرَةً (٤) وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَرَ
 مَعَاداً ، وَأَسْتَظْهَرَ زَاداً (٥) . لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجْهِ
 سَبِيلِهِ ، وَحَالِ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاَقْتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ
 لِدَارِ مُقَامِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ
 لَهُ (٦) . وَأَحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ

-
- (١) صائبة : غير خاطئة ، وشافية : تبرأ من مرض الجهل ، والواعية :
 الحافظة ، والعازمة : ذات العزم ، والالباب : العقول ، والحازمة : ذات
 الحزم ، وحزم الرجل : ضبط أموره .
 (٢) اقتترف : اكتسب ، ووجل : خاف ، وبادر : سارع ، وعبر :
 أرى ، العبرة وهي الموعظة ، وازدجر : امتنع .
 (٣) أناب : أي ورجع ، واحتذى : شاكل بين عمله وعمل مقتداه ،
 وأرى فرأى : أي بصر بما يراه منه فأبصر .
 (٤) أفاد أي استفاد .
 (٥) استظهر أي حمل .
 (٦) الجهة : الجانب منصوبة بفعل مقدر تقديره اقصوا جهة ما
 خلقتكم له .

نَفْسِهِ (١) وَاسْتَحَقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّحْجُزِ لِصِدْقِ
مِيعَادِهِ (٢) وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

(مِنْهَا) جَعَلَ لَكُمْ اسْمَاعاً لَتَعِي مَا عَنَّاها ، وَأَبْصَاراً
لَتَجْلُوَ عَنْ عَشَاها (٣) وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِها ،
مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِها (٤) . فِي تَرْكِيبِ صُورِها ، وَمُدَدِ
عُمُرِها ، بِإِبْدَانِ قَائِمَةٍ بِإِرْفَاقِها (٥) وَقُلُوبِ رَائِدَةٍ
لِلْأَرْزَاقِها ، فِي مُجَلِّدَاتِ نِعْمِهِ (٦) وَمُوجِبَاتِ مِنْهِ ،
وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ ، وَقَدَرِ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ،
وَخَلْفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ

(١) حذرنا نفسه سبحانه ان نتعرض لمعصيته فنستحق عقابه ،
وكنه ذلك : غايته ونهايته .

(٢) تنجز الحاجة : طلب تعجيلها ، وتنجز ما وعد الله بالعمل له .

(٣) تعي : بحفظ ، وعناها : أهمها ، وتجلو : تكشف ، والعشا :
عدم الابصار ليلاً .

(٤) الاشلاء جمع شلو وهو العضو ، والاحناء جمع حنو : ما اعوج
من البدن ، وملائمة الاعضاء لها : تناسبها مع البدن .

(٥) الارفاق جمع رفق - بالكسر - المنفعة أو ما يستعان به عليها ،
ورائدة : طالبة .

(٦) مجلدات نعمه : اي العامة من قولهم : سحب مجل اذا طبق
لارضى ، وحواجز : موانع ، اي في عافية تحجز عنكم المضار .

مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ (١) ، أَرْهَقْتَهُمْ
 الْمَنَايَا دُونَ الْأَمَالِ ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَحْرُمُ الْأَجَالِ (٢) ،
 لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةٍ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي
 أَنْفِ الْأَوَانِ (٣) . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ
 الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ ، وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصَّحَةِ إِلَّا
 نَوَازِلَ السَّقَمِ ، وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ (٤)
 مَعَ قُرْبِ الزَّيَالِ وَأُزُوفِ الْإِنْتِقَالِ ، وَعَلَزِ الْقَلْقِ ، وَالْمِ
 الْمَضْضِ ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ (٥) ، وَتَلَفَّتِ الْإِسْتِغَاثَةُ
 بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرَبَاءِ ، وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ (٦) ،

(١) الخلاق : النصيب الوافر ، والخناق - بالفتح والكسر - جبل
 يخنق به ، وتقدير الكلام : خلف لكم عبرا من القرون السالفة منها تمتعهم
 بنصيبهم من الدنيا ، وفسحة خناقهم فيها ثم كانت عاقبتهم الفناء والهلاك .
 (٢) ارهقتهم : اعجلتهم ، وشذبهم : فرقهم ، وتخرمت زيد المنية :
 استأصلته .

(٣) أنف - بضمين - الاوان : أوله

(٤) البضاضة : امتلاء البدن وقوته وحوانه : جمع حانية : وهي
 العلة لهرم الكبر ، وغضارة العيش طيبه ، والاونة جمع اوان وهو الحين .

(٥) الزيال : الفراق ، وأزوف الانتقال : قربه ، علز القلق : وجع
 يصيب الانسان مع هلع ، والمضض بلوغ الحزن من القلب ، والجرض : الريق
 (٦) الحفدة : البنات واولاد الاولاد والاصهار ، والقرناء جمع قرين
 وهو الصاحب .

فَهَلْ دَفَعَتْ الْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتْ النَّوَاحِبُ ، وَقَدْ غُوْدِرَ
فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا (١) وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ
وَحِيدًا ، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جُلْدَتَهُ ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ
جِدَّتَهُ (٢) ، وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا الْحَدَثَانِ
مَعَالِمَهُ (٣) وَصَارَتْ الْأَحْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضْئِهَا ،
وَالْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا (٤) وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ
أَعْبَائِهَا (٥) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ
صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا (٦)
أَوْلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءَ .
تَحْتَذُونَ أَمْثَلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ (٧) وَتَطَّأُونَ

-
- (١) النواحب جمع ناحية وهي الرافعة صوتها بالبكاء ، وغودر :
ترك ، ورهينا : حبيسا .
(٢) هتكت : جذبت جلده حتى قطعتها ، والنواهك جمع ناهكة وهي
ما ينهك البدن اي يباليه .
(٣) عفت : درست ، والعواصف : الرياح الشديدة ، والحدثان :
الليل والنهار ، والمعالم : الرسوم
(٤) شجبة : هالكة ، ونخرة : بالية
(٥) الاعباء : الاثقال ، وموقنة بغيب انبائها : علمت بما صارت اليه
من خير أو شر .
(٦) تستعتب بالبناء للمفعول اي لا يطلب منها تقدم العتبى وهي
التوبة أو بالبناء للفاعل : لا يمكنها ان تطلب الرضا .
(٧) القدة - بكسر القاف وتشديد الدال المهملة - الطريقة .

جَادَتْهُمْ ، فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ
رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ، كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا ،
وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُم عَلَى الصِّرَاطِ ، وَمَزَالِي دَحْضِهِ ،
وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ (١) فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً
ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ ،
وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ،
وَوَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ
الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضْعِ السَّبِيلِ ،
وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتَلِهِ
فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ (٢) ، وَلَمْ تَغْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ

(١) المزالق جمع مزلق وهو الموضع الذي لا تثبت عليه قدم ،
والدحض : انقلاب الرجل بفتة ، والزال : انزلاق القدم ، والتارات :
الدفعات ، والاهوال : المخاوف .

(٢) انصب : اتعب ، والتهجد : قيام الليل ، والفرار بالكسر : القليل
من النوم ، والهواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر .
وظلف : منع ، واوجف : أسرع كأنه جعل الذكر لشدة تحريكه اللسان
موجفاً به ، والمخالج : الأمور المشغلة الجاذبة ، ووضح السبيل أي الطريق
الواضح ، واقصد المسالك : اقومها ، لم تفتله : لم تدره .

الأمور ، ظافراً بفرحة البشري ، وراحة النعمي (١)
 في أنعم نومه ، وآمن يومه ، قد عبر معبر العاجلة
 حمداً (٢) . وقدم زاد الآجلة سعيداً ، وبادر من
 وجل ، وأكمش في مهل ، ورغب في طلب ، وذهب
 عن هرب (٣) وراقب في يومه غده ، ونظر قدماً
 أمامه (٤) فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً ، وكفى بالنار
 عقاباً ووبالاً ، وكفى بالله منتقماً ونصيراً ، وكفى
 بالكتاب حجيلاً وخصيماً (٥) .

أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر ، وأحتج
 بما نهج (٦) . وحذركم عدواً نفذ في الصدور خفياً ،

(١) لم تعم : أي لم تخف عليه الأمور المشتبهة : والنعمى - بالضم - سعة العيش ونعيمه .

(٢) العاجلة : الدنيا وسميت معبراً لأنها طريق يعبر منها إلى الآجلة .

(٣) أكمش : عزم ومضى قدماً ، ورغب فيما هو حري أن يطلب ، وذهب عما هو أحق أن يهرب منه .

(٤) القدم - بفتحيتين - ما يقدم

(٥) الكتاب : القرآن الكريم وحجيلاً وخصيماً أي وكفى به مقنعاً لمن خالفه

(٦) أعذر بما أنذر أي سلب عذر المعتذر بالذاهر إياه بعواقب العمل ، وقامت له الحجة بما نهج أي أوضح من الخير والفضيلة .

وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا (١) ، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى ، وَوَعَدَ
فَمَنِّي ، وَزَيْنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ، وَهَوْنَ مُوبِقَاتِ
الْعِظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ ، وَاسْتَغْلَقَ
رَهِيْنَتَهُ ، أَنْكَرَ مَا زَيْنَ (٢) وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوْنَ ، وَحَذَّرَ
مَا أَمَّنَ .

(وَمِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ) أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ
فِي ضُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَشُغِفِ الْأَسْتَارِ ، نُطْفَةً دِهَاقًا
وَعَلَقَةً مُحَاقًا ، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا ، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا (٣) .
ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا ، وَلِسَانًا لَافِظًا ، وَبَصَرًا
لَاحِظًا ، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا ، وَيُقْصِرَ مُزْدَجِرًا ، حَتَّى

(١) العدو هو الشيطان لعنه الله ، والكلام تمثيل لدقة مجاري
وسوسته

(٢) الموبقات : المهلكات ، والقريئة النفس التي يقارنها بالوسوسة ،
واستغلق الرهن : جعله بحيث لا يمكن تخليصه ، وانكر ما زين بيان لتبريه
ممن أغواه .

(٣) ام هنا منقطعة بمعنى بل كأنه اضرب عما كان يعظم به وجعل
يتلو عليهم صفة خلق الانسان ، والشغف جمع شفاف وهو في الاصل
غلاف القلب فاستعاره للمشيمة ، ودهاقا : متتابعها صبها ، والعلقة القطعة
من الدم ، ومحاقا محوة ، مأخوذة من المحاق - بالضم - الليالي الثلاث
من آخر الشهر ، واليافع : المشرف على العشرين .

إِذَا قَامَ أَعْتَدَالُهُ ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ (١) نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا ،
وَحَبَطَ سَادِرًا ، مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ (٢) ، كَادِحًا
سَعِيًا لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرْبِهِ ، لَا
يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً (٣) وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً ، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ
غَرِيرًا وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا ، لَمْ يُفِدْ (٤) عِوَضًا ، وَلَمْ
يَقْضِ مُفْتَرَضًا ، دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ أَلْمَنَِّةٍ فِي غُبَرِ
جِمَاحِهِ ، وَسَنَّ مِرَاحِهِ (٥) . فَظَلَّ سَادِرًا (٦) وَبَاتَ
سَاهِرًا ، فِي غَمَرَاتِ أَلْأَلَامِ ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ
وَالْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ
بِالْوَيْلِ جَزَعًا ، وَلَا دِمَّةٍ لِلْمُصَدِّرِ قَلَقًا (٧) . وَالْمَرْءُ فِي

- (١) ويقصر يكف ، ومزدجرا : ممتنعا ، والمثال : القامة
(٢) السادر : المتحير ، والماتح : الذي ينزل في البشر ليملا الدلو ،
والغرب : الدلو العظيمة .
(٣) البدوات جمع بداة ما يخطر له من آرائه التي تختلف فيها
دواعية ، لا يحتسب : لا يفكر في وقوعها ، والرزية واحدة الرزايا :
المصيبة ، والتقية : الخوف .
(٤) غرير : مغرور ، والهفوة : الزلة ، ولم يفد : لم يستفد ، والمراد
بالعوض : الشواب .
(٥) دهمته : غشيتته : والغبر : بضم فتشديد - جمع غابر وهو
الباقى ، والجماح : ارتكاب الهوى والمراد بقايا تعنته وعدم انقياده ، والسنن :
الطريقة ، والمرح : شدة الفرح والنشاط .
(٦) ظل : عاد ، سادرا : حائرا حين بدأ به المرض
(٧) اللادمة : الضاربة صدرها عند النياحة .

سَكْرَةً مُلْهِيةً ، وَغَمْرَةً كَارِثَةً (١) وَأَنَّهُ مُوجِعَةٌ ، وَجَذْبَةٌ
مُكْرِبَةٌ ، وَسَوْقَةٌ مُتْعِبَةٌ ، ثُمَّ أُذْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا (٢)
وَجُذِبَ مُنْقَادًا سَلِسًا ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ
وَصَبٍ (٣) وَنَضُو سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوِلْدَانِ (٤)
وَحَشْدَةُ الْأَخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطِعَ زَوْرَتِهِ (٥)
وَمُفْرَدٍ وَحْشَتِهِ حَتَّى إِذَا أَنْصَرَفَ الْمَشِيعُ ، وَرَجَعَ
الْمُتَفَجِّعُ ، أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ ،
وَعَشْرَةَ الْأَمْتَحَانِ (٦) . وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةٌ نَزُولُ

(١) ملهية أي تشغله عما كان يهتم به وتروى « ملهية » أي تكثر لهشه :
واللهث : اخراج اللسان من الأعياء والعطش والغمرة : الشدة ، والكارثة :
القاطعة للامال ، الأنة – بتشديد النون واحدة الآن أي التوجع ، والجذبة
واحدة الجذبات : أي الانفاس عند الاحتضار أو المراد به جذب الملك الروح
من الجسد ، والسوقة من ساق المحتضر نفسه عند الموت أو من سياق
الروح عند الموت

(٢) المبلس : الإيس من الرجوع إلى الدنيا ، أو من الإبلاس وهو
الانكسار والسلس : السهل .

(٣) الرجيع : الكال ، والوصب : التعب ، والنضو : المهزول .

(٤) الحفدة : الإخوان ، والحشدة جمع حاشد وهو المتهيء المستعد .

(٥) دار غربته : قبره وكذلك منقطع زورته لأن الزيارة تنقطع عنده ،
ومفرد وحشته كذلك ، لاستيحاش الناس منه .

(٦) النجى : من تكلمه سرا ، وبهتة السؤال حيرته .

الْحَمِيمِ (١) وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ
وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ ، لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ (٢) ! . وَلَا دَعَةً
مُزِيحَةً ، وَلَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ ، وَلَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ ، وَلَا سِنَةَ
مُسْلِيَةٍ ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ (٣) وَعَذَابِ السَّاعَاتِ
إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ .

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الَّذِينَ عَمَّرُوا فَنَعَمُوا (٤) وَعُلِّمُوا
فَفَهَّمُوا ، وَأَنْظَرُوا فَلَهُوا (٥) وَسَلَّمُوا فَنَسُوا (٦) .
أَمْهَلُوا طَوِيلًا ، وَمُنَحُّوا جَمِيلًا ، وَحَذَّرُوا أَلِيمًا ،
وَوَعَدُوا جَسِيمًا ، إِحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِّطَةَ ، وَالْعُيُوبَ

(١) الحميم : في الاصل الماء الحار ، والمراد هنا النار ، والتصلية :
الاحراق وفورات جمع فورة وهي شدة الحر ، والسعير : اسم من اسماء
النار ، والسورة : الشدة ، والزفير صوت النار عند التوقد .

(٢) الفترة : السكون اي لا فترة حتى يستريح المعب من الالم
ولا دعة : اي راحة حتى تزيج ما اصابه من التعب ، ولا يجد قوة تحجزه
اي تمنعه من الالم ، ولا موة ناجزة اي سريعة حتى لا يشعر بالعذاب ،
والسنه - بكسر السين وتخفيف النون - أوائل النوم ومسلية : ملهية .

(٣) الاطوار : الانواع ، والموتات جمع موة اي كل نوبة من نوب
العذاب كأنه موت لشدته .

(٤) عمروا : عاشوا ، ونعموا : تنعموا

(٥) انظروا : امهلوا ، قالهاهم الامهال عن العمل .

(٦) اي انستهم السلامة ما يراى منهم .

الْمُسَخَّطَةُ (١) .

أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ ، هَلْ
مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ ؟ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ ؟ أَوْ فِرَارٍ أَوْ
مَحَارٍ (٢) ؟ أَمْ لَا فَأَنِّي تُؤْفَكُونَ (٣) ؟ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ ؟
أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُونَ ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ،
ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، قَيْدٌ قَدَّهُ (٤) مُتَعَفِّرًا عَلَى
خَدِّهِ ، الْآنَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَالْخَنَاقُ مُهْمَلٌ (٥) وَالرُّوحُ
مُرْسَلٌ ، فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ (٦) وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ
الْإِحْتِشَادِ (٧) . وَمَهْلٍ الْبَقِيَّةِ ، وَأُنْفٍ الْمَشِيَّةِ (٨) .

(١) المورطة : المهلكة

(٢) المناس : المنجى والمحرار : الرجوع الى الدنيا من حار يحور : اذا رجع

(٣) تؤفكون : تقلبون أي تنقلبون .

(٤) القيد : المقدر ، والقدر : القامة ، والمتعفر الذي لامس العفر

وهو في التراب .

(٥) الخناق - بفتح الخاء المعجمة - الجبل الذي يخنق به ، واهماله :

عدم شدة على العنق ، والمراد بالاهمال مدة الامهال .

(٦) الفينة - بالفتح - الحال ، ويروى « الارتداد » وهو الطلب .

(٧) الباحة : الساحة ، والاحتشاد : الاجتماع

(٨) الانف - بضمين - مستأنف المشيئة أي بإمكانكم استئناف

مشيئة وارادة حسنة لو أردتم .

وإِنظَارِ التَّوْبَةِ ، وَأَنْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ (١) قَبْلَ أَلْضَنِّكَ
وَالْمَضِيقِ ، وَالرُّوعِ وَالزُّهُوقِ (٢) وَقَبْلَ قُدُومِ
الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ (٣) وَأَخْذِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ .

قال الرضي رحمه الله : وفي الخبر : أنه عليه السلام لما خطب بهذه
الخطبة اقشعرت لها الجلود ، وبكت العيون ، ورجفت القلوب ، ومن الناس
من يسمي هذه الخطبة « الفراء » .

هذه الخطبة من خطبه عليه السلام المعروفة ، وفيها من اللطائف والدقائق
ما عده ابن أبي الحديد من معجزاته التي فات بها البلغاء ، وأخرس الفصحاء^(٤) .

وفي قول الرضي رحمه الله : « ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بالفراء »
دليل على أنها كانت معروفة بين الناس .

وقال ابن أبي الحديد : قال شيخنا أبو عثمان — يريد الجاحظ — رحمه
الله تعالى : حدثني ثمامة^(٥) : قال سمعت جعفر بن يحيى — وكان من أبلغ الناس
وأفصحهم — يقول : الكتابة ضم اللفظة إلى اختها ، ألم تسمعوا قول شاعر
لشاعر وقد تفاخرا : أنا أشعر منك لأنني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول
البيت وابن عمه ! ثم قال : وناهيك حسناً بقول علي بن أبي طالب عليه

(١) الحوبة : الحاجة ، والانفساح : سعة الوقت

(٢) الروع الخوف ، والزهُوق : الاضمحلال

(٣) الغائب المنتظر : الموت .

(٤) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٨٦ .

(٥) يريد ثمامة بن أشرس من كبار علماء المعتزلة ، وجعفر المذكور هو
البرمكي فانظر كيف كانت هذه الخطبة معروفة بين الناس في ذلك العصر .

السلام : « هل من مناص أو خلاص ، أو معاذ أو ملاذ ، أو فرار أو محار ؟ » .

قال أبو عثمان : وكان جعفر يعجب أيضاً بقول علي عليه السلام : « أين من جد واجتهد ، وجمع واحتشد ، وبنى فشىد ، وفرش فمهد ، وزخرف فنجد ^(١) ؟ » ألا ترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها ، جاذبة إياها إلى نفسها دالة عليها بذاتها . قال أبو عثمان : فكان جعفر يسميه فصيح قریش ^(٢) .

ثم عقب ابن أبي الحديد ببيان فصاحة أمير المؤمنين عليه السلام وأنه أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين بكلمة ذكرناها فيما تقدم من هذا الكتاب تحت عنوان الكتب المؤلفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

ويتجلى لك أن هؤلاء الأعلام يرون أن هذه الخطبة من كلام مولانا أمير المؤمنين ، لا يخالجه في ذلك شك ولا يخامرهم فيها ريب ، وكفى بهؤلاء حججاً على صحة الإسناد ، وأدلة على ثبوت الرواية ، على أن هذه الخطبة تشهد بنفسها لنفسها فإن مفرداتها سهلة سلسة ، لا وحشية ولا معقدة ، وجملها حسنة المعاني ، سريعة الوصول إلى الأفهام ، وقد اشتملت على أكثر المحسنات البديعة ، من المقابلة والمطابقة ، وحسن التقسيم ، وردة الكلام على صدره ، والتصريح والتسليم ، والتوشيح ، والمائلة ، والإستعارة والموازنة ، والتكافؤ والتسميط ، والمشاكلة وغير ذلك ^(٣) .

ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطب أمير المؤمنين عليه

(١) هذه الكلمات ليست من الخطبة الفراء وإنما هي من خطبة أخرى له سلام الله عليه .

(٢) شرح النهج : م ٢ ص ٩٨

(٣) انظر مدارك نهج البلاغة ص ٨٤ و ٨٥ .

السلام وكتبه ، مبثوثة متفرقة في فرش كلامه عليه السلام ^(١) .

وختم ابن أبي الحديد شرحه لهذه الخطبة بقوله :

« وأعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب ، وصاحبه منسوب إلى السفه ، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشد سبهاً ممن رام الإستدلال بالأدلة النظرية عليها » ^(٢) .

وقد روى ابن شعبة وهو أسبق من الشريف الرضي من هذه الخطبة في (تحف العقول) ص ١٤٦ من قوله سلام الله عليه : « إنكم مخلوقون اقتداراً » إلى « وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الغناء » مع تفاوت يسير جداً ، وزيادة بعض العبارات .

كما روى القاضي القضاعي في الباب الثالث من (دستور معالم الحكم) ص ٥٩ قوله عليه السلام : « إنكم مخلوقون اقتداراً .. الخ » مع تفاوت في بعض الألفاظ يدل على أنه لم ينقلها عن (نهج البلاغة) ثم أدخل فيما رواه جملاً أخرى من مواعظه صلوات الله عليه وأكثرها منقول في (النهج) وساق الجميع كأنه كلام واحد .

ونثر الأمدي جملاً من هذه الخطبة في تضاعيف (غرر الحكم) مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات نستنتج معه أنه لم ينقل ما نقله عن (النهج) وبحسبك أن ترجع إلى حرف الهاء من الكتاب المذكور فتري ما نقله هناك لترى صحة هذا الاستنتاج .

وروى هذه الخطبة أيضاً ابن شاعر الليثي في (عيون الحكم والمواعظ) بتفاوت قليل أذكر لك بعضه فيما يلي لتعلم أنه لم يأخذها عن (نهج البلاغة)

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٢ - ٩٩ .

(٢) نفس المصدر

فروى « تلفت الاستعانة وفي (النهج) بالغين المعجمة ثم المثلثة بعد الألف ، وروى بدل « الحفدة » « الحفظة » ، وفي روايته « وظلف الرهب شهواته » والرضي رواها « فظلف الزهد شهواته » وروى « فمات في قبيلته عزيزاً » وفي رواية الشريف « فمات في فتنته غريباً » وهكذا .

ثم زد على ذلك أن الواسطي روى من قوله عليه السلام « إنكم مربوبون وما بعدها على حدة كرواية القاضي القضاعي في (الدستور) والمظنون أنها عثرا عليها في مكان آخر .

وروى أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج ١ ص ٧٧ طرفاً من هذه الخطبة وذكر أن السبب في إلقائه عليه السلام لها أنه شتيع جنازة فلما وضعت في لحدها عجّ أهلها وبكوا ، فقال عليه السلام : « أم والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلهم ذلك من البكاء عليه ، أم والله إن له لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحداً » ثم قام فيهم فقال : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، ووقت لكم الآجال .. » ثم ذكر فقرات من الخطبة .

ولا يعقل أن يكون استهلال أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الخطبة بذلك ، فليس من عادته سلام الله عليه أن تكون خطبه بتراء عاطلة عن حلية التحميد والصلاة .

وفسر ابن الأثير في (النهاية) غريب هذه الخطبة في مواطن عديدة منها في مادة (بضض) ج ١ ص ١٣٢ وفي مادة (علز) ج ٢ ص ٢٨٧ ومادة (غضض) وقال هناك (غضاضة) الشباب أي نضارته وطراوته ، ويظهر أن له مصدراً غير (نهج البلاغة) لأن هذه اللفظة لم ترد فيه ، وفسر حوافي الهرم في مادة (حنا) وفي مادة (علز) وفي مواد أخرى نحن في غنى عن عرضها .

وأخيراً إن من قرأ هذه الخطبة وكان من أهل الذوق والتمييز ، قد تذوق كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، واستضاء بنوره ، واستنشق أريج شذاه يحزم أن هذا الثمر من ذلك الشجر ، وهذه الغرفة من ذلك البحر ، فالمتن شاهد لا يحتاج إلى تعديل ، وسند عال للأخبار المراسيل ^(١) .

هذا وقد اشتبه الأمر على ابن عبد ربه المالكي فسمى خطبة من خطبه عليه السلام غير هذه الخطبة : بالفراء ^(٢) .

٨٢ - فَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي ذِكْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ (٣) ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ (٤) وَأَنِّي أَمُرُّوْا تِلْعَابَةً أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ (٥) لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً ، وَنَطَقَ آثِماً ، أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُّ فَيُخْلِفُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ (٦)

(١) انظر (مدارك البلاغة) : ص ٨٥

(٢) انظر (العقد الفريد) : ج ٢ ص ٣٦٨

(٣) النابغة : المشهورة فيما لا يليق بالنساء من نبغ اذا ظهر .

(٤) الدعابة بالضم : المزاح واللعب . وتلعابة - بالكسر - كثير اللعب

(٥) اعافس امالج الناس واضاربهم مزاحا . او المعافسة معالجة النساء بالمفاولة ، والممارسة كالمعافسة .

(٦) فيلحف أي يلح . ويسال ههنا مبني للفاعل . ويسال في الجملة

بعدها للمفعول .

وَيُسَالُ فَيَبْخُلُ ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْأَلَّ (١)
فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ . مَا لَمْ
تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا (٢) فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ
مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ (٣) أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي
مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ
نَسْيَانُ الْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ
أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةٌ وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً .

عمرو بن العاص بن وائل السهمي أحد دهاة العرب ، كان كما كان أبوه
شائناً لرسول الله ﷺ (٤) مبغضاً له ، وكان شاعراً وقد هجا النبي ﷺ بسبعين
بيتاً من الشعر ، وكان يلقيها الصبيان بمكة ، فإذا مر بهم رسول الله ﷺ
رفعوا أصواتهم به ، وقد لعنه رسول الله ﷺ بعدد كل بيت لعنة (٥) ، وكان
يضع الحجارة بطريق رسول الله ﷺ إذا خرج ليطوف ليلاً بالبيت (٦) وهو

- (١) الال - بالكسر - القرابة والمراد أنه يقطع الرحم .
(٢) أي أنه في الحرب زاجر و آمر عظيم أي محرض حاث ما لم تأخذ
السيوف مأخذها فعند ذلك يجبن كما قال فإذا كان ذلك الخ .
(٣) السبة بالضم الاست تقريع له بفعلته المشهورة يوم صفين .
(٤) تفسير الرازي : ج ٨ ص ٥٠٣ و ٥٠٤ ، الطبقات لابن سعد :
١ ص ١١٥
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧ مخطوط ، وفي (المفاخرات)
للزبير بن بكار بكل حرف ألف لعنة (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد :
م ٢ ص ١٠٣
(٦) شرح نهج البلاغة م ١ ص ١٠٠

أحد الذين روّعوا زينب بنت رسول الله حق ألقت جنينها ونال ذلك منه ﷺ وشق عليه ، ولعنهم جميعاً (١) ، ولشدة عداوته لرسول الله ﷺ اعتمدت عليه قریش فأرسلته إلى الحبشة ، ليزهد النجاشي في الدين ، وليطرد من بلاده مهاجرة الحبشة ، وليقتل جعفر بن أبي طالب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فكان من أمره ما هو مشهور في كتب السير والتاريخ (٢) .

أسلم سنة ثمانٍ وشهد فتوح الشام أيام أبي بكر (رض) وولى فلسطين لعمر (رض) ثم سيره إلى مصر ففتحها ، وجعله عليها ، ولم يزل كذلك أيام عمر ، وأربع سنوات من أيام عثمان (رض) فعزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأقام عمرو بفلسطين (٣) ، وكان يتردد على المدينة فيطعن على عثمان (رض) ، وبلغ عثمان ذلك ، فقال له : يا بن النابغة أتحرّض الناس عليّ لأنّي عزلتكم عن مصر ؟ قلت جبتكم منذ تركتكم من العمل ، وحوصر عثمان وعمرو بالمدينة ، وتركه محاصراً وذهب إلى فلسطين ، ولما قتل عثمان قال عمرو : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ، قتلته وأنا بوادي السباع (٤) ثم انضم إلى معاوية شريطة أن يجعل له مصر طعمة إذا غلب ، واجتمع معه على إلقاء الفتنة ، وتهيج الشر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما ، فإنهما لا يجتمعان على خير » (٥)

(١) شرح نهج البلاغة م ١ ص ١٠٠

(٢) رواه محمد بن اسحق في (المغازي) كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في الشرح م ٢ ص ١١٢ .

(٣) ملخصاً من (الاستيعاب في ترجمة عمرو بن العاص ٢ ص ٤٣٥

(٤) انساب الاشراف : ج ٥ ص ٧٤ - ٨٧ وابن أبي الحديد : م ٢ ص ١٠٣ .

(٥) العقد الفريد ٢ ص ٢٩١ .

وكان من أمره في صفين^(١) ما هو معروف ومن أهمه موقفه المشرف ! لما بارز أمير المؤمنين ، إذ ظهر مصداق ما رواه ابن عبد البر عندما ترجم له : « إنه من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية والإسلام ، مذكوراً بذلك » وما رواه ابن حجر من أن النبي ﷺ كان يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته^(٢) واحتل مصر في أواخر أيام علي رضي الله عنه بعد الحكمين ، ولم تطل أيامه في مصر إذ توفي في يوم عيد الفطر سنة ٥٣ ودفن بالمقطم عن ٩٠ عاماً^(٣).

أما النابغة المذكورة في كلام علي رضي الله عنه فهي سلمى^(٤) أو ليلى الحبشية^(٥) كانت أمة لرجل من عذرة - بالتحريك -^(٦) سبيت فاشتراها الفاكه بن المغيرة^(٧) ، ثم اشتراها عبد الله بن جدعان التيمي^(٨) وكانت بغيا من ذوات الرايات^(٩) أشهر بغى بمكة ، وأرخصهن اجرة^(١٠) وقع عليها في طهر واحد خمسة أو ستة^(١١) نفر من قريش ، منهم العاص بن وائل السهمي ، وأبو لهب ،

(١) صفين ١١٢ وفي (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٩٠

(٢) الاصابة : ج ٣ ص ٢ .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٢ ص ١١٣ .

(٤) أسد الغابة : ج ٤ ص ١١٦ .

(٥) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٦٢ .

(٦) ربيع الابرار للزمخشري .

(٧) أسد الغابة : ٤ - ١١٦ .

(٨) ربيع الابرار للزمخشري واسد الغابة ٤ - ١١٦ .

(٩) المثالب لابن الكلبي مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة امير

المؤمنين العامة في النجف الاشرف .

(١٠) جاء هذا في كلام لاروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع عمرو

ابن العاص ذكره في (العقد الفريد) : ١ - ١٦٤ ، وفي (بلاغات النساء ،

ص ١٧ .

(١١) في رواية (العقد) و (بلاغات النساء) ستة وفي (التذكرة

ص ٢٠٩ : خمسة وهو الاقرب .

وأبو سفيان بن حرب ، وأميرة بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة ، فولدت عمراً ، فاختم القوم فيه جميعاً كلٌّ يزعم أنه ابنه ثم أُضرب عنه ثلاثة (١) ، واكب عليه اثنان العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب (٢) فقال أبو سفيان أما اني لا أشك أني وضعت في رحم امه ، فأبت إلا العاص (٣) . وكانت العادة يومئذ أن تسمي من أحبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع (٤) فقبل لها أبو سفيان أشرف نسباً ؟ فقالت : إن العاص بن وائل كثير النفقة ، وأبو سفيان شحيح (٥) ، وكان عمرو يعير بذلك ، عيَّره علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم (٦) .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمر بن العاص حيث هجاه مكافأة له عن هجاء رسول الله ﷺ :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت | لنا فيك منه بينات الدلائل (٧) |
| ففاخر به إما فخرت فلاتكن | تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل |
| وان التي في ذاك يا عمرو حكمت | فقالت رجاء عند ذاك لنائل : |
| من العاص عمرو تخبر الناس كلها | تجمعت الأقوام عند المحافل (٨) |

(١) أقول : جرى الله معنا أبا لهب ما جزاه به اذ كان من جملة المضربين ، والا لاوقعنا في محنة عظيمة ، وورطة قد يصعب علينا النجاة منها .

(٢) المثالب لابن الكلبي .

(٣) الانساب لابي عبدة حكاه ابن ابي الحديد : م ٢ ص ١٠١ .

(٤) السيرة الحلبية : ١ / ٥١ .

(٥) الانساب لابي عبدة .

(٦) السيرة الحلبية ١ / ٥١ .

(٧) في « ربيع الابرار » الشمائل .

(٨) الانساب لابي عبدة كما حكاه ابن ابي الحديد : م / ٢ ص ١٠١

ولا أدري لم لم يستلحق معاوية عمراً كما استلحق زياداً فإن لديه ما هو أكثر وأقوى من الدليل الذي استلحق به زياداً ، ولعل معاوية خاف أن يغلبه على الأمر بدهائه ، ويسلبه منه بخداعه ، فطوى عن ذلك كشحاً .

وإنما أفضنا في ذكر « النابغة » ليعلم أنها مشهورة بهذا اللقب ، معروفة بهذه الصفة ، وإن الرضي لم ينفرد بما نقله عن أمير المؤمنين عليه السلام من ذكره لها ، كما لم ينفرد بما نقله عن أمير المؤمنين عليه السلام بتعير عمرو بها .

ولابن أبي الحديد كلام لطيف فيما نسبته ابن العاص لـ عليه السلام من الدعابة نقتطف منه ما يلي قال :

«أما ما كان يقوله عمرو بن العاص في علي عليه السلام لأهل الشام : «ان فيه دعابة» يروم أن يعيبه بذلك عندهم ، فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها منه حتى تلقفها ، حتى جعلها أعداؤه عيباً له وطعناً عليه - ثم نقل عن (أمالي) ثعلب كلاماً دار بين عمر وابن عباس منه : يا بن عباس إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي ، ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً ؟ قلت : وما يمنع من ذلك مع جهاده وسابقتها وقرابته وعلمه ! قال صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة -^(١) إلى أن قال : فأقبل علي ، فقال : ان أحرامهم أن يحملهم على

(١) وتكررت هذه القولة من عمر (رض) في أمير المؤمنين عليه السلام وحتى في آخر أيامه ، روى الواقدي عن ابن عباس قال : قال عمر ما اصنع بامة محمد - وذلك قبل ان يطعن - فقلت ولم تهتم وانت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : اصاحبكم ؟ يعني عليا قلت : نعم هو لها اهل في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره وسابقتها وبلائه قال : ان فيه بطالة وفكاهة . . نقل ذلك السيد المرتضى في (الشافي)^{٢٥٨} عن الواقدي ثم علق المرتضى على ذلك بقوله : انه وصف عليا بوصف لا

كتاب ربههم ، وسنة نبينهم لصاحبك ، ولئن وليها ليحملنهم على الحججة البيضاء ، والصراط المستقيم .

ثم قال ابن أبي الحديد — — بعد أن وجه كلام عمر بتوجيهات لا تخلو من مواقع النظر :

« وأنت إذا تأملت حال علي عليه السلام في أيام رسول الله ﷺ وجدته بعيداً عن أن ينسب إلى الدعابة والمزاح ، لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلاً ، لا في كتب الشيعة ولا في كتب المحدثين ، وكذلك إذا تأملت حاله في أيام الخليفين أبي بكر وعمر لم تجد في كتب السيرة حديثاً واحداً يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته ومزاحه .

ثم قال :

(والحال في أيام عثمان وأيام ولايته عليه السلام الأمر كالحال فيما تقدم في أنه لم يظهر منه دعابة ، ولا فرح يسمى الإنسان معه لأجله ذا دعابة ولعب ، ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول ، وعرف أن عمرو بن

يلىق به ولا ادعاه عدو قط ، بل هو معروف بضده من الركانة والبعد عن المزاح والدعابة ، وهذا معلوم ضرورة لمن سمع اخباره عليه السلام ، وكيف يظن به ذلك وقد روى ابن عباس انه قال : كان امير المؤمنين علي عليه السلام — اذا اتى هبنا ان نبتدئه بالكلام ، وهذا لا يكون الا من شدة التزمم والتوقر ، وما يخالف الدعابة والفكاهة ؟ .

وقوله لما طعن : (لله انت لولا دعابة فيك ام والله لو وليتهم لتحملنهم على الحق ، والطريق المستقيم) روى ذلك ابو عثمان الجاحظ في كتاب (السفينانية) .

كما روى ما يضارعه ابن جرير وابن الاثير وكل من تعرض لقصة مقتل عمر وحديث الشورى من المؤرخين .

العاص أخذ كلمة عمر فجعلها عيباً وزاد عليها ^(١) أنه كثير اللعب يعافس النساء ويمارسهن ^(٢) وأنه صاحب هزل ولعمرو الله لقد كان أبعد الناس من ذلك ، وأي وقت يتسع لعلي عليه السلام حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزماته كلها مشغول بالعبادة والصلاة ، والذكر والفتاوى والعلم ، واختلاف الناس اليه في الأحكام ، ونهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم ، وليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة ، فأما في أيام حربه فالسيف الشهير ، والسنان الطرير ^(٣) وركوب الخيل ، وقود الجيوش ، ومباشرة الحروب ، ولقد صدق عليه السلام : (اني ليمنعني من اللعب ذكر الموت) ولكن الرجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيباً ، أو يعدوا عليه وصمة ، لا بد أن يحتالوا ويبدلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وإن ضعف ، يجعلونه عذراً لأنفسهم في ذمه ، ويتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته ، والانحراف عنه ، وما زال المشركون والمنافقون يصنعون لرسول الله ﷺ الموضوعات ، ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب والمطاعن في حياته ، وبعد مماته إلى زماننا هذا وما يزيده الله سبحانه إلا رفعة وعلواً ، فغير منكر أن يعيب علياً عليه السلام عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه ، وتعلقهم به قد اجتهدوا في مدحه

(١) وسبق لابن أبي الحديد مثل هذا القول فقد قال في مقدمة الشرح وهو يصف الامام صلوات الله عليه : (. . . واما سجاجة الخلق ، وبشر الوجه ، وطلاقة المحيا ، والتبسم فهو المضروب به المثل حتى عابه أعداؤه ، قال عمرو بن العاص لاهل الشام : ان فيه دعاية قال : وعمرو بن العاص انما اخذها من عمر بن الخطاب لقوله له : لله ابوك لولا دعاية فيك الا ان عمر اقتصر عليها ، وعمرو زاد فيها وسمجها) .

(٢) المعافسة الملاعبة ، والممارسة ملاعبة النساء . قاله ابن الاثير في النهاية .

(٣) السنان الطرير : المحدد .

والثناء عليه ، لأنهم لو وجدوا عيباً غير ذلك لذكروه (١) .

أما ما رواه الرضي رحمه الله من كلامه عليه السلام في عمرو بن العاص فقد سبقه إلى روايته :

١ - ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ٣ ص ١٠ .

٢ - ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٨٧ .

٣ - أبو حيان التوحيد في (الامتاع والمؤانسة) : ج ٣ ص ١٨٣ .

٤ - البيهقي في (المحاسن والمساوي) : ص ٥٤ .

٥ - البلاذري في (أنساب الأشراف) ط الأعلمي في ترجمة أمير المؤمنين سلام الله عليه في موضعين ص ١٤٥ و ١٥١ .

ثم رواه شيخ الطائفة في « الأمالي » : ج ١ ص ١٣١ بطريق ذكره هناك وفيه محمد بن عمران المرزباني^(٢) المتوفى سنة ٣٨٤ أي قبل صدور « النهج » بستة عشر عاماً ، والحافظ أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي الهمداني المعروف

(١) شرح النهج : م ٢ - ١١٤ و ١١٥ .

(٢) المرزباني هذا من مشايخ المفيد استاذ الرضي ، وقد أكثر النقل عنه السيد المرتضى في (الفرر والدرر) وكان المرزباني يعد من محاسن الدنيا صادق اللهجة ثقة في الحديث واسع المعرفة صنف كتباً كثيرة في أخبار الشعراء على طبقاتهم وقيل أنه أول من أسس علم البيان ودونه وله من المؤلفات في هذا الفن كتاب (المفصل في علم البيان) وبهذا تعرف أنه سابق لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ في هذا العلم والمرزباني من المؤلفات كتاب (ما نزل من القرآن في علي عليه السلام) وقد تقدم في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٠٠ أنه أول من جمع شعر يزيد بن معاوية .

بابن عقدة^(١) المتوفى سنة ٣٣٣ والزيير بن بكار^(٢) المتوفى سنة (٢٥٥)
أو (٢٥٦) . وفسر غريبه ابن الاثير في (النهاية) : ١١٧/١ و ٥٩/٣ ،
١١٠ و ٥٩/٤ ، ٨٩ .

(١) ابن عقدة هو الحافظ المعروف كان من الحفاظ والمعرفة بمكان
جمع التراجم والمشيخة واكثر الرواية وروى عنه الحفاظ والاكابر وقال
الدارقطني : اجمع اهل الكوفة انه لم ير بها من زمن ابن مسعود الصحابي
الى زمن ابن عقدة من هو احفظ منه وحكي أن مجموع كتبه كانت ستمائة
حمل بعير . له من الكتب القيمة (حديث الولاية) جمع فيه طرق حديث
الغدير وتوفى بالكوفة في التاريخ المذكور في المتن .

(٢) هو ابو عبدالله الزيير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن
عبدالله بن الزيير بن العوام من اكابر العلماء واعيان المؤلفين له من الكتب
(نسب قريش) (والموقعيات في التاريخ) صنّفه للموفق العباسي وكان
الزيير هذا منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام ينال من العلويين حتى
تهددوه فهرب منهم وذهب الى عمه مصعب بن عبدالله وسأله انهاء حاله
الى المعتصم العباسي فلم يجد عمه عند المعتصم ما يحب .

وبهذا تعرف عدم اعتبار بعض ما ينقله هو او ينقله ابو الفرج
الاصبھاني وغيره عنه من احوال العلويين خصوصا ما ينقله من مصاهراتهم
لبعض الناس المعلومين بالضرورة في بعد اهل البيت عنهم فلا تفعل .

وسياتي ذكر للزيير هذا وابيه وجده في كلامنا على مصادر الحكمة
٢٥٣ عند قوله عليه السلام : احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه . . الخ ان
شاء الله تعالى .

٨٣ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، الْأَوَّلُ
لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ
عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تَقَعُدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ (١)
وَلَا تَسْأَلُهُ التَّجَزُّؤَةُ وَالتَّبَعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْقُلُوبُ .

(مِنْهَا) فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ ، وَاعْتَبِرُوا
بِالْآيِ السَّوَاطِعِ (٢) وَأَزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ (٣)
وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلَقْتُمْ مَخَالِبُ
الْمَنِيَّةِ ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عِلَاقُ الْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهَمَتْكُمْ
مُفْطَعَاتِ الْأُمُورِ (٤) وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ (٥)

(١) لا تقعد : اي لا يستقر حكمها .

(٢) العبر جمع عبرة وهي ما يعتبر به اي ما يتعظ به ، والآي :
الآيات أي الدلائل ، والسواطع جمع ساطعة أي المشرقة .

(٣) النذر : الانذارات جمع انذار وهو الابلاغ ولا يكون ذلك الا في
التخويف . والبوالغ : المبالغة الى أقصى غاية في البيان .

(٤) علقتكم : نشبت بكم ، وعلائق الامنية : ما تتعلقون به من الاماني،
ودهمتكم : فاجأتكم ، ومفطعات الامور : شدائدها .

(٥) المراد بالورد المورود : الموت .

فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى
مَحْشَرِهَا ، وَشَahِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

(وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِلاتٌ .
وَمَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا .
وَلَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا . وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا (١) .

أثبتنا في مقدمة هذا الكتاب عند تعداد المصادر أن (حلية الأولياء)
من الكتب المتقدمة على (النهج) وقد روى أبو نعيم ^(٢) من هذه الخطبة
الفقرات التي تراها بين القوسين : (فكأن قد علقتكم مخالب المنية) وأحاطت
بكم البلية (ودهمتكم مفضعات الامور) بنسخ الصور وبمئرت القبور ..
(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ^(٣) الخ .

وأنت إذا أنعمت النظر في مطلع ما أختاره الرضي من هذه الخطبة وفي
تقطيعه لها إلى ثلاثة فصول ، ووضع كلمة (منها) أمام كل فصل تقطع أن
أصل الخطبة أكثر مما ذكر ، ويشهد لذلك الزيادات المروية في (الحلية)
بين الفقرات التي رويت في (النهج) .

هذا وقد ذكر الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) من هذه الخطبة
من قوله عليه السلام : (فاتعظوا — عباد الله — بالعبر النوافع) إلى (وشاهد

(١) البؤس : شدة الحاجة .

(٢) حلية الاولياء : ج ١ ص ٧٧

(٣) ق : ٢١

يشهد عليها بعملها) باتفاق مع (النهج) ولكنه أبدل الفاء واواً في (كل) وزاد واواً قبل (سائق) ونرى بهذا أنه أخذها عن مصدر آخر .

وروى سبط ابن الجوزي فقرات من هذه الخطبة في (تذكرة الخواص) ص ١٣١ . كما روى بعضها محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل) : ج ١ ص ١٤٠ من قوله عليه السلام « درجات متفاضلات » إلى آخر ما رواه الرضي مع زيادة تدل على اختصاصه بمصدر .

ولابن أبي الحديد تعليق لطيف على قوله عليه السلام في صفة الباري عز وجل من هذه الخطبة « ولا تناله التجزئة والتبعيض ، ولا تحيط به الابصار والقلوب » قال : واعلم أن التوحيد والعدل ، والمباحث الإلهية الشريفة ما عرفت إلا من هذا الرجل ، وأن كلام غيره من الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ، ولا كانوا يتصورونه ، ولو تصوروه لذكروه ، وهذه الفضيلة عندي من أعظم فضائله عليه السلام ^(١) .

٨٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ (٢) ، لَهُ الْإِحَاطَةُ
بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ ، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلَةٍ قَبْلَ إِرْهَاقِ

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ : ١٢٠

(٢) السرائر جمع سريرة وهي ما يكتُم من السر ، وخبر - بفتح الباء - امتحنها و - بالكسر - علم .

أَجَلِهِ (١) وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ
 قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ (٢) وَلِيْمَهْدَ لِنَفْسِهِ وَقُدُومَهُ ،
 وَلِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ ضَاعِنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ ، فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ
 فِيمَا اسْتَحْفَظْتُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ (٣) وَأَسْتَوْدَعْتُكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ،
 فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرِكْكُمْ سُدًى
 وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى ، قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ (٤)
 وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ
 الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْمَانًا (٥)
 حَتَّى اكْتَمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي
 رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مُحَابَاهُ مِنْ

(١) الارهاق : الإعياء عن تدارك ما فات من العمل .

(٢) المتنفس : سعة الوقت ، والكظم - بفتح تين - مخرج النفس .

(٣) نصب « الله الله » على الإغراء وهي أن تقدر فعلا للنصب أي
 اتقوا وجعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر . واستحفظكم : جعلكم
 حافظة . والمراد بحفظه تدبر ما فيه ، والعمل بأوامره وترك نواهيه .

(٤) عبثا: خاليا عن وجه الحكمة . والسدى - بالضم المهمل ، و - بفتحها
 - الإهمال ، يقال : أسديت الأمر أي أهملته وسمى آثاركم : بين لكم أعمالكم .

(٥) التبيان - بكسر التاء - مصدر وجميع المصادر مفتوحة إلا فيها
 وفي التلقاء . وعمر مد في أجله .

الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِهِ (١) وَنَوَاهِيهِ وَأَوَامِرُهُ ، فَأَلْقَى
إِلَيْكُمْ السَّعْدِرَةَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاسْتَأْذَرَكُمُ
بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَأَصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ (٢) فَإِنَّهَا قَلِيلٌ
فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ
عَنِ الْمَوْعِظَةِ . وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ
الرُّخْصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ ، وَلَا تُدَاهِنُوا فِيهِجُمْ
بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ . (٣) .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنْ
أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ، وَالْمَغْبُوتُ مَنْ غَبَنَ
نَفْسَهُ ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ (٤) . وَالسَّعِيدُ

(١) رضي لنفسه أي رضي أن ينسب إليه فيقال دين الحق ، وانتهى
إليكم : عرفكم وأعلمكم ، ومحابه ومكارهه : مواضع حبه وكرهه من
أعمالكم .

(٢) أي اجعلوا لأنفسكم صبرا فيها .

(٣) ولا ترخصوا لأنفسكم لا تسامحوها بارتكاب الصفائر والمحقرات
من الذنوب فتتهجم بكم على الكبائر ، والظلمة جمع ظالم ، والمداينة : المصانة .

(٤) والمغبون : المخدوع ، الذي يخدع فيبيع ساعته بأقل من ثمنها ؛
والمغبوط من يتمنى الناس مثل نعمته .

مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخَذَعَ لِهَوَاهُ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرٌّ ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى
مَنْسَأَةٌ لِلْإِيمَانِ ، وَمَحْضَرَةُ لِلشَّيْطَانِ (٦) . جَانِبُوا
الْكُذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ ، الصَّادِقُ عَلَى شَرَفٍ
مَنْجَاةٌ وَكَرَامَةٌ ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ (١)
وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْحَطَبَ ، وَلَا تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ (٢) . وَأَعْلَمُوا
أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِيُ الْعَقْلَ ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ (٣) فَاكْذِبُوا
الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

* * *

(١) منسأة للإيمان موضع لنسيانه ، ومحضرة : مكان لحضوره .
(٢) الشرف - كغرف - جمع شرفة وهي المكان العالي . وشفا
الشيء : حرفة وأكثر ما يقال ذلك في المكروه يقال : اشفى على الموت ،
وعلى الهلاك . والمهواة موضع السقوط ، والمهانة : الحقارة .

(٣) الحالقة ، المستأصلة كما يستأصل الموصى الشعر .
(٤) يسهي العقل : يورثه سهوا حتى ينسيه ذكر الله تعالى .

رويت هذه الخطبة متفرقة في الكتب الآتية وكلها سابق لـ (نهج البلاغة)
لأن كل واحد من مؤلفيها أخذ غرضه منها :

١ - الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري : ص ١٤٥ .

٢ - تحف العقول لابن شعبة الحراني : ص ١٠٠ و ١٠١ مع زيادات تركها
الرضي كعادته في الاختيار .

٣ - المحاسن للبرقي ص ٢٣٣ و ٢٣٤ .

كما رويت فقرات منها في الكتب الآتية :

٤ - المجالس المفيد : ص ١٢٠ .

٥ - المشكاة للطبرسي ص ١٥٦ .

٦ - الفرر للأمدي نثرت فيه فقرات من هذه الخطبة في مواضعها
من أبوابه .

٨٥ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ
عَلَى نَفْسِهِ ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ (١)
فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ

(١) استشعر الحزن : جعله كالشعار - بالكسر - وهو ما يلي
الجسد من الثياب ، وتجلبب : لبس الجلباب وهو الملحفة وكانوا يلبسونه
فوق الثياب .

بِهِ (١) فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ (٢) .
 نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ ، وَأَرْتَوَى مِنْ عَذْبِ
 فُرَاتٍ (٤) ، سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهْلًا (٤)
 وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا (٥) قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ ،
 وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ (٦) فَخَرَجَ
 مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ
 مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى ، قَدْ
 أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ
 غِمَارَهُ (٧) اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنْ الْحِبَالِ

(١) زهر : اضاء ، والقرى - بكسر - القاف - ما يعد للضيف ،
 والمراد به هنا الموت .

(٢) المراد بالبعيد هنا الموت أو اليوم فإن أكثر الناس يرونه بعيدا
 والشديد الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية .

(٣) أي ذكر الله فاستكثر من العمل الصالح ، والعذب والفرات
 مترادفان .

(٤) الضمير في موارد يعود الى الفرات ، وشرب نهلا أي شرب
 حتى ارتوى .

(٥) الجدد - بفتحيتين - : الطريق الذي لا عثار فيه .

(٦) أي اهتم بما يراد منه دون غيره .

(٧) يقال بحر غمر : أي كثير الماء ، والمراد غمار المهالك .

بِأَمْتِنِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَىٰ مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ
 نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ (١) فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ
 كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَضْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ ، مُصْبِحُ
 ظُلُمَاتٍ ، كَشَافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ
 مُعْضَلَاتٍ (٢) دَلِيلُ فَلَوَاتٍ (٣) . يَقُولُ فِيْفِهِمْ ،
 وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ (٤) ،
 فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ
 الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ الْهَوَىٰ عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ
 الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا ، وَلَا
 مَظْنَةً إِلَّا قَصَدَهَا (٥) . قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ ،
 فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حُلٌّ ثَقُلُهُ (٦)

(١) نصب نفسه : أقامها .

(٢) العشوات جمع عشوة - بالحركات الثلاث - أي الامر
 الملتبس ، والمبهمات من الامور : غير الواضحة ، والمعضلات : الشدائد
 من الامور التي لا يهتدى لوجهها .

(٣) ودليل فلوات : يهتدى به كما يهتدي السائرون في الفلوات
 بدليلهم .

(٤) اخلص لله سبحانه في طاعته فاختره لهذا المقام .

(٥) أمها وقصدها بمعنى واحد ، والمظنة : الشيء الذي

يظن وجوده .

(٦) الكتاب القرآن الكريم وامكنه من زمامه تمثيل لانتقياده لاحكامه ،

والثقل : متاع المسافر .

وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ . وَآخِرُ (١) قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا
وَلَيْسَ بِهِ . فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَاَل ، وَأَضَالِيلَ مِنْ
ضُلَالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكَاءَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلٍ
زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى
أَهْوَائِهِ (٢) يُؤْمِنُ مِنَ الْعِظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ ،
يَقُولُ أَقْفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ ، وَأَعْتَزِلُ الْبِدَعَ
وَبَيْنَهَا أَضْطَجَعَ ، فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ
قَلْبُ حَيَوَانَ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ ، وَلَا بَابَ
الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟
وَأَنِّي تُؤْفَكُونَ (٣) ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ، وَالْآيَاتُ
وَاضِحَةٌ ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يَتَّسَاهُ بِكُمْ ، بَلْ
كَيْفَ تَعْمَهُونَ (٤) وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَرْمَةٌ

(١) الكلام في وصف بعض مدعي العلم في مقابلة الموصوف السابق .

(٢) حمل الكتاب . الخ فسرهُ على أهوائهِ ، وأمال الحق

على رغباته .

(٣) تؤفكون : تصرفون .

(٤) الأعلام : الجبل ، أو الراية توضع في الطريق ليهتدي بها ،

والمنازل ما يهتدي به ليلا كالنار التي توقد على المرتفعات ليهتدي بها
الساري ، والواو للحال والمراد بذلك العترة لأنهم أعدال الكتاب .
ويفسرهُ الكلام بعده ، والتهيه : الضلال ، والعمة : الحيرة والتردد .

الْحَقُّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسَّيِّئَةُ الصَّدَقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ
بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ (١)
أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ (٢) .
وَيَبْلَى مَنْ بَلَى مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا
تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيَمَا تُنْكِرُونَ (٣) وَأَعْذِرُوا
مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا هُوَ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ
بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ ، وَأَتْرُكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ (٤) .
وَرَكَّزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ
الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَذَابِي

(١) الهيم : الإبل العطشى .

(٢) المقصود بهذا تقرير فضيلتهم وإنهم أحياء عند ربهم في ظل كرامته .

(٣) أمرهم بالتثبت في الأقوال لأن الجاهل قد ينكر الحق إذا خالف طبعه ، ونبا عن فيه .

(٤) العذر منهم فيما يلحقهم من العذاب بسبب تقصيرهم معه لأنهم اندرأوا ، والثقل الأكبر القرآن ، والثقل الأصغر العترة ، ومعنى الثقل النفس .

وَفَرَشْتَكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي (١) وَأَرَيْتَكُمْ
كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي . فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا
لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلَّغُلْ إِلَيْهِ الْفِكْرُ .

(مِنْهَا) حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي
أُمِّيَّة (٢) تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا ، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا
يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ
لِذَلِكَ ، بَلْ هِيَ مُجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ (٣) يَتَطَعَّمُونَهَا
بِرَهَةٍ ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً .

(١) فرشتكم : أي بسطت لكم ، قال ابن أبي الحديد : قوله
« البستكم العافية من عدلي » استعارة فصيحة وافصح منها « وفرشتكم
المعروف من قولي وفعللي » .

(٢) معقولة : مشدودة بعقال .

(٣) المجة - بالضم - واحدة المج - بالضم أيضا القطرة من
العسل تكون في افواههم كما يكون في فم النحلة يذوقونها زمانا ثم
يقذفونها .

قال ابن أبي الحديد بعد أن أكمل شرح هذه الخطبة : وهذه الخطبة طويلة وقد حذف الرضي رحمه الله تعالى منها كثيراً ومن جملتها :

«أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لا ترون الذين ينتظرون حتى يهلك المتمنون ، ويضمحل المحلون ، ويتثبت المؤمنون ، وقليل ما يكون ، والله لا ترون الذي تنتظرون ، حتى لا تدعون الله إلا إشارة بأيديكم ، وإيماضاً بجواجبكم^(١) ، وحتى لا تملكون من الأرض إلا مواضع أقدامكم ، وحتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لا ينصركي إلا الله بلائكتك ، ومن كتب على قلبه الإيمان ، والذي نفس علي بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقاً أو تدفع عنا ضيماً إلا صرعتهم البلية ، حتى تقوم عصابة شهدت مع محمد ﷺ بدرأ لا يوارى قتلهم ، ولا يداوى جريحهم ولا ينعمش صريعهم .»

ثم ذكر ابن أبي الحديد من هذه الخطبة :

« لقد دعوتكم إلى الحق فتوليتكم ، وضربتكم بالدرة فما استقمتم ، وستليكم ولادة يعذبونكم بالسياط والحديد ، وسيأتىكم غلاماً ثقيفاً أخفش وجعوب يقتلان ويظلمان وقليل ما يتمكنان .»

ثم عقب ابن أبي الحديد على ذلك بقوله : « قلت الأخفش الضعيف البصر خلقة ، والجعوب القصير الذمير ، وهو الحجاج ويوسف بن عمر الثقفي . وفي كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتلك الله أخفش العينين ، أصك الجاعرتين »^(٢) .

قال : « ومن كلام الحسن البصري رحمه الله يذكر فيه الحجاج : أنا أاعيمش

(١) الإيماض : الإشارة الخفية .

(٢) الجاعرتان : حرفا الورك المشرفان على الفخذين ، والاصل

الذي تصك ركبتاه وعرقوباه عند المشي .

أخيفش يد بيد قصيرة البنان ، ما عرق فيها عنان في سبيل الله .

قال : « وكان يضرب المثل بقصر يوسف بن عمر ؟ وكان يغضب إذا قيل له قصير . فصل له الخياط ثوباً فأبقى منه فضلة كثيرة ، فقال له ما هذا ؟ قال : فضلت من قميص الأمير فضربه مائة سوط ، فكان الخياطون يفضلون له اليسير من الثوب ، ويأخذون الباقي لأنفسهم » (١) .

وفيما ذكر ابن أبي الحديد إشعار على أن هذه الخطبة معروفة بين الناس قد فسرهما جماعة منهم وأنها أطول مما ذكر الرضي .

كما روى الزخشي في باب العز والشرف من (ربيع الأبرار) فصلاً من هذه الخطبة بتفاوت يسير نعرف منه أنه لم ينقلها عن (النهج) .

٨٦ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ (٢)
إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ
إِلَّا بَعْدَ أَرْلٍ وَبَلَاءٍ (٣) وَفِي دُونِ مَا أَسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ
وَمَا أَسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خُطْبٍ مُعْتَبَرٍ (٤) . وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ١٣٢ .

(٢) يقسم : يهلك والقسم في الاصل الكسر ، والتمهيل : الانظار .

(٣) الأزل - بفتح فسكون - : الضيق .

(٤) عتب : إذا كانت بفتح التاء فالمراد العتاب ويقصد عتابه لهم

- كما فسر ابن ميثم - وان كانت بسكونها فالمقصود عتب الزمان أي مكروهه وشدته ، والخطب : الامر المهول .

بَلِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ
بِبَصِيرٍ (١) ، فَيَا عَجَبِي - وَمَالِي لَا أَعْجَبُ - مِنْ خَطَا
هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ، لَا يَقْتَصُونَ
أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ،
وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ (٢) . يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ
فِي الشَّهَوَاتِ ، الْمَعْرُوفُ عَنْدهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ
عَنْدهُمْ مَا أَنْكَرُوا (٣) . مَفْزَعُهُمْ فِي الْمَعْضَلَاتِ إِلَى
أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ ، كُلُّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرْيٍ
ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَابِ مُحْكَمَاتٍ (٤) .

(١) اللبيب : العاقل ، اللبيب الحق ما انتفع بعقله فيما خلق لأجله
وكذلك السميع والبصير والا (لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم عيون لا
يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها الاعراف : ١٧٨) .
(٢) يقتصون : يتتبعون ، ويعفون - بكسر العين وتشديد الفاء -
يكفون .

(٣) أي ليس المعروف عندهم ما دل الدليل عليه بل ما ذهبوا اليه
سواء كان حقا او باطلا .

(٤) المعضلات : الشدائد ، والمبهمات : الغلطات .

ما ذكر في هذا الموضع اختاره الرضي من خطبة له عليه السلام أطول مما هنا رواها الشيخ الكليني في (الروضة) ص ٦٢ بسنده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ، ثم قال : « أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لم يقصم جباري دهر قط إلا من بعد تمهيل ورخاء » . وذكر الخطبة وفيها جميع ما في (نهج البلاغة) .

وما رواها أيضاً الشيخ المفيد في (الارشاد) ص ١٧٣ وفيها كلمات زائدة على ما نقله الكليني .

وفسر ابن الأثير غريبها في (النهاية) ج ١ ص ٤٦ مادة (أزل) .

٨٧ — وَمِنْ خُطْبَتِهِ عليه السلام فِي السَّبَلَةِ

أَرْسَلُهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ (١) وَأَنْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَلَطُّظٍ مِنَ الْحُرُوبِ (٢) وَالْدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةٌ الْغُرُورِ ، عَلَى حِينِ أَصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا (٣) وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَأَغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا ، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى ،

-
- (١) الفترة بين الرسل : انقطاع الرسالة والوحي ، والهجعة : النومة ، واعتزام من الفتن أي كأن الفتن مصممة معتمضة على الشر ، وتروى « واعتزام » بالراء من العرام أي الشراسة .
(٢) انتشار الأمور : تفرقها ، والتلظى : التلهب .
(٣) تمثيل لتغير الدنيا ، وإشراقها على الزوال .

وَزَهَّرَتْ أَعْلَامُ الرَّدْيِ ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا (١) عَابِسَةٌ
فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ ،
وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ وَدِثَارُهَا السَّيْفُ (٢) فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ ،
وَأَذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي أَبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ (٣)
وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمْ
الْعُهُودُ ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ
وَالْقُرُونُ (٤) وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ
بِبَعِيدٍ ، وَاللَّهُ مَا أَسْمَعُهُمُ الرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا
الْيَوْمِ مُسْمِعُهُمْ ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ
بِالْأَمْسِ ، وَلَا شَقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ
الْأَفْسِدَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ .

(١) أغوار الماء : ذهابه ومتجهمه من تجهمه اذا استقبله بوجه كربه .

(٢) الشعار من الثياب ما يلي البدن ، والدثار فوق الشعار .

(٣) تيك : كلمة اشارة الى المؤنثة الغالبة يعني بها الاعمال السيئة
التي ارتهن بها آباءهم واخوانهم وحوسبوا عليها ، والارتهان : الاحتباس .

(٤) تقادم : بعد ، والاحقاب : المدد الطويلة ، والقرون : الامم

من الناس .

وَاللَّهُ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهْلُوهُ ، وَلَا أُصْفِيْتُمْ بِهِ
وَحَرَمُوهُ وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خَطَامُهَا (١)
رِخْوًا بِطَانُهَا . فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ .
فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

رواها قبل الرضي جماعة من العلماء منهم :

علي بن إبراهيم القمي في (التفسير) ص ٣ : قال : وقال أمير المؤمنين
صلوات الله عليه : أيها الناس إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً ﷺ بالهدى ،
وأُنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم اميون عن الكتاب ومن أنزله ، وعن الرسول
ومن أرسله ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وذكر بعض ما ذكره الشريف
الرضي مع زيادة في بعض الفقرات ، وتفاوت في بعض الكلمات .

ومحمد بن يعقوب الكليني في (اصول الكافي) ج ١ ص ٦٠ روى شيئاً منها .
وذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في بعض ألفاظها .

ونقلها السيد في (الطراز) ج ١ ص ٣٤٢ من أول ما ذكره الرضي إلى
قوله ﷺ (الاحقاب والقرون) باختلاف يسير جداً وزيادة فقرة بعد قوله
عليه السلام « أرسله على حين فترة من الرسل » فإنه ذكر (وانقطاع من
الوحي) وروى مكان (منار الهدى) (أعلام الهدى) وروى (خيفة)
بالحاء المعجمة بدل من الجيم وروى (بهم ولا بكم) بدل (بكم ولا بهم) .

(١) الخطام : ما جعل في انف البعير يقاد به ، وجولانه : حركته لانه
غير مشدود .

٨٨ - فَتَنَ خُطْبَتُهُ لِبَنِي إِسْرَافِيلَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُوءِيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ
رُوءِيَةٍ (١) ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءُ ذَاتُ
أَبْرَاجٍ ، وَلَا حُجُبُ ذَاتُ أَرْتَاجٍ ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلَا
بَحْرٌ سَاجٍ ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلَا فَجٌّ ذُو أَعْوِجَاجٍ ،
وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مَهَادٍ ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ (٢) ، ذَلِكَ
مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ (٣) وَلِلَّهِ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ ، وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرَضَاتِهِ (٤) يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ،
وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ
وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ . وَمَا تُخْفِي

(١) الروية : الفكر وامعان النظر .

(٢) الارتاج جمع رتج - بالتحريك - الباب العظيم ، وتروى
« ذات رتاج » والرتاج - بالكسر - الباب المغلق ، وليل داج : مظلم ،
وساج بمعنى ساكن ، والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين ،
والمهاد : الفراش ، وذو اعتماد : ذو بطش وتصرف بقصد وإرادة .

(٣) مبتدع الخلق : منشئه من العدم ، ووارثه : الباقي بعدد .

(٤) سمي الشمس والقمر دائبان لتعاقبهما على حال واحدة لا
يسكنان ، ويروى « دائبين » على النصب للحال ، ويكون خبر المبتدأ
يبليان .

صُدُّورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقْرَهُمْ وَمُسْتَوْدَعُهُمْ مِنَ
الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ (١) .
هُوَ الَّذِي أَشَدَّتْ نَقْمَتُهُ ، عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ،
وَأَتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نَقْمَتِهِ (٢) قَاهِرٌ مِنْ
عَازِهِ ، وَمُدْمِرٌ مِنْ شَاقِّهِ وَمُذِلٌّ مِنْ نَاوَاهُ وَغَالِبٌ مِنْ
عَادَاهُ (٣) . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ،
وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ ؛
وَأَنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ (٤) .

(١) اثارهم : حركاتهم وتصرفاتهم ، خائنة الاعين : النظرة المسترقة ،
الى ما لا يحل ، والخائنة مصدر مثل الخيانة ، والضمير : المضمرة ،
ومستقرهم في أرحام الامهات ، وظهور الاباء .

(٢) أي لا تمنعه رحمة عن نقمة لمستوجبها ، ولا نقمة عن رحمة
لمستحقها .

(٣) عازيه : رام مشاركته في شيء من هزئه ، وشاقه : نازعه ،
وناواه : خالفه .

(٤) زنة النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها ومراعاة استقامتها
وضبطها بميزان العقل ، وعنف السياق : شدته .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ
مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا
وَاعِظٌ (١) .

رواها علي بن محمد الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) إلى قوله عليه
السلام : « ومن شكره جزاء » (٢) وروى منها ما لم يروه الواسطي في (غرر
الحكم) ص ١٨٥ بأدنى اختلاف ، ولو أن الأول أخذها عن (النهج) لرواها
كاملة ، ولو أن الثاني نقلها منه لجاءت متفقة .

هذا وقد فسر غريبها ابن الأثير في (النهاية) ومن مواضع التفسير المذكور
ج ٢ ص ٣٤٥ .

٨٩ - وَمِنْ خُطْبَةِ ابْنِ عَلِيٍّ بِالسَّبَا

تُعَرَفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ (٣) وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطْبِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليها السلام أنه قال :
خطب أمير المؤمنين بهذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك أن رجلاً أتاه فقال :

(١) يعن أن قرأت بفتح العين فالمراد من لم يعنه الله بلطفه
على نفسه . وان قرأت بالكسر فالمراد من لم يعن على نفسه الواعظين
والمرشدين .

(٢) انظر الروضة من (البحار باب خطب أمير المؤمنين المعروفة
(٣) الأشباح : الأشخاص والمراد بهم هنا الملائكة لأنها تتضمن ذكرهم .

يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً ، ليزداد له حباً ، وبه معرفة فغضب ، ونادى الصلاة جامعة^(١) ، فاجتمع إليه الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب^(٢) متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ الْمَنَعُ وَالْجُمُودُ ، وَلَا يُكْذِبُهُ
الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ (٣) إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ
مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ ، وَهُوَ أَلْمَنَانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ،
وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقَسَمِ ، عِبَالُهُ الْخَلْقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ،
وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ
مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ ،
الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ
الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَالرَّادِعُ الْإِنْسِيَّ
الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ (٤) ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ
دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ

(١) الصلاة : منصوب بفعل تقديره احضروا الصلاة ، وجامعة منصوبة

على الحال .

(٢) غص المسجد : امتلأ ، ومغضب – بفتح الضاد المعجمة – أي قد .

أغضب .

(٣) يفره : يزده ، ويكديه يفره .

(٤) الإناسي جمع إنسان وهو المثال الذي يرى بالسواد .

عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ ، وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ
 الْجِبَالِ (١) وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ
 اللَّجَيْنِ وَالْعَقِيَانِ (٢) وَنُشَارَةُ الدَّرِّ (٣) وَحَصِيدُ الْمَرْجَانِ مَا
 أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ . وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ وَلَكَانَ عِنْدَهُ
 مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ (٤) لِأَنَّهُ
 الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ ، وَلَا يُبْخِلُهُ
 إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ ، فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ
 عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّمَّ بِهِ (٥) . وَاسْتَضِيءَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ،
 وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ
 فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآئِمَّةِ

-
- (١) تنفست عنه استعارة كانها لما أخرجته ووالدته كانت كالحيوان الذي يتنفس .
 (٢) وضحكت عنه الاصداغ تفتحت عنه وانشقت ، والفلز : اسم للذهب والفضة والرصاص ونحوها ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب .
 (٣) نثار الدر : منشوره ، والمرجان : صغار اللؤلؤ وحصيده : محصوده ، قال ابن أبي الحديد : كأنه أراد المتبدد منه كما يتبدد الحب عند الحصيد ، وقال الشيخ محمد عبده يشير الى ان المرجان نبات ، وقد حققته كاشفات الفنون .
 (٤) تنفده : تفنيه .
 (٥) اتتم به : اتبعه .

الْهُدَى أَثَرُهُ فَكُلَّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى
 حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ
 الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنْ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ
 الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَخْجُوبِ (١)
 فَمَدَحَ اللَّهُ أَعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ
 عِلْمًا ، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يَكْلَفْهُمْ الْبَحْثُ
 عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا ، فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ
 اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ، هُوَ
 الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ لِتُذْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ (٢)
 وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبِرَّ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ
 فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ (٣) وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ
 إِلَيْهِ (٤) لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ (٥) وَغَمُضَتْ

(١) السدد جمع سد - بالفتح والضم - الجبل والحاجز وقال بعضهم ما كان من صنع الله فبالضم وما كان من عمل البشر فبالفتح . والاقرار فاعل اغنى .
 (٢) ارتمت : بعدت مجدة في المطالعة والتفتيش ، ومنقطع القدرة : منتهاهما .

(٣) المبرأ : المنزه ، وعميقات الغيوب : أسرارها
 (٤) تولت العقول : اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه .
 (٥) لتجري : أي لتصادف مجرى ومسلكا

مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ
ذَاتِهِ رَدَّعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً
إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ (١) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا
يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ (٢) وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ
أُولَى الرُّوَيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ (٣) الَّذِي
أَبْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَمْتَثَلُهُ ، وَلَا مِقْدَارٍ أَحْتَدَى
عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ (٤) ، وَأَرَانَا مِنْ
مَلَكَوَتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ
وَأَعْتَرَفَ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدْرَتِهِ (٥)
مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَظَهَرَتْ
فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ ،

-
- (١) ردعها كفها ، وهي جواب الشرطيات التي ابتدأت من «إذا ارتفعت»
المهاوي : الممالك ، والسدف - بضم ففتح - جمع سدفة : القطعة من
الليل المظلم ، وجبته من جبهه إذا ضرب جبهته ، والمراد رجعت خائبة .
(٢) جور الاعتساف : الإخذ على غير الطريق .
(٣) الرويات جمع روبة وهي الفكر
(٤) ابتدع الخلق : أوجده من العدم على غير مثال مثله حتى يخلق
على طبقه ولا مثله أحد قبله فقياس عليه إذ لم يعهد أن خالقا قبله .
(٥) المساك - كسحاب - ما يمسك ويعصم به .

فَصَارَ كُلُّ مَا نَخْلُقُ حُجَّةً لَهُ ، وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ
خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ ، وَدَلَالَتُهُ
عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ (١) ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايِنِ
أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاخُمِ حَقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ (٢) الْمُحْتَاجَةِ
لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ (٣)
وَلَمْ يَبَاشِرْ قَلْبَهُ أَلْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ (٤) وَكَأَنَّهُ لَمْ
يَسْمَعْ تَبَرُّاً تَتَابَعِينَ مِنَ الْمُتَبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ «تَاللَّهِ إِنْ
كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» كَذَبَ
الْعَادِلُونَ (٥) بِكَ إِذْ شَبَّهوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلوكَ حَلِيَّةَ
الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّءوكَ تَجْزِئَةَ الْمَجَسَّمَاتِ
بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّروكَ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى ،

(١) اخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(٢) الحقائق جمع حق - بالضم - رأس العظم عند المفصل .

(٣) غيب الضمير : باطنه ، والمراد منه هنا العلم واليقين ، أي لم
يحكم بيقينه في معرفتك بما أنت أهل له ، ويروى « لم يعقد » على ما لم
يسمى فاعله ، وغيب ضميره بالرفع .

(٤) الند - بالكسر - المثل والنظير وكذلك النديد .

(٥) العادلون بالله : الذين جعلوا له عديلاً ونظيراً .

بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ (١) . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ (٢) ، وَنَطَقْتُ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونُ فِي مَهَبٍ فِكْرَهَا مُكَيِّفًا (٣) وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونُ مَحْدُودًا مُصَرِّفًا (٤) .

(وَمِنْهَا) قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِرُوحِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ آلَانْتِهَاءٍ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَضِعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ، الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِإِلَاقَةِ رَوِيَّةٍ فِكْرِ آلِ

(١) نحلوك : اعطوك ، والحلية : الصفة ، وقدروك : قاسوك والقرائح جمع قريحة وهي القوة التي تنبسط بها المعقولات ، واصله من قريحة البئر : أول مائها .

(٢) المحكم - لفة - المضبوط المتقن ، والآيات المحكمات التي لا تحتمل من التأويل الا وجها واحدا .

(٣) اي ان العقول لم تحط بك كاحاطتها بالاشياء المتناهية فتكون ذا كيفية .

(٤) مصرفا : اي تصرفك العقول بافهامها

إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةَ غَرِيْزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا (١) ، وَلَا تَجَرِبَةً
 أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ (٢) وَلَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى
 ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لَطَاعَتِهِ ،
 وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ
 الْمُبْطِيءِ ، وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّيِّ (٣) فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ
 أَوْدَهَا ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا وَلَا يَمَّ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادَّهَا (٤) ،
 وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا (٥) . وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ
 فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ ، بَدَايَا
 خَلَائِقَ (٦) أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ
 وَابْتَدَعَهَا .

(١) آل : رجع ، والفريزه : الطبيعة والمزاج

(٢) افادها : استفادها .

(٣) الريث : الشاقل ، والاناة : تواده تمازجها روية في الاخذ
 والترك ، والمتلكي : المتعلل .

(٤) الاود : الاعوجاج ، ونهج : عين ورسم ، ولام : جمع اي جمع بين
 الامور المتضادة في عناصرها .

(٥) اشارة الى أن الموجودات لا تنفك عن أشياء تفتن بها من هيئة
 او شكل او غريزة او نحوها .

(٦) بدايا ، جمع بدء اي مصنوع ، وقيل معنى بدايا : عجائب .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ) وَنَظَّمَ بِلاَ تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتِ
فُرَجِهَا ، وَلَا حَمَّ صُدُوعَ أَنْفِرَاجِهَا ، وَوَشَجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
أَزْوَاجِهَا (١) . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ
بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونََةَ مِعْرَاجِهَا (٢) . نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ
دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الْارْتِنَاقِ
صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصْدًا مِنْ الشُّهُبِ الثَّوَابِقِ عَلَى
نِقَابِهَا (٣) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرَاقِ الْهَوَاءِ
بِأَيْدِهِ (٤) . وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ
شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ
لَيْلِهَا (٥) فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلٍ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا

(١) الرهوات : جمع رهوة أي الفرجة المتسعة ، ولاحم الشيء بالشيء :
الصقته والصدوع : الشقوق ، ووشج وصل بين تلك الصدوع وبين أزواجها
أي أشباهها .

(٢) الهابطين والصاعدين : الملائكة ، والحزونة في الاصل ما غلظ من
وجه الارض ، والمراد به هنا الامر العسير في الهبوط والعروج .

(٣) الاشراج جمع شرج عرى العيبة ، والارتناق : الارتجاج ، والنقاب
جمع نقب : الطريق في الجبل .

(٤) تمور : تتحرك ، وبأيده - بسكون المثناة التحتانية - بقوته .

(٥) مبصرة : يبصر بها ، وممحوة : يمحي ضوءها في بعض أطراف
الليل في بعض ليالي الشهر وفي بعضها الليل كله .

فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ،
وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِّينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي
جَوْهَا فَلَكَّهَا ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيَّهَا
وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا (١) وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ
شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ،
وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنَحُوسِهَا وَسُعُودِهَا (٢)

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) .

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ
الْأَعْلَى (٣) مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلَقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ،
مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا ،
وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلَ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي

١) ناط : علق ، والدراري : الكواكب المضيئة نسبة الى الدر في
بياضها .

(٢) الثواقب أي المضيئة ، والاذلال جمع ذل - بالكسر - وهو محجة
الطريق ، والمراد بنحوسها وسعودها تأثيرها في الحياة من خصب وجذب
ونحوها كتأثير الشمس فيها .

(٣) الصفيح : السماء .

حَظَائِرِ الْقُدُسِ ، وَسُتَرَاتِ الْحُجُبِ ، وَسَرَادِقَاتِ الْمَجْدِ (١)
 وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ
 نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا . فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى
 حُدُودِهَا (٢) . أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ
 مُتَفَاوِتَاتٍ ، أُولَى أَجْنَحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا
 يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ
 أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ
 « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » جَعَلَهُمْ فِيمَا
 هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ
 وَدَائِعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا
 مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ
 الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ ،

(١) الزجل : رفع الصوت ، والحظائر هنا : الامكنة والقدس بضم
 القاف : الطهر ، والسترات جمع سترة ما يستتر به ، والسرادقات جمع
 سرادق وهو ما يمد حول البيت ليفطيه وكلها مجاز هنا عن المقامات المقدسة
 للارواح الطاهرة .

(٢) الرجيح : الزلزلة ، وسبحات بضم السين والباء أي طبقات
 نور عبارة عن الجلالة والعظمة ، وتردع ، تكف ، وخاسئة : مدفوعة
 مطرودة .

وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلَّالاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ (١) . وَنَصَبَ لَهُمْ
مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوَصِرَاتُ
الْآثَامِ (٢) . وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ (٣) .
وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ (٤) . وَلَمْ
تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ (٥) وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةً
الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ (٦) . وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيِّرَةُ مَا لَاقَ مِنْ
مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ
فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ (٧) . وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمْ أَلُوسَاوِسُ
فَتَقْتَرِعَ بَرِينَهَا عَلَى فِكْرِهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ
الْغَمَامِ الدَّلَجِ (٨) وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ وَفِي قَتَرَةِ

(١) الرائغ : الناكب عن الطريق ، والابخات : التدلل والاستكانه ،
وذللاً : سهلة وطية ، والتماجيد : الثناء عليه بالمجد .

(٢) الموصرات : المثقلات ، والاصر : الثقل .

(٣) لم ترتحلهم : لم تركبهم ، وعقب جمع عقبة وهي النوبة والمعنى لم
تؤثر فيهم .

(٤) النوازع : الشهوات ، وتروى (نوازغ) من نزغ اذا افسد .

(٥) تعتريك : تزدهم ، اي لم تزدهم على يقينهم الذي عقوده .

(٦) الاحن : جمع احنة : وهي الحقد .

(٧) لاق : التصق ، واثناء الصدور جمع ثني وهو التضاعف .

(٨) الرين : الدنس وتقترع : تتناوب ، الدلج : الثقال

الظلام الأبهم (١) ومنهم من خرقت أقدامهم تخوم
الأرض السفلى ، فهي كرايات بيض قد نفذت في
مخارق الهواء (٢) . وتحتها ريح هفافة تحبسها على
حيث انتهت من الحدود المتناهية ، قد استفرغتهم
أشغال عبادته (٣) ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين
معرفة ، وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه (٤) ولم
تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره ، قد ذاقوا
حلاوة معرفته ، وشربوا بالكأس الروية من محبته ،
وتمكن من سويداء قلوبهم وشيعة خيفته (٥) فحنوا
بطول الطاعة اعتدال ظهورهم . ولم ينفذ طول الرغبة

(١) الشمخ : العالية الشاهقة . وفترة الظلام - بالقاف - : سواده ،
والابهم : الذي لا يبتدى فيه .

(٢) التخوم - بضم التاء - جمع تخم : منتهى الأرض وتروى
بالفتح على أنها واحد فيكون جمعها تخم - بالضم -

(٣) ريح هفافة : ساكنة طيبة ، واستفرغتهم : جعلتهم فارغين .

(٤) شدة الوله : العشق الى درجة الولوه وهو الحيرة .

(٥) الرويه التي تطفئ حرارة العطش وسويداء القلب : محل الروح
الحيواني من مضفة القلب ويعبر عنها بحبة القلب وهي هنا من باب
المجاز .

إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رَبِّقَ
خُشُوعِهِمْ (١) وَلَمْ يَتَوَلَّهُمْ إِلَّا عَجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ
مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ أَسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ (٢) نَصِيباً
فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ
دُؤُوبِهِمْ وَلَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ (٣) فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ
رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ (٤)
وَلَا مَلَكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجَوَّارِ إِلَيْهِ
أَصْوَاتُهُمْ (٥) وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاقِبُهُمْ (٦)
وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ . وَلَا تَعْدُو (٧)

-
- (١) لم ينفذ : لم تفن ، والربق : حبل فيه عدة عرى تربط به البهم ،
واحدها ربقة - بالفتح والكسر -
(٢) الإعجاب : ان يرى العامل نفسه خارجا عن حد التقصير بها ،
والاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت في الخشوع .
(٣) والدؤب : الجد في العمل مع المداومة عليه ، ولم تغض : لم
تنضب .

- (٤) الاسلات جمع اسلة : طرف اللسان
(٥) الهمس : الصوت الخفي ، والجوار : رفع الصوت بالتضرع ،
والعنى : ليست لهم اشغال خارجة عن العبادة فتكون اصواتهم المرتفعة
بالتضرع خافتة .
(٦) المقاوم : الصفوف واحدها مقام .
(٧) لا تعدوا من عدا عليه اذا قهره وظلمه وهو هنا استعارة .

عَلَى عَزِيمَةٍ جِدِّهِمْ بِلَادَةَ الْغَفَلَاتِ وَلَا تَنْتَظِلُ فِي هِمَمِهِمْ
خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ (١) . قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً
لِيَوْمٍ فَاقْتِهِمْ ، وَيَمَمُّوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ
بِرَغْبَتِهِمْ (٢) لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ
بِهِمْ الْأَسْتِهْتَارُ بِالزُّومِ طَاعَتِهِ (٣) إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ
غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ (٤) . لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ
الْشَّفَقَةِ مِنْهُمْ ، فَيَنُوتُوا فِي جِدِّهِمْ (٥) وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ
الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ (٦) . وَلَمْ
يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ

(١) العزيمة : الجد في الامر ، والبلادة ضد الذكاء ، وتنتضل
استعارة من المناضلة وهي المرامات بالسهام ، او من قولهم : انتضلت
الابل اذا رمت بأيديها في السير بسرعة والخدائع جمع خديعة ، والمعنى لم
تسلك خدائع الشهوات طريقا في همهم .

(٢) الفاقة : الحاجة ، ويمموه : قصدوه ، والانقطاع : الالتجاء .

(٣) الاستهتار بالعبادة : الولع بها والملازمة لها .

(٤) المواد : جمع مادة ، أصلها من مد البحر ، والمعنى انهم كلما
تولعوا بطاعتهم زاد بهم البواعث اليها من الرغبة والرغبة .

(٥) الشفقة : الخوف ، وينوا ، يتأنوا .

(٦) وشيك السعي : مقاربه وهينه والمعنى ليس لهم طمع في غيره
حتى يؤثروا اي يقدموا هين السعي على الاجتهاد الكامل .

لَنَسَخَ الرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ (١) . وَلَمْ يَخْتَلِفُوا
فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَفَرِّقْهُمْ سُوءُ
الْتِّقَاطِ ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ، وَلَا شَعَبَتُهُمْ
مَصَارِفُ الرِّيبِ ، وَلَا أَقْتَسَمَتُهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ (٢) .
فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رَبِّقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ ،
وَلَا وَنْيٌ وَلَا فُتُورٌ (٣) . وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَوَاتِ
مَوْضِعٌ إِهَابٍ ، إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ (٤)
يَزِدُّادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ
فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا ، .

(ومنها) في صفة الارض ودحوها على الماء: (٥)

كَبَسَ الْأَرْضَ ، عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ، وَلُجَجٍ

(١) نسخ : أزال ، وشفقات تارات الخوف ، وهو فاعل نسخ ،
والوجل الخوف .

(٢) الاستحواذ : الفلبة ، والغل : الحقد ، وشعبتهم : فرقتهم ،
والريب : جمع ريبة وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقتها الحق ،
ومصارف الريب : مذاهبها ، وإخياف الهمم : مختلفاتها .

(٣) الزيغ : الميل ، والونى مصدر ونى أي تأنى .

(٤) الإهاب : الجلد : الحافد : المسرع

(٥) الدحو : البسط

بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ، تَلْتَطِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا (١) وَتَصْطَفِقُ
مُتَقَاذِفَاتُ اثْبَاجِهَا ، وَتَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِهَا ٢
فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاظِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ
هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِيَا (٣) ،
إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ أَصْطِخَابِ
أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا . وَفِي حَكَمَةِ الدَّلِّ مُنْقَادًا أَسِيرًا (٤)
وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةٌ فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ
بَأُوهِ وَأَعْتِلَاتِهِ وَشُمُوخِ أَنْفِهِ ، وَسُمُو غَلَوَائِهِ (٥) وَكَعَمَتِهِ

(١) الكبس : الإدخال بقوة وشدة ، والمراد به هنا التداخل ، والمور :
التحرك الشديد ، ومستفحلة : هائجة ، والزاهر الممتد المرتفع ، والأواذي :
جمع آذي : أعلى الموج .

(٢) تصطفق : يضرب بعضها بعضا ، والاثباج : أعالي الأمواج استعارة
من الشبح وهو ما بين الكاهل والظهر ، أو صدر القطة ، وترغو : تصوت ،
استعارة من رغاء البعير ، وزبدا منصوب بفعل تقديره تقلد ، والزبد :
ما يعلو السيل ، والفحول : فحول الأبل إذا هاجت للضراب .

(٣) جِمَاحُ الْمَاءِ : ارتفاعه وغيانه ، وهيج الماء : اضطرابه ، وارتماؤه :
تقاذفه واضطرابه . والكلكل : الصدر وهو استعارة لما لاقى الماء من الأرض ،
والاستخذاء : الخضوع .

(٤) تمعكت : تمرغت ، استعارة من تمعكت الدابة بالأرض إذا تمرغت
والاصطخاب من الصخب وهو الصياح والجلبة ، وساجي ساكن ، والحكمة
- بالتحريك - ما احاط بحنكي الفرس من لجأه .

(٥) مدحوة : مبسوطه : والبأو : التكبر والزهو ، والاعتلاء : التيه ،
والشموخ التكبر ، والسمو : العلو ، والغلواء : تجاوز الحد والكلام
استعارة .

عَلَى كِظَّةٍ جَرِيَّتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ . وَلَبِدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ
وَثْبَاتِهِ (١) . فَلَمَّا سَكَنَ هَيَاجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْثَافِهَا
وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمُخِ الْبُدْخِ عَلَى أَكْثَافِهَا فَجَرَ
يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينَ أَنْوَفِهَا (٢) . وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ
بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا (٣) وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ
جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ الشُّمِّ ، مِنْ صَيَاخِيدِهَا (٤)
فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعٍ أَدِيمِهَا (٥)
وَتَغْلُغُلُهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَاشِيمِهَا (٦) ، وَرُكُوبِهَا

- (١) كعنته : منعته استعاره من الكعام : شيء يوضع في فم البعير ليمنعه من العض أو الأكل ، والكظة : الثقل الذي يعتري الأكل عند امتلاء البطن من الطعام ، وهمد : سكن ، والنزقات : الخفة والطيش ، ولبد : لصق ، والزيفان : التبخر .
- (٢) الأكثاف : الأطراف ، والشواهي العالية وكذلك الشمخ والبذخ جمع الشامخ والباذخ ، والعرايين جمع عرين وهو طرف الأنف الأعلى .
- (٣) السهوب : جمع سهب - بالفتح - الفلاة ، والبيد جمع بيداء : الصحراء ، والأخاديد جمع أخدود وهو الشق في الأرض .
- (٤) الجلاميد جمع جلمود وهو الصخر ، وشناخيب : رؤوس الجبال ، والشم : العالية ، والصياخيد جمع صيخود وهو الصخرة الصلبة .
- (٥) الميدان : التحرك والاضطراب ، والرسوب : النزول ، والأديم وجه الأرض .
- (٦) الجوبات جمع جوبة : الفرجة في الجبل وغيره ، والخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الأنف ، والضمير في تغلغلها للجبال وفي خياشيمها للأرض والكلام كله على سبيل المجاز .

أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِمِهَا (١) وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ
وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا
أَهْلَهَا عَلَى تَحَامٍ مَرَافِقِهَا (٢) ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ ،
الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَائِبِهَا وَلَا تَجِدُ
جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا (٣) حَتَّى
أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٌ تُحْيِي مَوَاتَهَا (٤) ،
وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا ، أَلْفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ ،
وَتَبَايُنِ قَرْعِهِ (٥) ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ ،
وَالْتَمَعَ بَرَقُهُ فِي كُفِّهِ ، وَلَمْ يَنْمِ وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرٍ

(١) ركوب الجبال اعناق السهول استعلاؤها عليها ، واعناقها
سطوحها ، وجرائيمها ما سفل منها ، او المراد بالجرائيم أصول الشجر .

(٢) المرافق ما يتم الانتفاع به في السكنى

(٣) الارض الجرز التي لا نبات فيها لانقطاع الماء عنها ، والروابي :
ما علا من الارض ، والذريعة الوسيلة .

(٤) ناشئة السحاب ما يتبدأ ظهوره ، والموات - بفتح الميم - القفر
من الارض ، واللمع جمع لمعة وهي القطعة من السحاب او غيره .

(٥) القرع : جمع قزعة محركة : هي القطعة من القيم .

رَبَابِهِ (١) وَمُتَرَاكِمٍ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا (٢)
 قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دَرَرَ أَهَاضِيْبِهِ (٣)
 وَدَفَعَ شَايِبِيْهِ (٤) . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيْهَا (٥)
 وَبَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ ، مِنْ أَلْعَبِءٍ لِّلْمَحْمُولِ عَلَيْهَا (٦) ،
 أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ
 الْأَغْشَابَ (٧) ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا ، وَتَزْدَهِي بِمَا
 أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِيْطِ أَزَاهِيْرِهَا ، وَحِلْيَةِ مَا سَمِطَتْ بِهِ ، مِنْ

-
- (١) تحركت لجة المزن فيه أي في المزن نفسه ، والكفف جمع كفة -
 بضم الكاف وفتحها - وهي الحاشية ، والمراد ما استدار به ، والوميض :
 الضياء واللمعان . والكنهور : - كسفرجل - العظيم من السحاب ، والرباب :
 الغمام الأبيض .
- (٢) سحا : صبا ، ومتداركا : متواصلا متلاحقا ، وأسف الطائر :
 دنا من الأرض والهيذب - كجعفر - السحاب المتدلي أو ذيله .
- (٣) وتمريه تتعدى الى مفعولين فيكون تمرى الجنوب السحاب دور
 أهاضيبه ، وتمريه من مرى الناقة اذا مسح على ضرعها للحلب ، والدور
 جمع درة وهو كثرة اللبن وجريانه ، والأهاضيب جمع هضاب وهو جمع
 هضبة ، كضربة : المطرة
- (٤) الشايب : جمع شؤبوب وهو رشة قوية من المطر .
- (٥) البرك ما يلي الأرض من صدر البعير ، والبواني : ما يلي الصدر
 من الاضلاع .
- (٦) بعاع - بالفتح - ثقل السحاب من الماء - واستقلت : حملت
 والعبء : الحمل الثقيل .
- (٧) الهوامد من الأرض ما لم يكن فيه نبات ، وزعر الجبال : الموضع
 الذي لا نبات فيه منها مأخوذ من الزعر وهو قلة الشعر في الرأس .

نَاضِرٍ أَنْوَارِهَا (١) وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ (٢)
 وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ الْفَجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَأَقَامَ الْمَنَارَ
 لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادٍ طُرُقِهَا ، فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ
 أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةَ مَنْ خَلَقَهُ ، وَجَعَلَهُ
 أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ (٣) وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ ،
 وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ (٤) . وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ
 عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ ، فَاقْدَمَ
 عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَاهْبَطَهُ بَعْدَ
 التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى
 عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُوَكَّدُ عَلَيْهِمْ
 حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ

(١) تبهج : تسر وتفرح ، وتزدهي من الازدهاء افتعال من الزهو وهو
 المنظر الحسن ، والازاهير : النور ذو الالوان ، والريط جمع ريطه وهي
 الازاهير المنيرة ، وسمطت زينت بالسمط وهو الخيط الذي فيه الخرز
 أي العقد ، والناضر ذو النضارة اي الحسن والطراوة ، والانوار جمع نور
 — بفتح النون — وهو الزهر .

(٢) البلاغ : الكفاية

(٣) الجبلية : الخلقة .

(٤) اوعز اليه : تقدم اليه به

تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ،
وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمُتَ
بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ
عُذْرَهُ وَنُذْرَهُ (١) . وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا . وَقَسَمَهَا
عَلَى الْضَيْقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمِيسُورِهَا
وَمَعْسُورِهَا . وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا
وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عِقَابِيْلَ فَاقْتِهَا (٢) ،
وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا ، غُصَصَ
أَتْرَاحِهَا (٣) ، وَخَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا
وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا ، وَجَعَلَهُ خَالِجًا
لِأَشْطَانِهَا (٤) ، وَقَاطِعًا لِمَرَاثِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ

(١) المقطع : النهاية التي ليست وراءها غاية .

(٢) العقابيل جمع عقبولة - بضم العين - الشدائد وبقايا المرض ،

والفاقة : الفقر .

(٣) الفرج جمع فرجة وهي التفصي من الهم ، والاتراح جمع تراح

وهو الحزن والغم .

(٤) الضمير في اسبابها يعود على الأجل ، والضمير في جعله يعود

على الموت ، وخالجا : جازبا ، والاشطان جمع شطن - بفتح الشين

والطاء - الحبل الطويل شبه به الاعمار الطويلة ، والاقران جمع قرن

- بفتحتين - حبل يجمع به بعيران ، ومرائر القرائن جمع مريز ما لطف

وطال منها ، والكلام من باب الاستعارة .

السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ ،
 وَخَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ ، وَعُقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ (١) .
 وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ ،
 وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ (٢) ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ
 الْأَسْمَاعِ (٣) ، وَمَصَائِفِ الذَّرِّ وَمَشَاتِي الْهُوَامِ (٤)
 وَرَجَعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُؤْلَهَاتِ (٥) وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ (٦) .
 وَمُنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ (٧) .

(١) النجوى : المسارة ، والمتخافتين الذين يسرون المنطق ، والرجم الكلام الذي يلقيه قائله ولا يدري الحق هو أم باطل ، والظنون : القول بالظن ، والعزائم التي يعقد القلب عليها ، وتطمئن النفس إليها .

(٢) ومسارِق إيماض الجفون : ما تسرقه الابصار حين تومض أي تلمع ، واكنان القلوب : غلفها ، وغيابات الغيوب : أعماقها .
 (٣) أصغت : تسمعت ، لاستراقه : لاستماعه خفية ، ومصائخ الاسماع خروقتها التي بها يسمع .

(٤) ومصائف جمع مصيف : محل الاصطياف ، والذر : صغار النمل ، ومشاتي الهوام المواضع التي تشتوبها والهوام جمع هامة ولا يقع هذا الاسم الا على المخوف من الاحناش .

(٥) المؤلهات جمع والهة كل من فقدت ولدها من النساء والنياسق .

(٦) همس الاقدام : صوت وطئها الخفي

(٧) ومنفسح الثمرة : موضع سعتها من الاكمام جمع كم - بالكسر -

وهو وعاء الطلع ، وغطاء النور ، والولائح جمع وليجة : ما يستتر به .

وَمُنْقَمِعَ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتَيْهَا (١) .
 وَمُخْتَبِئِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيْتَيْهَا (٢) ،
 وَمَغْرَزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ (٣) ، وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ
 مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ (٤) ، وَنَاشِئَةِ الْغَيُومِ
 وَمُتَلَاحِمِهَا ، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي
 مُتَرَاكِمِهَا ، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذِيُولِهَا (٥) وَتَغْفُو
 الْأَمْطَارُ بِسَيُولِهَا (٦) . وَعَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ

-
- (١) منقمع الوحوش : موضع استتارها ، والفران جمع غار .
 (٢) مختبئ البعوض : ما تختبئ به ، والحية الأشجار جمع لحاء
 وهو القشر .
 (٣) مغرز الاوراق : موضع غرزها فيها ، والافنان جمع فنان وهو
 الفصن .
 (٤) الامشاج : النطف ، وسميت أمشاجا جمع مشيج ، وهو المختلط
 لاختلاطه بماء المرأة ودمها ، او لانه مختلط من جراثيم شتى كل منها يصلح
 لتكوين عضو من اعضاء البدن ، ومسارب الاصلاب : المواضع ينسرب الماء
 اي يسيل فيها من الصلب .
 (٥) ناشئة الغيوم : أول ما ينشأ منها ، والمتلاحم منها ما يلتصق
 ببعضه ببعض ، وسحاب درور : كثير المطر ، والمتراكم المتكاثف ، والاعاصير
 جمع اعصار ، ريح تثير التراب ، او ترتفع على الارض كالعمود ، وتسفي :
 تذري وذبولها : اطرافها .
 (٦) تغفو : تمحو

الرَّمَالِ (١) ، وَمُسْتَقَرُّ ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ بِذُرَى. شَنَاخِيبِ
الْجِبَالِ (٢) ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَاغِيرِ
الْأَوْكَارِ (٣) ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ ، وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ
أَمْوَاجُ الْبَحَارِ (٤) وَمَا غَشِيَتْهُ سُدُفَةُ لَيْلٍ ، أَوْ ذَرٌّ عَلَيْهِ
شَارِقُ نَهَارٍ ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاغِيرِ ،
وَسَبَّحَاتُ النُّورِ ، (٥) وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ؛ وَحَسُّ كُلِّ
حَرَكَةٍ ، وَرَجْعُ كُلِّ كَلِمَةٍ (٦) ، وَتَحْرِيكُ كُلِّ شَفَةِ ،
وَمُسْتَقَرُّ كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَهَمَاهِمِ

-
- (١) وبنات الارض الهوام والحشرات التي تعوم على الرمال اي تسبح .
- (٢) والدرى جمع ذروة - بكسر الدال - : اعلى الشيء ، وشناخيب الجبال : رؤسها واحدها شنخوب .
- (٣) ذوات المنطق هنا : الاطيوار ، ودياجير جمع ديجور وهو الظلام
- (٤) ما أوعبته ما جمعبته اي اللؤلؤ ، وما حضنته ضمته اي ربتة من كالعنبر ونحوه .
- (٥) سدفة الليل : ظلمته ، وذر : طلع ، واعتقبت : تعاقبت ، واطباق الدياجير : أطباق الظلم أي أعطيتها ، وسبحات النور : درجاته واطواره .
- (٦) رجع كل كلمة : ما ترجع به من الكلام على نفسك ، وتردده في فكرك .

كُلُّ نَفْسٍ هَامَةٌ (١) . وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرٍ شَجَرَةٍ (٢) ،
 أَوْ سَاقِطٍ وَرَقَةٍ ، أَوْ قَرَارَةٍ نُطْفَةٍ (٣) أَوْ نُقَاعَةٍ دَمٍ
 وَمُضْغَةٍ (٤) ، أَوْ نَاشِئَةٍ خَلَقٍ وَسُلَالَةٍ ، لَمْ تَلْحَقْهُ
 فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ ، وَلَا أَعْتَزَّضَتْهُ فِي حِفْظٍ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ
 خَلْقِهِ عَارِضَةٌ (٥) . وَلَا أَعْتَوَّرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ
 وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ (٦) . بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ
 عِلْمَهُ ، وَأَخْصَاهُمْ عَدُّهُ ، وَوَسَّعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَّرَهُمْ
 فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ ،
 إِنْ تُؤَمِّلْ فَخَيْرٌ مُؤَمَّلٍ ، وَإِنْ تَرْجُ فَأَكْرَمُ مَرْجُوءٍ ، اللَّهُمَّ

-
- (١) الهامهم جمع همهمة : ترديد الصوت في الصدر ، والهامية : ذات
 الهمة التي تعزم على الأمر .
 (٢) وما عليها أي ما على الأرض .
 (٣) قرار نطفة : ما يستقر فيه الماء من الأماكن ، ويجوز أن يريد
 بالنطفة ماء الرجل .
 (٤) النقاعة : نقرة يجمع فيها الدم ، والمضغة : القطعة من اللحم
 (٥) السلالة : ما استل من الشيء ، وسميت النطفة سلالة لأنها
 استلت من الفحل ، والكلفة : المشقة ، والعارضة ، ما يعرض للعامل فيمنعه
 من العمل .
 (٦) اعتورته : عرته .

وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أَثْنِي بِهِ
عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ . وَلَا أُوجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ
الرَّيْبَةِ (١) . وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ ،
وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ .

اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مَثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنِي عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ ، مِنْ
جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٍ مِنْ عَطَاءٍ (٢) ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى
ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ (٣) .

اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ ،
وَلَمْ يَرِ مُسْتَحَقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي
فَاقَةٍ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ
خَلَّتِهَا إِلَّا مِنْكَ وَجُودُكَ (٤) ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ

(١) يعني عليه السلام بمعادن الخيبة البشر لان مادحهم وماملهم يخيب
في الاكثر ، وجعلهم مواضع الريبة ، لانه لا يوثق بهم في حال .

(٢) العارفة : المعروف

(٣) يرجوه ان يدلّه على الاعمال التي ترضيه وبها يستوجب ذخائر
الرحمة ، وكنوز المغفرة .

(٤) الفاقة : الفقر ، وكذلك المسكنة : وينعش : يرفع ، والخلة
— بالفتح — : الحاجة والمن : العطاء والنعمة ، والمنان من أسمائه جل وعلا

رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

قد كفانا الرضي أولاه الله رضوانه مؤنة البحث عن مصادر هذه الخطبة إذ ذكر أنه نقلها عن مسعدة بن صدقة العبدي عن أبي عبد الله الصادق سلام الله عليه .

ومسعدة هذا له كتب منها كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام) كما ذكرنا ذلك في أوائل هذا الكتاب تحت عنوان الكتب المؤلفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقلنا هناك أن كتاب مسعدة هذا كان باقياً إلى زمن السيد هاشم البحراني رحمه الله المتوفى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩) هـ . إذ نقل عنه كثيراً في تفسيره المعروف بـ (البرهان) كما نوه به في مقدمة الكتاب المذكور ثم صار في ضمائر الغيوب .

وعلى كل حال أن خطبة الأشباح هذه من خطب أمير المؤمنين المشهورة ، رواها العلماء قبل الرضي كما رأيت من نقلها عن كتاب الخطب المزبور ، ومن نقلها قبل الرضي أيضاً أحمد بن عبد ربه المالكي في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٤٠٦ وفي طبعة لجنة التأليف والترجمة ج ٤ ص ١٥٢ روى أولها وذكر السبب الذي من أجله خطب أمير المؤمنين عليه السلام كما نقل الرضي ، ومنهم الصدوق في (التوحيد) : ص ٣٤ باختلاف في بعض الالفاظ والفقرات مع رواية الرضي . ونقل الزنجشيري في الجزء الأول من (ربيع الأبرار) في باب الملائكة كلامه عليه السلام في صفة الملائكة من قوله سلام الله عليه : « خلق سبحانه لإسكان سمواته » إلى قوله : « في قلوبهم عظماء » . وفسر غريبها ابن الأثير في مواضع عديدة من (النهاية) .

والخطبة شاهدة لنفسها لا تحتاج مع لفظها الباهر ، ومعناها الظاهر ، إلى إسناد متواتر كما قال السيد ابن طاووس (١) .

وقال ابن أبي الحديد معلقاً على الفصل المتضمن لصفة الملائكة من هذه الخطبة: «هذا موضع المثل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» (٢) إذا جاء هذا الكلام الرباني ، واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب ، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص ، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة والمقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المسادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة ليتنها لها التعبير عنها ؟

أما الجاهلية فإنها إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس ، أو حمار وحش ، أو ثور فلاة ونحو ذلك .

وأما الصحابة فالمدكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة ، إما في موقعه تتضمن ذكر الموت ، أو ذم

(١) انظر (فرج المهموم) : ص ٥٦ .

(٢) نهر معقل منسوب الى معقل بن يسار بن عبدالله المزني وبه سمي « معقل » الميناء المعروف اليوم بالبصرة ، وقد ذكر ياقوت الحموي في « المعجم » عن الواقدي : ان عمر امر ابا موسى الاشعري ان يحفر نهرا بالبصرة ، وان يجريه على يد معقل بن يسار فنسب اليه .

وقيل بل حفره زياد في زمن معاوية فلما فرغ منه واراد فتحه بعث زياد معقل بن يسار ليحضر فتحه تبركا به لانه رجل من الصحابة فقال الناس نهر معقل .

وروي ان زيادا اعطى رجلا الف درهم ، وقال : سل عن صاحب هذا النهر من هو فان قال رجل انه نهر زياد فأعطه الالف فرجع الرجل وقال : ما لقيت أحدا يقول الا نهر معقل فقال زياد (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) توفي معقل بالبصرة في ولاية عبيدالله بن زياد عليها من قبل معاوية .

الدنيا ، أو ما يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب ، فأما الكلام في الملائكة ، ووصفها وصورها ، وعبادتها وتسبيحها ، ومعرفتها بخالقها ، وحبا له ، وولها إليه ، وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل .

نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ، ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم ، وأما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام ^(١) وأمية بن أبي الصلت ^(٢) وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة ، ولا قدروا على هذه الفصاحة ، فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لملي وحده ، وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده ، ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده ، وهام نحوه ، وغلب الوجد عليه ، وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله صباة ووجداً ^(٣) .

(١) عبدالله بن سلام حبر من احبار اليهود بالمدينة ، ويقال انه من ذرية يوسف بن يعقوب عليه السلام اسلم اذ قدم النبي صلى الله عليه وآله ، وقيل سنة ثمان وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله ، مات سنة ٤٣ .

(٢) أمية بن ابي الصلت ، قيل : اسمه عبدالله ، وكان قد قرأ الكتب في الجاهلية ولبس المسوح تعبدًا ، وحرم الخمر ، وتجنب الاوثان ، والتمس الدين طمعا في النبوة ، لانه كان قد قرأ في الكتب : ان نبيا يبعث في الحجاز من العرب ، وكان يرجو ان يكون هو فلما بعث النبي صلى الله عليه وآله حسده ، وجعل يحرض قريش بعد وقعة بدر ، ويرثي قتلهم . له شعر كثير في توحيد الله ، واليوم الآخر ، وقصص الانبياء وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (آمن شعره وكفر قلبه) وهلك بعد واقعة بدر .

(٣) شرح النهج م : ٢ : ١٥٠ .

وعلق ابن أبي الحديد أيضاً على قوله عليه السلام : « عالم السر من ضمائر المضميرين » إلى قوله صلوات الله عليه : « مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله » فقال : « لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قال علي بن العباس ابن جريح لإسماعيل بن بلبل :

قالوا : أبو الصقر من شيبان ؟ قلت لهم :
كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف
كما علت برسول الله عدنان

إذ كان يفخر به على عدنان وقحطان ، بل كان يقر به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن ، ويقول له : إنه لم يعف ما شيدت من معالم التوحيد ، بل أخرج الله تعالى من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط ، بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأن الله لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ، ووقف شعره ، واضطرب فكره . ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة ، والعظمة والفخامة ، والمتانة والجزالة ، مع ما قد أشرب من الحلاوة والطلاوة ، واللفظ والسلاسة ؟ لا أرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه ، فان هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة ، وجدول من ذلك البحر ، وجذوة من تلك النار ، وكأنه شرح قوله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في السبر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (١) (٢) .

(١) الانعام : ٥٩ .

(٢) شرح النهج م : ٢ : ١٦٧

٩٠ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَاتَّمَسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ
وَأَلْوَانٌ ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ (١)
وَإِنَّ أَلْفَافًا قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةُ قَدْ تَنَكَّرَتْ (٢) .
وَأَعْلَمُوا أَنِّي إِنِ اجْتَبَيْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ
أَضْغَ إِلَى قَوْلِ الْقَاتِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُكُمْوَنِي
فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأُطَرِّدُكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ
أَمْرُكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا .

هذا كلام قاله عليه السلام في حوار جرى بينه وبين من أرادوه على
البيعة ، جمعه الرضي وساقه بساق واحد ، وقد رواه الطبري وابن الاثير في
حوادث سنة ٣٥ بتفاوت يسير جداً .

وكلام هذا نسجه لا سبيل إلى إنكاره ولذا ترى الناس اختلفوا في توجيهه
بعد أن لم يسمعهم رده .

-
- (١) لا تقوم له القلوب : لا تطبق احتماله ، ولا تثبت له العقول : لا
نقف على رأي واحد .
(٢) اغامت : غطيت بالغييم ، والمحجة : الجادة المستقيمة ، وتنكرت
لم تعرف .

فالمعتزلة حملوا الكلام على ظاهره ، واحتجوا به أنه لم يكن منصوباً عليه بالإمامة وإلا لما جاز له أن يقول : دعوني والتمسوا غيري ، ولا أن يقول : « ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم .. » الخ ^(١) .

واحتج بهذا الكلام علماء الجمهور على تصويب أبي بكر (رض) في قوله : « أقبلوني فلست بخيركم » وقالوا . إنما قال : أقبلوني ، ليشور ما في نفوس الناس من بيعته ، ويخبر ما عندهم من ولايته فيعلم مريدكم وكارههم ، ومحبيه ومبغضهم ، قالوا : وقد جرى مثل ذلك لعلي فإنه قال للناس « دعوني والتمسوا غيري » الخ ^(٢) .

وردّ عليهم الإمامية بقولهم : الفرق بين الموضعين ظاهر لأن علياً عليه السلام لم يقل : إني لا أصلح ولكنه كره الفتنة وأبو بكر قال كلاماً معناه إني لا أصلح لها لقوله : لست بخيركم .. الخ ^(٣) .

وحمل بعضهم قول أمير المؤمنين عليه السلام : « دعوني والتمسوا غيري » على طريق الضجر منهم ، والتبرم بهم ، والتسخط لأفعالهم ، لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا عليه ، فلما طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب ^(٤) .

وقال بعضهم : إنه أخرجه مخرج التهكم والسخرية أي : أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً فيما تعتقدونه كما قال سبحانه : (ذق إنك أنت العزيز الكريم) ^(٥) أي تزعم لذلك وتعتقد ^(٦) .

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م : ٢ ص ١٧٠

(٢) المصدر السابق م : ١ ص ٥٦ .

(٣) و (٤) انظر شرح ابن أبي الحديد على (النهج) م : ٢ ص ١٧٠

(٥) الدخان : ٤٩

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م : ٢ ص ١٧١ .

وقال بعضهم : إنه طلبوا منه البيعة أن يقسم عليهم بيوت الأموال حسب رغباتهم ، فاستعفاهم وقال : دعوني والتمسوا غيري ممن يسير بهم تلك السيرة ويوافقهم على ما أرادوا .

وأول بعضهم قوله عليه السلام : « فأنا لكم وزيراً » الخ . فقال : أنا لكم وزيراً عن رسول الله ﷺ أفقي لكم في شريعته وأحكامه خير لكم مني أميراً محجوراً عليه مدبراً بتدبيركم .. (١) .

ولسنا بصدد بيان معنى هذا الكلام وإنما ذكرنا هذه الوجوه ليعلم أنه لو كان بإمكان بعضهم ردّ هذا الكلام لردّوه ، ولكنهم لم يجدوا بداً من إنكاره وتضعيفه وأنه من كلامه الذي لا ريب فيه .

٩١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ (٢) ،
وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرَأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَا جَ غِيْهْبَهَا

(١) انظر المصدر السابق م : ٢ ص ١٧٠ و ١٧١

(٢) فقات عين الفتنة : بختتها . قال بعضهم في تبرير قتال علي عليه السلام لاهل القبلة « أو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل ، وكسر السيوف لما أقيم حق ، ولا بطل باطل ، ولوجد أهل الفسق سبيلاً لارتكاب المحرمات ، من غصب الأموال وسفك الدماء ، وهتك الحريم ، بان يحاربوهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بان يقولوا : هذه فتنة وقد نهينا عن الدخول فيها ، وهذا مخالف للامر بالاخذ على أيدي السفهاء .

وَأَشْتَدَّ كَلْبُهَا (١) . فَسَأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ،
 فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً إِلَّا
 أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ، وَمُنَاحٍ رِكَابِهَا ،
 وَمَحَطِّ رِحَالِهَا (٢) ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، وَيَمُوتُ
 مِنْهُمْ مَوْتًا ، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهِيَةُ
 الْأُمُورِ ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ (٣) لَا طَرَقَ كَثِيرٌ مِنَ
 السَّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ ، وَذَلِكَ إِذَا
 قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ ، وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتْ (٤)
 الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ ،

(١) الغييب : الظلام ، وكنى عن العموم والشمول بالتموج . واشند
 كلبها اي شرها واذاها ، شبهه بداء الكلب - بالتحريك - ما اصاب به
 احد الا جن ومات .

(٢) الفئة : الطائفة ، والناعق : الداعي اليها من نعيق الراعي
 بغممه وهو صوته والمناخ - بضم الميم - وافتحها : محط الركاب، والركاب
 الابل لا واحد لها من لفظها ، والرحال الابل ايضا واحدها راحلة .

(٣) الكراثة جمع كرية ، والحوازب جمع حازب وهو الامر الشديد

(٤) قلصت - بتشديد اللام - تماردت واستمرت - وبخفيفها - وثبت

حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ ، إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا
 أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ (١) . يُنْكَرُنَ
 مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعْرِفُنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحْمُنَ حَوْمَ الرِّيحِ يُصْبِنَ
 بَلَدًا ، وَيُخْطِئَنَ بَلَدًا ، أَلَا إِنَّ أَخَوْفَ الْفِتَنِ عِنْدِي
 عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ ،
 عَمَتْ خُطُوتُهَا (٢) ، وَخَصَّتْ بَلَدِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ
 مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا .
 وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ
 الضَّرُوسِ ، تَعْدُمُ بِفِيهَا وَتَخْطِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا ،
 وَتَمْنَعُ دَرَهَا (٣) . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ
 إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى
 لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ

(١) شبهت : التبس الحق بالباطل ، ونبهت : انكشف حالها ويفسر
 العبارة الكلام بعدها .

(٢) الخطأ - بالضم - الامر ، ويخص بالبلاء البصير فيها يعنى
 اهل البيت واتباعهم .

(٣) الناب : الناقة ، والضروس : السيئة الخلق ، وتعلم : تعض ،
 وتزين : تضرب ، والدر اللبن .

رَبِّهِ ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فَتَنْتَهُمُ
شَوْهَاءَ مَخْشِيَةٍ وَقَطَعَاءَ جَاهِلِيَّةٍ (١) ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ
هُدًى ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى ، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ (٢)
وَلَسْنَا فِيهَا بِدْعَةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ
الْأَدِيمِ (٣) ، بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا ،
وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ (٤) ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ،
وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ (٥) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ
بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَامًا وَاحِدًا وَلَوْ قَدَّرَ جَزْرُ

(١) التابع من متبوعه ، وشوهاء : قبيحة ومخشية : مخوفة .
وقطعاء : مقطوعة اليد ، وتروى وقطعا جاهلية اي متراكمة كقطع
السحاب ، وجعلها جاهلية لانها كافعال الجاهلية .

(٢) بمنجاة : بمعزل ، والنجاة والنجوة : المكان المرتفع ، ولسنا فيها
بدعاة : اي لسنا من الداعين اليها ، واهل البيت منصوبة على الاختصاص .

(٣) الاديم : الجلد ، اي كما يسلخ الجلد عن اللحم .

(٤) يسومهم : يوليهم ، والخسف الذل ، والعنف - بضم العين -
ضد الرفق ، وكأس مصبرة ممزوجة بالصبر ، ويجوز ان المراد مملوءة الى
اصبارها اي جوانبها .

(٥) يحلسهم : يلبسهم ، والحلس : كساء رقيق يكون تحت البرذعة
اي الرحل .

جَزُورٍ (١) لِأَقْبَلِ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي .

قال ابن أبي الحديد : هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة ، وهي : متداولة منقولة مستفيضة ، خطب بها علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان ، وفيها ألفاظ لم يروها الرضي رحمه الله من ذلك قوله عليه السلام : « ولم يكن ليجتري عليها غيري ولو لم أكُ فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان ، وأيم الله لولا أن تتكلموا فتدعوا العمل لحدثتكم فيما قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله من قاتلهم ، مبصراً لضلالتهم ، عارفاً للهدى الذي نحن عليه ، سلوني قبل أن تفقدوني فإني ميت عن قريب ، أو مقتول ، بل قتلاً ، ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذا » - وضرب بيده إلى لحيته - (ومنها في ذكر بني أمية) : « يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً إلى أن يضع الله عز وجل جبروتها ، ويكسر عمدها ، وينزع أوتادها .. » الخ (٢) .

ثم أضف إلى شهادة ابن أبي الحديد هذه من كون الخطبة متداولة مشهورة وما نقله من الزيادة التي لم يذكرها الرضي أن ابن واضح ذكر في تاريخه : ج ٢ ص ١٨٢ طرفاً من هذه الخطبة ، وأن أبا نعيم ذكر شيئاً منها في (حلية الأولياء) ج ١ ص ٦٨ . وأن المجلسي نقلها عن كتاب (الفارات) لإبراهيم بن هلال الثقفي . وابن الأثير فسر غريبها في « نهايته : ٣٧٧/١ » قال في مادة

(١) الجزور من الأبل يقع على الذكر والأنثى ، وجزرها : نحرها .
وقد ذكر أرباب السير أن مروان بن محمد قال لما ضويق بجيوش بني العباس قال : « وددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الراية » لما علمه من صفحه وحلمه وعفوه وكرمه سلام الله عليه .
(٢) الشرح م : ٢ ص ١٧٩ .

(حزب) ومنه حديث علي : « نزلت كرائه الامور ، وحزائب الخطوب » جمع حازب وهو الأمر الشديد . وفي مادة (عزم) ج ٣/٢٠٠ قال : ومنه حديث علي : « كالناب الضروس .. الخ .

وأما قوله عليه السلام في هذه الخطبة وفي غيرها : (ألا فاسألوني قبل أن تفقدوني) فهو من متواتر القول عنه .

قال ابن أبي الحديد : قد أجمع الناس كلهم أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء غير علي بن أبي طالب عليه السلام (١) .

وقد وهم ابن أبي الحديد بهذا القول فإن جماعة قد تورطوا بهذه الكلمة فانقطعوا ، وبدا عجزهم لما سئلوا أمثال : إبراهيم بن هشام الخزومي ، (تاريخ ابن عساكر : ٣٠٥/٢م) ومقاتل بن سليمان (تاريخ بغداد : ج ١٣/١٦٢) وقتادة بن دعامة (الانتقاء ص ١٥٦) ومحمد بن ادريس الشافعي (طبقات الحفاظ للذهبي : ج ٢/٢٨٨) وقد نقل ابن أبي الحديد نفسه نادرة لطيفة في هذا الشأن وقعت لبعض الوعاظ في أيام الناصر لدين الله مع أحمد بن عبد العزيز الكزي أذكرها هنا للمتعة ، وقد لا نخرج من الصدود بنقلها .

قال : حدثني من أثق به من أهل العلم حديثاً - وإن كان فيه بعض الكلمات العامة إلا أنه يتضمن ظرفاً ولطفاً ويتضمن أدباً - قال : كان ببغداد في صدر أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بالله وأعظم مشهور بالحدق ، ومعرفة الحديث والرجال ، وكان يجتمع اليه وتحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد ومن فضلائها أيضاً ، وكان مشتهراً بذي أهمل الكلام وخصوصاً المعتزلة وأهل النظر ، على قاعدة الحشوية ، ومبغضي أرباب العلوم العقلية ، وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة يرضي العامة بالميل عليهم ، فاتفق قوم من

(١) شرح النهج م ٣ ص ٢١٧ .

رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يبكته^(١) ، ويسأله تحت منبره ويخجله ويفضحه بين الناس في المجلس ، وهذه عادة الوعاظ يقوم اليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها ، وسألوا عمن يلتدب لهذا ، فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزّي ، كان له لسن ، ويشغل بشيء يسير من كلام المعتزلة ، ويتشيع وعنده قحّة وقد شدا طرفاً^(٢) من الأدب - وقد رأيت أنا هذا الشخص في آخر عمره وهو يومئذ شيخ ، والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا - فأحضروه ، وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم ، وجلس ذلك الواعظ في يومه الذي جرت فيه عادته في الجلوس فيه واجتمع الناس عنده على طبقاتهم ، حتى امتلأت الدنيا بهم ، وتكلم على عادته فأطال ، فلما مرّ في ذكر صفات الباري سبحانه في أثناء الوعظ ، قام إليه الكزّي فسأله أسئلة عقلية على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة ، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري ، وإنما دفعه بالخطابة والجدل ، وسجع الألفاظ ، وتردد الكلام بينها طويلاً ، وقال الواعظ في آخر الكلام : أعين المعتزلة حول ، وأصواتي في مسامعهم طبول ، وكلامي في أفئدتهم نصول ، يا من بالاعتزال يصول ، ويحك كم تحوم وتجول ؟ حول من لا تدركه العقول ، كم أقول كم أقول ، خلوا هذا الفضول ، فارتج المجلس وصرخ الناس ، وعلت الأصوات ، وطاب الواعظ وطرب ، وخرج من هذا الفصل الى غيره فسطح شطحة الصوفية ، وقال : سلوني قبل أن تفقدوني . وكررها ، فقام إليه الكزّي فقال : يا سيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتام الخبر معلوم ، وأراد الكزّي بتمام الخبر قوله عليه السلام : « لا يقولها بعدي إلا مدّع » فقال الواعظ وهو في نشوة طربه ، وأراد لإظهار فضله ومعرفة برجال الحديث والرواة : من علي بن أبي طالب هو علي بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري ؟ أم علي بن أبي طالب بن

(١) بكته بالحجة تبكيها : غلبه .

(٢) أي اخذ بطرف منه .

إسحق المروزي ؟ أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني ؟ أم علي بن أبي طالب بن سليمان الرازي ؟ وعد سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم علي ابن أبي طالب ، فقام الكزّي ، وقام من بين المجلس آخر ، ومن يسار المجلس ثالث افتدبوا له ، وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل ، فقال الكزّي : أشأ يا سيدي فلان الدين ، أشأ صاحب القول هو علي بن أبي طالب عليه السلام زوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام ، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله ﷺ بين الأتباع والأذئاب آخى بينه وبين نفسه ، وأسجل على أنه نظيره ومماثلة ، فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء ؟ أو نبت تحت حبكم من هذا شيء ؟ فأراد الواعظ أن يكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن ، وقال : يا سيدي فلان الدين ، محمد بن عبد الله كثير في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة : (ماضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) (١) وكذلك علي بن أبي طالب كثير في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » .

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن ميّزوا في الخلائق فالتفت إليه الواعظ ليكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر ، وقال :

يا سيدي فلان الدين ، حقك تجهله ، أنت معذور في كونك لا تعرفه :

وإذا خفيت على الغي فعاذر أن لا تراني مقالة عياء ...

فاضطرب المجلس ، وماج كما يموج البحر ، وافتتن الناس ، وتواثبت العامة بعضها الى بعض ، وتكشفت الرؤس ، ومزقت الثياب ، ونزل الواعظ ، واحتُمِل حتى ادخل داراً أغلق عليه بابها ، وحضر أعوان السلطان فسكنوا

(١) النجم ٢ و ٣ و ٤ .

الفتنة ، وصرفوا الناس إلى منازلهم وأشغالهم ، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبدالعزيز الكزي والرجلين اللذين قاما معه فحبسهم أياماً لتطفأ نائرة الفتنة ، ثم أطلقهم^(١) .

أما من روى قوله عليه السلام : « سلوني قبل أن تفقدوني » فقد رواه جماعة من الحفاظ ، ورواة الحديث ، منهم :

- ١ - الحاكم في (المستدرک) ج ٢ ص ٤٦٦ .
- ٢ - ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) ج ١ ص ١١٤ .
- ٣ - ابن حجر في (الإصابة) ج ٢ ص ٥٠٩ .
- ٤ - الحب الطبري في (الرياض النضرة) ص ١٩٨ .
- ٥ - السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص ١٢٤ .
- ٦ - السيد أحمد زيني دحلان في (الفتوحات المكية) ج ٢ : ص ٣٣٧ .
- ٧ - القندوزي في (ينابيع المودة) ص ٢٢٤ .

٩٢ - وَمِنْ خُطْبَةِ ابْنِ عَلِيٍّ بِالسَّيْلَامِ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ ، وَلَا يَنَالُهُ حَدَسٌ
الْفُطْنِ ٢ . الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي . وَلَا آخِرَ لَهُ
فَيَنْقُضِي .

(١) شرح النهج : ٣ ص ٢١٧

(٢) الهمم : الافكار والانتظار ، والحدس : الظن والتخمين ، والفتن جمع فطنة وهي الفهم .

(مِنْهَا فِي وَصْفِ الْأَنْبِيَاءِ) :

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ
مُسْتَقَرٍّ . تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ ١ إِلَى مُطَهَّرَاتِ
الْأَرْحَامِ . كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بَدِيلٌ بِإِذْنِ اللَّهِ
خَلَفٌ . حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِبْتَأً ٢ ،
وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَساً ٣ . مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا
أَنْبِيَاءُهُ ، وَانْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ . عَثَرَتْهُ خَيْرُ الْعَثَرِ ،
وَأَسْرَتْهُ خَيْرُ الْأَسْرِ ، وَشَجَرَتْهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ
فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَثَمَرَةٌ
لَا تُنَالُ ٤ . فَهُوَ إِمَامٌ مِنْ أَتَقَى وَبَصِيرَةٌ مِنْ أَهْتَدَى .

(١) تناسختهم : تناقلتهم ، ويروى (تناسلتهم)

(٢) المنبت - كمجلس - : موضع النبات ينبت فيه ، والارومات جمع
ارومة : الاصل ، والمفرس كمنبت : موضع الفرس .

(٣) صدع : شق ، وانتخب : اختار ، وعثرته : نسله واهله الادنون،
والاسرة - بالضم - الرهط .

(٤) الحرم يجوز ان يعني به مكة ، ويجوز ان يعني به العز والمنعة ،
وبسقت : طالت ، وثمرها لا ينال : اي لا يقدر احد ان يثمر مثله ولا يستطيع
قوم مباراتهم ، وبلوغ مساعيهم ومآثرهم .

سَرَّاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ . وَشَهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ . سِيرَتُهُ الْقَصْدُ ، وَسُنَّتُهُ الْرُّشْدُ . وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ ١ .
وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ،
وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ٢ .

اعْمَلُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ ، فَالطَّرِيقُ
نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ٣ . وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ
عَلَى مَهْلٍ وَفَرَاغٍ ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ٤ ،
وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ ،
وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

(١) القصد : الاعتدال ، والفصل : الفارق بين الحق والباطل .

(٢) الفترة - هنا - الزمان الفاصل بين الرسولين ، والهفوة : الزلة ،
والغباوة : قلة الفطنة .

(٣) الاعلام : المنار ، وطريق نهج : واضح ، ودار السلام : الجنة .

(٤) مستعتب - بفتح التائين - : طلب العتبي أي طلب الرضا من
الله تعالى ، و الصحف منشورة ، فيه إشارة الى الحديث الشريف « اذا
مات ابن آدم جف المداد ، وطويت الصحيفة فلا عمل يصعد ، ولا رزق
ينزل » .

ما نقله الرضي رحمه الله في هذا الموضع مأخوذ من خطبة له عليه السلام مشهورة. أولها :

« الحمد لله الواحد الأحد الصمد ، المتفرد الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، قدرة بانها من الأشياء ، وبانت الأشياء منه ، فليست له صفة تنال ، ولا حد يضرب له فيه الأمثال ^(١) ، كل دون صفاته تحبير اللغات ، وضل هناك تصارييف الصفات ^(٢) ، وحرار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير ^(٣) ، وافقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير ، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب تاهت في أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور ^(٤) ، فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ... » الخ .

وقال الكليني في (الكافي) ج ١/ ١٣٤ : عن هذه الخطبة بعد أن أخذ غرضه منها في (كتاب التوحيد) : « وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام حق لقد ابتذلتها العامة » يعني أنها اشتهرت بينهم فكأنها صارت مبتذلة .

وحدد الصدوق الزمان الذي خطب فيه عليه السلام بها إذ نقل أولها بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام « أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية ^(٥) .

(١) بان : أي افترق ، والامثال جمع مثل — بكسر الميم — أي الشكل

(٢) كل : أي عجز ووهن دون الوصول إليها ، والتحبير : التزيين والتنميق ، وضل هناك تصارييف الصفات : أي لم يهتد إليه وصف الواصفين بأنحاء تصارييفهم الصفات .

(٣) ملكوت : فعلوت من الملك وقد يخص بعالم الغيب ، وعالم المجردات ، كما يخص الملك بعالم الشهادة والماديات .

(٤) دون غيبه : أي قبل الوصول الى غيبه ، والضمير في أدانيها راجع الى الحجب ، والمراد بطامحات العقول : العقول المرتفعة : أي الكبيرة .
(٥) التوحيد : ص ٢٠

ورواها ابن عبد ربه المالكي في (العقد الفريد) ج ٤/٧٤ بتفاوت مع رواية الرضى تحت عنوان « خطبته - يعني علياً عليه السلام - الغراء » . وقد أوضحنا فيما تقدم أنه واهم في تسميته هذه الخطبة بـ « الغراء » . ويلاحظ أن رواية (العقد) خلت من ذكر أهل البيت في الخطبة فلعل يبدأ أمينة ! حذفت ذلك ، كما حذفت الخطبة الشقشقية من (العقد) وقد أثبتنا أنها كانت مثبتة فيه عند الكلام على مصادر الخطبة الشقشقية . وكيف كان فكل من ذكرنا قد تقدموا على الرضى ولا يضر الاختلاف بين رواياتهم .

٩٣ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ لِبُعَاثِ السَّيْلَانِ

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ . وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ . قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ . حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأُمُرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ . فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

قال ابن أبي الحديد : « حاطبون في فتنة جمع حاطب ، ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطأ أو يتكلم بالغث والسمين حاطب ليل لأنه لا يبصر بما

(١). استهوتهم : دعتهم الى انفسها ، واستزلتهم ادت بهم الى الزلل ، واستخفتهم : طيشتهم ، والجاهلية : حالة العرب قبل البعثة ، والجهلاء : وصف مبالغة للجهل ، والزلال : الاضطراب .

يجمع في حبله ويروى : خابطون «^(١) . وفي نقله لاختلاف الرواية دليل على أنه قرأها في غير (نهج البلاغة) لأن الرضي لم يشر إلى ذلك .

٩٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ . وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ . وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ . وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ . وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ . فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ٢ . قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَتُنِيَتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ الْأَبْصَارِ ٣ . دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ ، وَأَطْفَأَ بِهِ الْثَوَائِرَ ٤ . أَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ٥ . أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ . كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ ٦ .

-
- (١) خابطون من الخبط وهو الخلط ، ومنه يقال : خبط عشواء ، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط اذا مشت : لا تتوقى شيئا .
(٢) المعاهد جمع مهمد : ما يمهّد أي يبسط فيه الفراش ونحوه ، ويعنى بالسلامة البراءة من العيوب .
(٣) الازمة - كائنة - جمع زمام ، وانثناء الازمة اليه كناية عن تحولها نحوه .

(٤) الضغائن : الاحقاد ، والثوائر جمع نائرة وهي العداوة .

(٥) الاقران : جمع قرين .

(٦) اي ان صمته لا يخلو من فائدة فكأنه كلام

سيأتي الكلام عن هذا الفصل في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى .

٩٥ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَكِنْ أَمَهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ . وَهُوَ لَهُ
بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ . وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ
مَسَاغِ رِيقِهِ ١ . أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُظْهِرَنَّ هَؤُلَاءِ
أَلْقَوْمَ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لَانْتَهُمُ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ
لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلٍ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي .
وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا ، وَأَصْبَحَتْ
أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي ، اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ
تَنْفِرُوا ٢ ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا
وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ،
أَشْهُدُ كَغِيَابِ ٣ ، وَعَبِيدُ كَأَرْبَابٍ ؟ أَتُلُوا عَلَيْكُمْ
الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعْظُمُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ

- (١) المِرْصَادُ : الطريق : ومجاز طريقه : مسلكه ، والشَّجَى : ما
يعترض في الحلق من عظم ونحوه ، ومَسَاغُ الرِّيقِ : ممره من الحلق ،
والكلام تمثيل لقرب السطوة الإلهية من الظالم .
(٢) الاستنفار : طلب الخروج إلى الحرب .
(٣) شهود جمع شاهد : أي الحاضر ، وغياب جمع غائب .

فَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحْشَكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا
 آتَى عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي
 سَبَا ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ،
 أَقْوَمُكُمْ غُدُوَّةً ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَشِيَّةٍ ، كَظْهِرِ الْحَنِیَّةِ ٢ ،
 عَجَزَ الْمُقَوِّمُ ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوِّمُ ٣ .

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ ، الْمُخْتَلَفَةُ
 أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ
 وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ
 يُطِيعُونَهُ ، لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ
 الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ ، وَأَعْطَانِي
 رَجُلًا مِنْهُمْ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ بِكُمْ بِثَلَاثٍ وَأَثْنَتَيْنِ : صُمُّ

(١) سبأ أبو عرب اليمن ، قيل : كان له عشرة بنين جعل منهم ستة
 يمينا له ، وأربعة شمالا نسبها لهم باليدين ، وسميت ذراريهم بالأيدي ثم
 تفرقوا أشد التفرق بعد خراب سد مارب . مثل يضرب للمتفرقين .

(٢) الحنية : الفوس .

(٣) اعضل : أعيأ واستصعب .

ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبِكُمْ ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُمِّي ذَوُو أَبْصَارٍ ،
لَا أَحْرَارُ صَدَقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ
الْبَلَاءِ ١ ، تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ ٢ ، يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا
رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ
آخَرَ ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ ٣ أَنْ لَوْ حَمَسَ
الْوَغَى وَحَمِيَ الضَّرَابُ وَقَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
أَنْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبْلِهَا ٤ ، وَإِنِّي لَعَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي ،
وَمِنْهَا جِ مِنْ نَبِيِّ ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْهُ
لَقُطَاهُ. أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ ٦ ،

(١) هذه وما قبلها الثنتان وما قبلهما الثلاث وانما لم يقل : بخمس
لان الثلاث ايجابية والاثنتين سلبية ففرق بين الاثبات والنفي وكم في كلامه
عليه السلام من هذا القبيل . ومنيت : ابتليت .

(٢) تربت ايديكم : دعاء عليهم بان لا يصيبوا خيرا مأخوذ من ترب
الرجل اذا افتقر حتى يلتصق بالتراب .

(٣) اخال بالكسر : اظن وتروى « اخالكم » .

(٤) حمس - بكسر الميم - اشتد وعظم ، والوغى في الاصل الجلبة
والاصوات ، وسميت الحرب بذلك لما فيها من ذلك ، وانفراج المرأة عن
قبلها أي عند الولادة ، وفيه كناية عن العجز والاستكانة .

(٥) اللقط : أخذ الشيء من الارض .

(٦) السمت : الطريق ، والمراد به الهدى والاقتفاء .

وَاتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ
يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا فَلَبَدُوا ١ ، وَإِنْ نَهَضُوا
فَانْهَضُوا ، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ
فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشَبِّهُهُمْ ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ
شُعْثًا غُبْرًا ٢ ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا يُرَاحُونَ بَيْنَ
جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ ٣ ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ
مَعَادِهِمْ ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمَعْزَى مِنْ طُولِ
سُجُودِهِمْ ٤ ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُ
جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ
خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ ، وَرَجَاءِ الثَّوَابِ .

-
- (١) لبد : أي أقام والمراد ان قعدوا فاقعدوا وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله قال في الحسنين عليهما السلام « انهما امامان قاما أو قعدا » .
(٢) شعثا : جمع اشعث وهو المغبر الرأس كناية عن الزهد لا الدرن لان « النظافة من الايمان » .
(٣) المراوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة وهذا مرة .
(٤) ركب جمع ركبة : موصل الساق من الرجل بالفخذ ، وانما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة ، والجيوب جمع جيب وهو القميص .
(٥) مادوا : اضطربوا وارتعدوا .

جميع ما ذكر الرضي هنا منقول من خطبة له عليه السلام طويلة رويت متفرقة في مصادر عديدة قبل « النهج » وبعده نذكر منها

- ١ - كتاب سليم بن قيس الهلالي : ص ١١٠ .
- ٢ - الكافي : ج ٢ ص ٢٣٦ .
- ٣ - عيون الأخبار لابن قتيبة : ج ٢ ص ٣٠١ .
- ٤ - حلية الأولياء لأبي نعم : ج ١ ص ٧٦ .
- ٥ - الارشاد للمفيد : ١٦١ .
- ٦ - المجالس للمفيد : ص ١٠٥ .
- ٧ - التذكرة للسبط : ص ١٣٧ .
- ٨ - تاريخ دمشق لابن عساكر بترجمة علي عليه السلام .

وعند المقارنة بين روايتي الهلالي والمفيد وبين رواية الرضي ان ما نقله الرضي هنا وما مر برقم (٣٤ : خطب) وهو قوله عليه السلام : « أف لكم لقد سئمت عتابكم » من خطبة واحدة ، وقد سبق منا القول في مصادر المنقول هناك وفيهم من تقدم على الشريف الرضي كالطبري وابن قتيبة ونصر ابن مزاحم ، وأنه عليه السلام خطب بها لما كره القوم المسيرة الى الشام عقيب واقعة النهروان .

٩٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا اللَّهَ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ^١ ،
وَلَا عَقْدًا إِلَّا احْلَوْهُ^١ . وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا

(١) استباحل المحرم : استباحته .

وَبَرٍّ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعِيَّتِهِمْ ۖ وَحَتَّى
يَقُومَ الْبَاسِكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكَ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكَ يَبْكِي
لِدُنْيَاهُ . وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ
الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ . إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ ٢ .
وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا ٣ .
فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا . وَإِنْ آتَيْتُمْ فَاصْبِرُوا .
فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) : ج ١ ص ١٥١ ، ويظهر من
روايته أنه عليه السلام قال هذا الكلام بعد الكلام الذي يأتي برقم (١٢٣)
والذي قاله لما عوتب على التسوية في العطاء .

وقال جماعة من شراح (النهج) كابن أبي الحديد وكمال الدين البحراني
والإمام محمد عبده : أنه إشارة إلى بني أمية والظاهر ثبوت ذلك عندهم من
وجه آخر .

(١) بيوت المدر : البيوت المبنية في القرى وبيوت الوبر : ما يتخذ في
البادية من وبر الابل ، نبا به منزله إذا ضره ولم يوافق ، ورعيهم : سياستهم .
(٢) لان العبد الضعيف لا يستطيع ان ينتصف من سيده المتعسف
باكثير من اغتيابه .

(٣) لان من احسن الظن بالله تعالى وتوكل عليه ابتعد عنهم فيكونون
عليه اشد واقوى طلبا وفي ذلك ما فيه العناء .

٩٧ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا
يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَدْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ
الْمَعَاوَةَ فِي الْأَبْدَانِ .

عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ
لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرَكْهَا ، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجَدِّدْهَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ
سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَأَمَّا عِلْمًا فَكَانَتْهُمْ
قَدْ بَلَغُوهُ ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ
إِلَيْهَا ٢ حَتَّى يَبْلُغَهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءٌ مِنْ لَهُ
يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ، وَطَالِبٌ حَتَّى يَحْدُوهُ ٣ فِي الدُّنْيَا حَتَّى
يُفَارِقَهَا ، فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا

-
- (١) السفر - بفتح فسكون - : جماعة المسافرين ، واموا : قصدوا ،
والعلم : الجبل أو المنار في الطرق يهتدى به .
(٢) يقال : أجرى فلان فرسه إلى الغاية إذا أرسلها ثم نقل ذلك إلى
كل من قصد بكلامه معنى ، أو بفعله غرضاً .
(٣) الحثيث : السريع ، ويحدوه : يسوقه .
(٤) المنافسة : المحاسدة ، ونفست عليه بكذا أي ضمنت .

تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا
وَبُؤْسِهَا ١ ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى أَنْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ زِينَتَهَا
وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَضَرَاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ ٢ ، وَكُلُّ
مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى أَنْتَهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ ، أَوْلَيْسَ
لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ ٣ وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ
تَبْصِيرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ، أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى
الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا
يَبْقُونَ ، أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيَمْسُونَ
عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى ، فَمَيِّتٌ يُبْكِي ، وَآخِرٌ يُعْزِي ،
وَصَرِيحٌ مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ ،
وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ
عَنْهُ ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي .
أَلَا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ ، وَمُنْغِصَ الشَّهَوَاتِ ،

(١) البؤس : الشدة .

(٢) نفاد : أي فناء

(٣) مزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ، ومعناه الكف والارنداع .

(٤) جاد بنفسه : اذا قارب ان يلفظ انفاسه الاخيره كانه يسخو بها

ويسلمها الى خالقها .

وَقَاتِعَ الْأُمْنِيَّاتِ ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ ١ .
وَأَسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُخْصِي مِنْ
أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . .

هذه الخطبة رواها النوري بتفاوت عما هنا في « مستدرک الوسائل » : ١
ص ١١١ عن زيد بن وهب وقد تقدم منا الكلام تحت عنوان (الكتب المؤلفة
في كلام أمير المؤمنين عليه السلام) (٢) على ان زيد بن وهب من أصحابه عليه السلام ،
وأنة أول من جمع خطبه في الجمع والأعياد وغيرها ، وقد روى الصدوق في
(معاني الأخبار) ص ١٨٤ قطعة من هذه الخطبة من قوله عليه السلام :
(أوما ترون الى أهل الدنيا) الى قوله سلام الله عليه « وعلى أثر الماضي
يصير الباقي » كما رواها في (الفقيه) ج ١ ص ٢٧٠ من خطبه يوم الجمعة ما عدا
قوله عليه السلام « ألا فاذكروا هادم اللذات » .

وقد قلنا أكثر من مرة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد يكرر بعض
المعاني بحسب المواطن ، ولذا يأتي المروي من كلامه عليه السلام مختلف الوجوه
متداخل الفقرات فمثلاً كلامه في هذا الموضع : « أولستم ترون أهل الدنيا
يصبحون ويمسون على أحوال شتى » ... الخ تراه في هذه الخطبة ، وفي كلامه
مع الشيخ الشامي الذي رواه الطوسي في (الأمالي) ج ٢ ص ٥٠ وفي موعظة
له أخرى نقلها الطبرسي في « مشكاة الأنوار » ص ١٠٧ .

(١) المساورة : الواثبة ، أمرهم بذكر الموت عند وثوبهم الى الاعمال
القبیحة حتى يكون ذلك زاجراً لهم عنها .
(٢) انظر ج ١ ص ٤٨ من هذا الكتاب .

٩٨ - وَمِنْ خُطْبَةِ الْبُرْهَانِ السَّنَائِدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ
بِالْجُودِ يَدَهُ ١ نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ
عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا ٢ ، وَبَذَلَهُ نَاطِقًا ،
فَأَدَّى أَمِينًا ، وَمَضَى رَشِيدًا ، وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ ،
مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ ٣ ، وَمَنْ
لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِثُ الْكَلَامِ ٤ ، بَطِيءُ الْقِيَامِ ،
سَرِيعٌ إِذَا قَامَ ٥ ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ ، وَأَشْرْتُمْ
إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ٦ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ
بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ
وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ ٧ ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ ، وَلَا

-
- (١) يده ههنا : نعمته ، يقال : لفلان عندي يد أي نعمة واحسان ،
(٢) صادعا : مظهرًا ومجاهرا .
(٣) راية الحق : الكتاب والعترة ، ومرق : خرج ، وزهق : هلك .
(٤) مكث : رزى في قوله لا يبادر به من غير روية .
(٥) بطيء القيام .. الخ : أي ذو أناة وتؤده ولكنه إذا نهض جد وبالغ
(٦) انتم له رقابكم : اطعموه ، واشترتم اليه باصابعكم عظمتموه .
(٧) يضم نشركم : يجمع متفرقكم .

تَيَاسُوْا مِنْ مُدْبِرٍ ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى
قَائِمَتَيْهِ ١ ، وَتَثْبُتَ الْآخَرَى ، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا
جَمِيعًا ، أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ٢ ،
فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ .

قال ابن أبي الحديد : « واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه
السلام في الجمعة الثالثة من خلافته وكنى فيها عن حال نفسه وأعلمهم فيها
أنهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه ، وطاعتهم له . وهكذا وقع
الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي
قتل فيه عليه السلام وجاء في الأخبار أنه عقد للحسن ابنه عليه السلام على
عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري (٣) على عشرة آلاف ولفلان وفلان حتى

(١) بعد أن وعدهم بأن الله تعالى سيقبض لهم من يجمع أمرهم ،
ويضم نشرهم نهاهم عن استعجال ذلك الأمر قبل أوانه كما نهاهم عن
اليأس منه عند إبطائه ، وأن ذلك الذي أخبرهم عنه مهما اضطربت الأمور
لا بد أن تثبت دعائمه ، وتنتظم أموره .

(٢) خوى النجم : مال إلى المغيب .

(٣) أبو أيوب الأنصاري زيد بن خالد الخزرجي من بني النجار ،
شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد ، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه
واله حين قدم المدينة ، ولا تزال داره التي نزلها رسول الله معروفة قرية
من الحرم النبوي يقصدها الناس للتبرك والزيارة ثم أغلقت في الآونة
←

اجتمع مائة ألف سيف ، وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه ابن ملجم اللعين وكان من أمره ما كان ، وانفضت تلك الجموع وكانت كالغيم ففقدت راعيها .

فهو ينص على الزمان الذي خطب به عليه السلام مما يدل أنه رآها في غير « نهج البلاغة » لأن الرضي لم يذكر ذلك .

٩٩ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ .

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ١ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ

→
الآخيرة . وشهد أبو أيوب مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته كلها ، وكان معه يوم النهروان راية أمان فمن خرج من عسكر الخوارج وصار تحتها كان آمنا ، وله مواقف في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام معروفة ، ولما غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم في أيام أبيه أخذه معه ، وكان شيخا هرميا فتوفى عند القسطنطينية سنة ٥٠ وقبره معروف ظاهر .

(١) لا يجرمنكم شقائي : أي لا يحملكم شقائي على انكار قولي ، والشقاق : العصيان والمخالفة .

عُصَيَانِي ١ ، وَلَا تَتَرَامُوا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَهُ
 مِنِّي ٢ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ٣ ، إِنَّ الَّذِي
 أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا
 كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ، وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ ٤ وَلَكِنِّي أَنْظُرُ إِلَى
 ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي
 كُوفَانِهِ ، فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغْرَتُهُ ، وَأَشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ،
 وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَاتُهُ ٦ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا

(١) استهواه : أماله

(٢) اي لا يلحظ بعضكم بعضا فعل المنكر والمكذب .

(٣) فلق الحبة : شققها واخرج منها الورق الاخضر ، وبرأ النسمة :
 خلقها وهذا القسم لا يزال أمير المؤمنين يقسم به وهو من مبتكراته سلام الله
 عليه

(٤) يريد بالمبلغ والسامع نفسه عليه السلام اي ما كذبت على الرسول
 ولا جهلت ما قاله .

(٥) الضليل كشرير : شديد الضلال ، والنعيق : صوت الراعي
 بغممه ، وفحص براياته من فحص القطا التراب ، أي اتخذ منه مجثما ،
 وكوفان اسم الكوفة والمعنى انه يجعل من ضواحي الكوفة مجثما لراياته .

(٦) فغرت فاغرته : فتح فاه وهذا من باب الاستعارة اذا فتك فتح
 فاه كما يفتح الاسد فاه عند الافتراس . والشكيمة - في الاصل - : حديدة
 معترضة في اللجام في فم الدابة ثم قالوا : فلان شديد الشكيمة ، اذا
 كان شديد المراس ، صعب الانقياد ، وثقلت وطاته : عظم جوره وظلمه .

بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا ، وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ
كُلُّوْحُهَا ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُّوْحُهَا ١ فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ ، وَقَامَ
عَلَى يَنْعِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ٢ ،
عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفَتَنِ الْمُعْضَلَةِ ٣ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُتَلَتِّطِمْ ، هَذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ
مِنْ قَاصِفٍ ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ ٤ ، وَعَنْ قَلِيلٍ
تَلْتَفُ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ
الْمَحْصُودُ ٥ .

-
- (١) الكلوح : العبوس والكدوح : آثار الجراح .
(٢) ينعه بفتح الياء : نضجه ، والشقاشق : شيء كالرئة يخرج به
البعير إذا هاج ، والبوارق : السيوف والرماح ، وكل ذلك كناية عن تمام
الامر لذلك الضليل .
(٣) المعضلة : عسرة العلاج .
(٤) يخرق : يقطع ، والقاصف : ما اشتد صوته من الرعد والرياح
ونحوهما ، والعاصف : الريح القوية تكسر كل ما تمر عليه ، والمراد المزعجات
من الفتن .
(٥) القرون : الاجيال واحدها قرن بفتح القاف أي عن قليل يلحق
قرن من الناس بقرون ، وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن
الارض ، وشبه الناس بالزرع يحصد قائمه ، ويحطم محصوده فكنى
بحصدهم عن موتهم او قتلهم ، ويحطم محصودهم بفنائهم ، وذهابهم
في الارض . وقال بعضهم : ان المراد بالقرون قواد الحروب يشتبك بعضهم
ببعض كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح .

هذا الفصل وما يأتي بعده والذي يأتي برقم ١٢٥ كلها من خطبة واحدة يشير فيها عليه السلام الى الملاحم ويذكر بعض المغيبات .

١٠٠ - ومن كلامه عليه السلام يجري مجرى الخطبة

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشِ
الْحِسَابِ ١ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمْ
الْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ . فَأَحْسَنَهُمْ حَالاً مَنْ
وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَلِنَفْسِهِ مَتَسَعاً .

(مِنْهُ) فَتَنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، لَا تَقُومُ لَهَا
قَائِمَةٌ ٢ ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ ،
يَحْفَرُهَا قَائِدُهَا وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ
كَلْبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ ٣ . يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ
أَذَلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي
السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ . فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ

(١) نقاش الحساب : الاستقصاء به .

(٢) اي لا تثبت امامها قوة ، والقائمة في الاصل اسم من اسماء الخيل

(٣) مزمومة مرحولة : كناية عن استكمال عدتها ، ويحفرها : يحثها ،

ويجهدا : يتعبها : والكلب - بالتحريك - الشر ، السلب - محركة -
ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول .

جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ وَلَا حَسَّ ٢. وَسَيَّبَتْلَى
أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ .

قالوا : انه عليه السلام يشير في هذه الخطبة إلى فتنة صاحب الزنج
وأقول : لعله عليه السلام يشير إلى فتن أخرى لم تقع بعد خصوصاً إذا تأملت
قوله عليه السلام « لا رهج لها ولا حس » فإن جيش صاحب الزنج كان ذا
حس ورهج وما نقله الرضي في هذا الموضوع هو مختار خطبة يأتي القول
فيها برقم (١٢٦) ان شاء الله تعالى .

١٠١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، الصَّادِقِينَ
عَنْهَا ٣ ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّائِي السَّاكِنَ ،
وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ الْآمِنَ ٤ ، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا
فَأَدْبَرَ ، وَلَا يُدْرِي مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيَنْتَظِرُ . سُورُهَا
مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ ، وَجَلْدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ

(١) الـرهج - محرّكة وتسكن الهاء ايضاً القبار .

(٢) الحس - بفتح الحاء - الجلبة والاصوات المختلفة .

(٣) الصادقين : المعرضين .

(٤) عما قليل : أي عن قليل ، والثاوي المقيم : والمترف الذي اترفه

النعمة ، أي اطفته فتركته يصنع ما يشاء لا يمنع .

وَالرَّهْنِ ١ ، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا ، لِثِقَلِ
مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَاعْتَبَرَ فَابْصَرَ ، فَكَانَ
مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ ، وَكَانَ
مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ ، وَكُلُّ
مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ
دَانٍ .

(مِنْهَا) أَلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ. وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا
يَعْرِفَ قَدْرَهُ . وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَبْدًا وَكَلَهُ
اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ . جَائِرًا ٢ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِرًا بِغَيْرِ
دَلِيلٍ . إِنَّ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى
حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلَ ٣ ، كَانَ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ،

(١) مشوب : مخلوط ، والجلد : الصلابة والقوة ، والوهن الضعف
أيضا وإنما عطف للتأكيد كقوله تعالى : (شرعة ومنهاجا . المائدة : ٥١)
والشرعة هي المنهاج .

(٢) الجائر : العادل عن القصد .

(٣) الحرث : كل ما يثمر فائدة دنيوية او اخروية .

وَكَانَ مَا وَنِيَ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ ١ .

(مِنْهَا) وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ
نُومَةٍ ١ إِنَّ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولَئِكَ
مَصَابِيحُ الْهُدَى ، وَأَعْلَامُ السُّرَى ٢ . لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ
وَلَا الْمَذَابِيحِ الْبُذُرِ أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ،
وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ سَيِّئَاتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَى فِيهِ الْإِسْلَامُ
كَمَا يُكْفَى الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ
مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ ٣ ،
وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا
لَعُتْبَلِينَ » .

قَالَ الرضوي رحمه الله تعالى أما قوله عليه السلام
(كل مؤمن نُومَة) فإنما أراد به الخامل الذكر القليل

(١) ونى : تراخى .

(٢) السرى : السير ليلا .

(٣) يبتليكم : يمتحنكم .

الشر ، والمسايبيح جمع مسياح وهو الذي يسبح بين
الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع جمع مذياح : وهو
الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها . والبذر
جمع بذور : وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقته .

ما في هذه الخطبة تجده منشوراً في الكتب الآتية مع اختلاف في بعض
الألفاظ - وفيها ما هو سابق لنهج البلاغة مثل : « الروضة » للكليني ص ١٣٩
و « تحف العقول » ص ١٤٣ ، و « اصول الكافي » ج ٢/٢٢٥ ، و « عيون
الأخبار » لابن قتيبة ج ٢/٣٥٢ و « ربيع الأبرار » للزخشري : ج ١/٢١٩ ،
مخطوطة مكتبة الإمام كاشف الغطاء ، و « مطالب السؤل » لابن طلحة
الشافعي : ج ١/٢٠٢ ، و « دستور معالم الحكم » : ص ٤٨ ، وفي كتاب « الفتن »
لنعم بن حماد الخزاعي^(١) المتوفى عام ٢٢٨ هـ على ما نقله السيد ابن طاووس
في « الملاحم » : ص ٢٧ قال : حدثنا ابن المبارك ، وحدثنا عن عوف عن

(١) نعم بن حماد الخزاعي أبو عبدالله أول من جمع المسند في
الحديث ، كان عالماً بالفرائض والسنن ، ولد في مرو الشاهجان ، وأقام
مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث ثم سكن مصر ، ولم يزل بها إلى أن
حمل إلى العراق ، وسئل عن القول بخلق القرآن فامتنع أن يجيب فحبس
في سامراء ومات في سجنه فجر بأقياده وألقي في حفرة ولم يكفن ولم
يصل عليه ، فعل به ذلك بأمر ابن أبي دؤاد القاضي ، وقد روى عنه الخطيب
البغدادي من عدة طرق بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
(ستفترق امتي على بضع وسبعين فرقة شر فرقة منها وفي رواية اعظمها
فتنة قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله
عز وجل) وهو غير نعم بن حماد الخزاعي أبو القاسم الدينوري فان هذا
الاخير توفي سنة ٤٠٩ هـ .

رجل من أهل الكوفة أحسبه قال: اسمه مسافر عن علي عليه السلام قال: «ينجو في ذلك الزمان كل مؤمن نومه» وفي حديث وسئل عن النوم قال: الساكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء. ونقل ابن الأثير في «النهاية»: ج ٥، ص ١٣١ عن «الجمع بين الغريبين» للهروي قال: وفي حديث علي أنه ذكر آخر الزمان والفتن ثم قال: (خير أهل ذلك الزمان المؤمن النومة) وأنت إذا لاحظت قوله «إنه ذكر آخر الزمان والفتن... الخ» تقطع أن المراد ما ذكره في هذه الخطبة.

١٠٢- وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ . يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ . يَخْسِرُ الْحَسِيرُ ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ ٢ ، حَتَّى آرَاهُمْ

- (١) كانه صلى الله عليه وآله بخاف ان تسبقه القيامة فهو مبادرها بهدايتهم وارشادهم قبل ان تقوم وهم على ضلالهم .
(٢) الحسير: المعيا من حسر البعير اذا أعبا وكلّ ، والكسير: المكسور ، والكلام من باب الاستعارة والمجاز أي ان من تزلزل اعتقاده ، فتخلف عن اللحاق بالمخلصين فانه صلى الله عليه وآله يرشده حتى يزيل ما خاومه من ريب ويلحقه بهم ، الا من كان يعلم انه لا خير فيه بعناده واصراره لخبث عنصره فذلك ما لا ينجع فيه الدواء ، ولا ينفعه العلاج .

مَنْجَاتِهِمْ ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ ١ ،
وَأَسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا
حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحَذَافِيرِهَا ٢ ، وَأَسْتَوْسَقْتُ فِي قِيَادِهَا ٣ ،
مَا ضَعُفْتُ ، وَلَا جَبُنْتُ ، وَلَا خِنْتُ وَلَا وَهَنْتُ وَأَيُّمُ
اللَّهِ لَا بَقْرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أَخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ .
قال الشريف الرضي رحمه الله : وقد تقدم مختار الا اني وجدتها
في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان فأوجبت الحال
اثباتها ثانية .

وقد تقدم القول منا أيضاً في مدرکها برقم (٣٣) خطب فراجع إذا
شئت .

(١) بَوَّأَهُمْ : أحلهم ، واستدارت رحاهم : كناية عن وفرة أرزاقهم
فان الرحي انما تدور على ما تطحنه من الحب .
(٢) الساقة جمع سائق ، والحذافير : نواحي الشيء جمع حذافر
اي تولت كلها ، والضمير المؤنث يرجع الى غير المذكور لفظا والمراد به
الجاهلية .

(٣) استوسقت : اي اجتمعت وانتظمت ، والضمير في قيادها
يعود الى غير المذكور لفظا والمراد به الدعوة الاسلامية فقد دلت تلك وحلت
هذه محلها .

(٤) البقر : الشق ، كانه جمل الباطل كالشيء المشتعل على الحق
غالباً عليه ومحيطاً به ، فاذا بقر ظهر الحق الكامن فيه .

١٠٣ - وَمِنْ خُطْبَتَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيداً
وَبَشِيراً وَنَذِيراً : خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً .
أَظْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً ، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيْمَةً ١ .
فَمَا أَحْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا ، فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ
رِضَاعِ أَخْلَافِهَا ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً
خَطَامُهَا ٢ ، قَلَقاً وَضِيئُهَا ٣ . قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ
بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ ٤ ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ

(١) الشيمة : الخلق ، والديمة - بكسر الدال - المطر يدوم بسكون ،
والمستمطرين : المستماحون .

(٢) احلوت : حلت ، الاخلاف واحدتها خلف - بكسر الخاء - وهو
حلمة الضرع ، والخطام : زمام الناقة .

(٣) الوضين : سيور تنسج مضاعفة بعضها على بعض يشد بها
الهودج منه الى بطن البعير ، والجمع وضن ، والمعنى ان الدنيا صعبت
على من يليها ولاية حق لاضطراب الامور كالناقة اذا كانت جائلة الخطام ،
قلقة الوضين ، لا يثبت هودجها تحت الراكب .

(٤) السدر - بالكسر - شجر النبق ، ومخضود : منزوع الورق
والشوك والمعنى ان حرامها سهل التناول على من يريده كالسدر الذي
خضد عنه شوكه فصار ناعماً أملس .

وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللَّهُ ظَالِمٌ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ . فَلَا أَرْضَ
لَكُمْ شَاغِرَةً ١ ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ
عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسَيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلِّطَةٌ ، وَسَيُوفُهُمْ
عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ ٢ . أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا ٣ ، وَلِكُلِّ
حَقٍّ طَالِبًا . وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ
نَفْسِهِ ٤ . وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا
يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ
لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَذُوبِكُمْ .

أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ . أَلَا
إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ ٥ .

(١) شاغرة : خالية ، وبلدة شاغرة برجها اذا لم تمتنع من احد .
(٢) يريد بالقادة ائمة الحق وهو عليه السلام اولهم ، وايديهم مكفوفة
عن اقامة العدل لقلة مناصريهم ، ويرمز في قوله عليه السلام : (سيوفكم
عليهم مسلطة) الى ما يجرى على ائمة الهدى واتباعهم من التقتيل
والتكيل .

(٣) الثائر : طالب الثار لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره .
(٤) اي ان الثائر بدمائهم كالحاكم الذي هو الخصم يحكم لنفسه فلا
يبقى شيئاً من حقه .

(٥) اي ان اشد العيون ادراكا ما نفذ طرفها في الخير ، واشد الاسماع
ادراكا ما حفظ الموعظة وقبلها .

أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظْ
مُتَعِظٍ . وَامْتَحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّتَ مِنَ الْكَدْرِ ١ .

عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرْكُنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا
لَاهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ
هَارٍ ٢ ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ٣
لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ
وَيُقَرِّبُ مَا لَا يَتَقَارَبُ . فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا
يُشْكِي شَجْوَكُمْ ٤ ، وَلَا يَنْقُضُ بِرَائِيهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ .
إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، الْإِبْلَاقُ
فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ

(١) اي اسرجوا مصابيحكم من شعلة سراج متعظ في نفسه واعظ
لغيره ، ويعنى بهذا المصباح نفسه والائمة من اهل بيته عليهم السلام ،
والامتياح نزول البشر وملا الدلاء وكنى بذلك وبالعين الصافية عن نفسه
عليه السلام .

(٢) شفا : الشيء حرقه ، والجرف - بضم تين - ما تجرفه السيول،
والهاري كالهائر : المتهدم أو المشرف على الانهدام .

(٣) الردى : الهلاك ، أي ان من يركن الى جهالته ، وينقاد لهواه
هو بانتقاله من ضلالة الى ضلالة ينقل وزرها من موضع الى موضع من ظهره

(٤) أشكاه : أزال مشتكاه ، والشجو : الحاجة .

لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّهَا ، وَإِصْدَارُ
السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا ١ . فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ
نَبْتِهِ ٢ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ
الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ٣ . وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ،
فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي .

روى آخر هذه الخطبة علي بن ابراهيم في « تفسيره » : ج ١ ص ٣٨٤ عند
تفسير قوله تعالى : (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أُنْذِرُوا الذين
يضلونهم بغير علم) (٤) بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين
عليه السلام بعدما بويج بخمسة أيام خطبة فقال فيها : « واعلموا أن لكل حق
طالباً ولكل دم ثائراً ... الخ » . كما روى الشيخ المفيد طرفاً من هذه
الخطبة في « الارشاد » ص ١٦٠ .

(١) السهمان - بضم السين - جمع سهم وهو الحفظ والنصيب ،
واصدارها اعادتها الى مستحقها .

(٢) التصويح : التجفيف ، يقال : صوح النبت اذا يبس اعلاه ، اي
سارعوا الى تحصيل العلم وهو غض نضر ، وتصويح العلم بموت حملته .

(٣) مستثار العلم : استنباطه من معدنه .

(٤) النحل : ٢٥

١٠٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ
وَرَدَهُ ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ
عَلِقَهُ ١ ، وَسَلِّمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ٢ ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ
بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ ،
وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ،
وَتَبْصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ
صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجَنَّةً
لِمَنْ صَبَرَ ٣ . فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ ٤ ، وَأَضِحُّ الْوَلَائِحِ ٥ ،
مُشْرِفُ الْمَنَارِ ٦ ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ ٧ ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ

(١) ، علقه كعلمه : تعلق به .

(٢) أي من دخله لا يحارب .

(٣) الجنة - بضم الجيم - ما يستتر به من سلاح وغيره .

(٤) الابلاج : المضيء المشرق ، والمناهج : جمع منهاج وهو الطريق

الواضح .

(٥) الولائج جمع وليجة وهي الدخيلة أي المذهب .

(٦) مشرف - بفتح الراء - : المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على

شيء ، ومنار الدين : دلائله .

(٧) الجواد جمع جادة : الطريق الواضح .

كَرِيمُ الْمَضْمَارِ ١ ، رَفِيعُ الْغَايَةِ ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ ٢ ،
مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ ٣ شَرِيفُ الْفُرْسَانِ . التَّصَدِيقُ مِنْهَاجُهُ ،
وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ ٤ . وَالْدُّنْيَا
مِضْمَارُهُ ٥ ، وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ ٦ .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .

حَتَّى أَوْرَى قَبْسًا لِقَابِسٍ ٧ ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ ٨ ،

(١) المضمار : موضع تضيير الخيل ، أو زمان تضييرها والتضيير
عملية خاصة في علف الفرس لامدادها للسباق . وكريم المضمار اذا سبق
سبق .

(٢) الغاية : قصبة تنصب في آخر المدي الذي تنتهي اليه المسابقة .
والحلبة — بفتح الحاء وتسكين اللام — خيل تجمع من كل ناحية للمسابقة .

(٣) السبقة — بالضم — جزاء السابقين .

(٤) يحتمل ان يريد بالموت موت الشهوات ويحتمل انه أراد الموت
المعروف وهو الغاية التي هي باب الوصول الى الله تعالى فهو الغاية التي
يريد المسلم الحق ان يصل اليها سابقا رابحا .

(٥) انما جعلها مضمار الاسلام لانها مزرعة الآخرة .

(٦) اي الجنة جزاء السابقين بالا سلام .

(٧) يقال : وري الزنديري — بالكسر — اذا خرجت ناره واوراه
غيره ، والقابس : أخذ القبس — بالتحريك — أي الشعلة التي تقبس من
النار .

(٨) الحابس الذي يحبس ناقته ويتوقف عن السير عند الحيرة
والضلال .

فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ
 نِعْمَةً ١ ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً ، اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَهُ
 مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ ٢ ، وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
 فَضْلِكَ ، اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمِ
 لَدَيْكَ نُزُلَهُ ٣ ، وَشَرِّفْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ . وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ
 وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ ٤ ، وَأَحْشُرْنَا فِي زَمَرَتِهِ غَيْرَ
 خَزَايَا ٥ وَلَا نَادِمِينَ وَلَا نَاكِبِينَ ٦ ، وَلَا نَاكِثِينَ ،
 وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ .

قَالَ الرضوي رحمه الله تعالى : « وقد مضى هذا الكلام

(١) البعيث : المبعوث .

(٢) النزول : ما يهوى للضيف من طعام وغيره

(٣) المقسم — بفتح الميم وكسرهما — النصيب .

(٤) الوسيلة : ما يتوسل به أو درجة في الجنة ، والسناء : الرفعة

(٥) الزمرة : الجماعة ، وخزايا جمع خزيان وهو من اشتهر بقبيحة

فخجل منها .

(٦) ناكبين : عادلين عن طريق الحق ، وناكثين : ناقضين للعهد ،

والفتنة تطلق على عدة معاني منها الكفر ، والارتداد ، والشر ، والعذاب

ولا بد أنه عليه السلام قصد واحدا من هذه المعاني أو أراد جميعها .

فِيمَا تَقْدِمُ إِلَّا أَنَّا كَرَرْنَاهُ هَهُنَا لَمَّا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ
الْاِخْتِلَافِ ١ .

(مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ) :

وَقَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنَزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا
إِمَاؤُكُمْ ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ٢ ، وَيُعْظَمُكُمْ مِنْ لَا
فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ٣ وَيَهَابُكُمْ مِنْ لَا
يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ ٤ . وَقَدْ تَرَوْنَ
عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّهِ
آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ . وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ

(١) يريد ما مرّ في الخطبة المرقمة (٧٠) والتي علّم فيها الناس
الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ولعل هذه الفصول التي نقلها الشريف
رحمه الله في هذا الموضع وتلك من خطبة واحدة .

(٢) أي بلغتم من كرامة الله لكم بالاسلام ان تكرم اماؤكم من اجلكم
مع انها موضع المدلة والامتهان بحسب عرف الناس يومئذ ، كما وصل
بهذه الكرامة جيرانكم أي من التجأ اليكم من معاهد أو ذمي .

(٣) اليد : النعمة أي صار يعظمكم بفضل الاسلام من لم يسبق منكم
فضل عليه ، ولا نعمة لكم عنده . يريد بذلك الروم والحبشة وغيرهم فانهم
عظموا العرب لالتزامهم بالاسلام وتطبيقهم لاحكامه .

(٤) يريد بذلك ملوك الهند والصين فانهم هابوا دولة الاسلام وفرقوا
منها .

تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ. فَمَكَنتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ،
وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ .
يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ . وَإِنَّمَا
اللَّهُ لَوْ فَرَّقُواكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ
يَوْمٍ لَهُمْ ۝ ۱ .

سيأتي الكلام على مصادر هذه الخطبة - بحول الله وقوته - في
الحكمة المرقمة (٢٦٦) وستعرف هناك أن هذه الخطبة والكلمات القصار
(٣٠ و ٣١ و ٢٢٦ و ٢٦٨) من خطبة واحدة في مقام واحد .

ولابن أبي الحديد تعليلات جميلة على هذه الخطبة نقتطف منها ما يلي :
قال معلقاً على الفصل الأول : « هذا باب من الخطاب شريف ، وذلك لأنه
ناط بكل واحدة من اللفظات لفظة تناسبها وتلائمها لو نيّطت بغيرها لما
انطبقت عليها ، ولا استقرت في قرارها ، ألا تراه قال : « أماناً لمن علقه » .
فالأمن مرتب على الاعتلاق ؟ وكذلك في سائر الفقر كالسلم المرتب على الدخول
والبرهان المرتب على الكلام ، والشاهد المرتب على الخصام ، والنور المرتب
على الاستضاء ، إلى آخرها ، ألا ترى أنه لو قال : وبرهاناً لمن دخله ،
ونوراً لمن خاصم عنه ، وشاهداً لمن استضاء به لكان قد قرن باللفظة ما لا
يناسبها فكان قد خرج إلى الخطابة ، ودخل في عيب ظاهر ؟ » (٢) .

وقال عند شرحه للفصل الذي هو في ذكر النبي ﷺ :

« سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله (٣) وكان منصفاً بعيداً عن الهوى

(١) أي أنهم لو فرقوكم في شتى البلاد لا بد أن يجمعكم الله لقهرهم .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ٢ ص ٢١٩

(٣) هو يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري من أساتذة ابن أبي

الحديد توفي سنة ٦١٣ و سيأتي ذكره في باب الكتب عند الكلام على مصادر
الكتاب (٢٨) والله الموفق .

والعصبية عن هذا الموضع فقلت له : قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أرَ فيهم من يعظم رسول الله ﷺ تعظيم هذا الرجل ، ولا يدعو كدعائه ، فانا قد وقفنا من « نهج البلاغة » ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل تدل على إجلال عظيم ، وتبجيل شديد لرسول الله ﷺ ، فقال : ومن أين لغيره من الصحابة كلام مدون^(١) يتعلم منه كيفية ذكركم للنبي ﷺ ؟ وهل وجد لهم إلا كلمات مبتدرة لا طائل تحتها ، ثم قال : إن علياً عليه السلام كان قوي الإيمان برسول الله ﷺ والتصديق له ، ثابت اليقين ، قاطعاً بالامر ، متحققاً له ، وكان مع ذلك يحب رسول الله ﷺ لنسبته منه ، وتربيته له ، واختصاصه به من دون أصحابه . وبعد ، فشرفه له لأنها نفس واحدة في جسمين ، الأب واحد ، والدار واحدة ، والأخلاق متناسبة ، فإذا عظمه فقد عظم نفسه ، وإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه ، ولقد كان يودّ أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها ، لأن جمال ذلك لاحق به ، وعائد عليه ، فكيف لا يعظمه ، ويبجله ، ويجتهد في اعلاء كلمته ؟ فقلت له : قد كنت اليوم أنا وجعفر بن مكي الشاعر نتجاذب هذا الحديث فقال جعفر : لم ينصر رسول الله ﷺ أحد نصرة أبي طالب وبنيه له ، أما أبو طالب فكفله ورباه ، ثم حماه من قريش عند إظهار الدعوة بعد إصفاقهم وإطباقهم على قتله ، وأما ابنه جعفر فهاجر بجماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة فنشر دعوته بها . وأما علي فإنه أقام عماد الملة بالمدينة ، ثم لم يُمنَ من القتل والهوان والتشريد بما مُني به بنو أبي طالب ، أما جعفر فقتل يوم مؤتة^(٢) وأما

(١) لاحظ أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام كان مدونا دون كلام غيره من الصحابة .

(٢) مؤتة : بضم الميم وسكون الهمزة بعدها تاء فوقانية قرية في أرض البلقاء بها كانت الواقعة المشهورة التي قتل بها جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثه ، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم وهي اليوم تابعة للكرنك من بلاد الأردن ، تبعد عن الطريق العام بحوالي ٤ كيلومترا ، وقد مررت بها هذا العام (١٣٩٤) وأنا في طريقي الى الحج وزرت مرقد

علي فقتل بالكوفة أن شرب نقيع الخنضل ، وتمنى الموت ، ولو تأخر قتل ابن ملجم له لمات أسفاً وكمداً ، ثم قتل ابنه بالسّم والسيف ، وقتل بنوه الباقر مع أخيهما بالطف^(١) ، وحملت نساءهم على الأقتاب سبايا إلى الشام ، ولقيت ذريتهم وأخلافهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد في البلاد ، والهوان والحبس والضرب ما لا يحيط الوصف بكنهه ، فأبي خير أصاب البيت من نصرته بتعظيمه بالقول والفعل ؟ فقال رحمه الله وأصاب فيها : هلا قلت (يئنون عليك أن أسلموا قل لا تئنثوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)^(٢) ؟ وهلا قلت له : فقد نصرته الأنصار ، وبذلت مهجها دونه ، وقتلت بين يديه في مواطن كثيرة وخصوصاً يوم احد ثم اهتضموا بعده ، واستؤثر عليهم ، ولقوا من المشاق والشدائد ما يطول شرحه ، ولو لم يكن إلا يوم الحرة فإنه اليوم الذي لم يكن في العرب مثله ، ولا أصيب قوم قط بمثل ما أصيب به الأنصار ذلك اليوم ؟ ثم قال : ان الله تعالى زوى الدنيا عن صالحى عباده ، وأهل الاخلاص له لأنه لم يرها ثمناً لعبادتهم ، ولا كفوّاً لإخلاصهم ، وأرجأ جزائهم إلى دار أخرى غير هذه الدار وفي مثلها فليتنافس المتنافسون^(٣) .

→
جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وهو في مسجد جميل قد فرش بالسجاد الفاخر ، وقريبا منه قبر زيد بن حارثة (رض) وعليه قبة صغيرة جميلة وقريب منها قبة صغيرة أيضا تحتها قبر عبدالله بن رواحه (رض) وقبل زيارتي لمراقدهم دلت على مسجد فخم مفروش بالسجاد الفاخر قد شيد على الارض التي وقعت عليها المعركة .

(١) الطف : ساحل البحر ، وجانب البر وسمي الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام بذلك لانه طرف البر .

(٢) الحجرات : ١٧

(٣) شرح النهج : م ٢ ص ٢٢٠

١٠٥ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بعض أيام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَأَنْحِيَا زَكُم عَنْ صُفُوفِكُمْ ١ ،
تَحُوزُكُمْ الْجُفَاءُ الطَّغَامُ ٢ ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ،
وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ ، وَيَأْفِيخُ الشَّرَفِ ٣ وَالْأَنْفِ
الْمُقَدَّمِ ، وَالسَّامُ الْأَعْظَمُ . وَلَقَدْ شَفِي وَحَاوَحَ صَدْرِي
أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ ٤ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَاوَزُكُمْ ،
وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ، حَسًّا بِالنِّضَالِ ،
وَشَجْرًا بِالرَّمَا ح ٥ . تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أَخْرَاهُمْ ، كَالْإِبِلِ

(١) جولتكم وانحيازكم كناية عن الهزيمة والفرار استعملها أمير البيان ابتعاداً عن اللفظ المنفر إلى لفظ لا تنغير فيه وهذا ما يسمى في علم البيان بحسن التوصل بإيراد كلام غير مزعج عوضاً عن لفظ يتضمن تجبيها وتقريعاً.

(٢) تحوزكم : تعدل بكم عن مراكزكم ، والجفأة جمع جاف وهو الفليط ، والطغام - بفتح الطاء المهملة - أوغاد الناس .

(٣) لهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخييل ، ويأفخ جمع يافوخ وهو أعلى الرأس .

(٤) الواوح : الحرق والحزازات ، وبأخرة : أخيراً

(٥) الحس : القتل قال تعالى : (اذ تحسونهم باذنه) آل عمران : ١٥٢ (وتروى « حشاً » يريد رمياً بالحشا ، والنضال : المناضلة والمرامة وتروى بالمهملة فيكون معناها السهام ، وشجراً : طعناً .

أَلْهِيمَ ١ أَلْمَطْرُودَةَ ، تُرْمَى عَنْ حَيَاضِهَا ، وَتُدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا .

رواه الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ص ١٤ في حوادث سنة ٣٧ ، والكليني في كتاب الجهاد من فروع « الكافي » : ج ٥ ص ٤٠ ، ونصر بن مزاحم في « صفين » ص ٢٥٦ ، وعنه ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » وفسر غريبه ابن الأثير في « النهاية » .

١٠٦ - فَمِنْ خُطْبَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من خطب الملاحم

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ أَلْمُتَجَلَّى لِحَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ٢ . وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ ٣ . خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ٤ ، إِذْ كَانَتْ الرُّوِيَّاتُ لَا تَلْدِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ . خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّرَاتِ ٥ ، وَأَحَاطَ

(١) الهيم : الإبل العطاش ، وتداد : تطرد .

(٢) أي أنه سبحانه ظهر لخلقهم ودلهم على وجوده بإيجاده لهم .

(٣) أي الواضح وجوده لقلوبهم بقيام وهي أحكام الصنع واتقانه ،

ولم يقل لعبونهم لأنه سبحانه غير مرئي .

(٤) الروية : أعمال الفكر في الخواطر ليعمل بأحدها وذلك منفي عنه

تعالى وإنما يكون ذلك للدوي الضمائر والقلوب أولى النوازع المختلفة والبواعث المتضادة .

(٥) سترات جمع سترة وهو كل ما يستتر به .

بُغْمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَشْكَاةِ الضِّيَاءِ ١ ، وَذَوْدِ ابَةِ
الْعُلْيَاءِ ، وَسِرَّةِ الْبَطْحَاءِ ٢ . وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ
الْحِكْمَةِ .

(مِنْهَا) طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ ٣ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ،
وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ ٤ . يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ
قُلُوبٍ عُمِيٍّ ، وَأَذَانٍ صُمٍّ ، وَالسِّنَةِ بِكُمْ . مُتَّبِعٌ
بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْخَيْرَةِ . لَمْ يَسْتَضِيضُوا

(١) شجرة الانبياء اولاد ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبياء منهم ،
والمشكاة : كوة عليها زجاجة يجعل فيها المصباح

(٢) الدَّوَابَّةُ : الشعر النابت في الناصية والبطحاء ما بين اخشبي
مكة ، وسرة البطحاء : وسطها : وهي منزل بني كعب بن لؤي وكانوا
يفخرون بذلك .

(٣) لان ذوي الحكمة يدورون على مرضى القلوب فيعالجونهم : روي
ان المسيح عليه السلام رؤي خارجا من بيت مومسة فقيل : يا سيدنا امثلك
في هذا المكان ؟ فقال عليه السلام : انما يأتي الطبيب المرضى ، ولكن ما
صنعه المسيح عليه السلام لا ينبغي الا لمن لا يهتمون .

(٤) المراهم : الادوية المركبة لمعالجة الجراحات والقروح ، والمواسم
جمع ميسم : الحديدية التي يكوى بها .

بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الشَّاقِبَةِ .
 فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ .
 قَدْ أَنْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ ١ . وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ
 الْحَقِّ لِحَايِبِهَا ، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتْ
 الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا ٢ مَالِي أَرَاكُمُ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحَ ،
 وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحَ ٣ ، وَنُسَّاكًا بِلَا صَلَاحٍ ، وَتُجَّارًا
 بِلَا أَرْبَاحٍ . وَآيْقَاطًا نُومًا ، وَشُهُودًا غُيْبًا ، وَنَاطِقَةً
 عُمِيًا ، وَسَامِعَةً صُمًّا ، وَنَاطِقَةً بُكْمًا .

رَأْيَةُ ضَلَالَةٍ ٤ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا ، وَتَفَرَّقَتْ

(١) انجابت : انكشفت ، والسرائر جمع سريرة وهي السر المكتوم ،
 والمحجة : الطريق ، والخابط : السائر على غير هدى ، واسفرت : اضاءت ،
 والمتوسم : المتفرس

(٢) شبههم بالجمادات لعدم انتفاعهم بالعقول .

(٣) لان ارواحهم لم تؤثر في اشباحهم فتحركها لفعل ما يراد منهم
 فكانها خلت من الاشباح ، وقيل : وصفهم بالخفة والطيش ، والشبح
 - بفتحتين - وقد تسكن باؤه - الشخص .

(٤) تروى « رأيت ضلالة » وهذا الكلام منقطع عما قبله لان الشريف
 الرضي رحمه الله كان يلتقط الفصول التي في الطبقة العليا من الفصاحة
 من كلام امير المؤمنين عليه السلام فيذكرها ويتخطى ما قبلها وبعدها .

بِشَعْبِهَا ١ ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا ٢ .
 قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ . فَلَا يَبْقَى
 يَوْمٌ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةُ كَثْفَالَةِ الْقَدْرِ ٣ ، أَوْ نِفَاضَةُ
 كَنَفَاضَةِ الْعِمِّ ٤ . تَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الْأَدِيمِ ٥ ، وَتَدُوسُكُمْ
 دُوسَ الْحَصِيدِ ٦ ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ
 أَسْتَخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ ٧ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ .
 أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ السَّاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ ٨ ،

(١) يذكر عليه السلام في هذا الكلام مايقع آخر الزمان من الفتن ،
 والقطب : الرئيس لان عليه مدار الامور ، وشعب جمع شعبة وهي القبيلة
 العظيمة .

(٢) تكيلكم : تكيل لكم فحذف اللام كما في قوله تعالى (واذا كالوهم
 او وزنوهم : المطففين : ٣) اي تعاملكم بمثل ما تعامل به من وقع تحت سيطرتها .
 او تكيلكم تتلاعب بكم فترفعكم وتضعكم كما يعمل الكيال بما يريد كيـله
 بصاعه ، ويعضد ذلك العبارة بعدها « تخبطكم بباعها » والخبط الخلط .
 (٣) ثفالة القدر : ما استقر في قعرها من كدورة والمراد بذلك الاسافل
 من الناس .

(٤) النفاضة : ما سقط عند النفـض ، والعـمـم — بكسر العين المهملة —
 العدل .

(٥) العرك : الدلك ، والاديم الجلد

(٦) الحصيد : المحصود .

(٧) البطينة : السمينة .

(٨) الغياهب : الظلمات واحدها غيب .

وَتَخَذُكُمْ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ؟ وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ؟^١
 فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ
 رَبَّانِيكُمْ^٢ ، وَأَجْزِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَأَسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ
 بِكُمْ ، وَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ^٣ ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلُهُ وَلْيُخْضِرْ
 ذَهْنَهُ . فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزَةَ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ
 الصَّمْغَةِ^٤ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ
 الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ^٥ .
 وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ . وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ

(١) تؤفكون : تصرفون

(٢) الرباني : الكامل في العلم والعمل ، ويعنى بالرباني نفسه عليه
 السلام

(٣) الرائد : من يتقدم القوم ليعرف لهم مواضع الكلا .

(٤) اي اوضح لكم الامر كما يتضح باطن الخرزة بشقها ، والصمغة
 واحدة صمغ الاشجار . قال الطريحي في « مجمع البحرين » مادة (صمغ) :
 في حديث علي عليه السلام « وقرفه قرف الصمغة » يقال : تركه على مثل
 مقرف الصمغة اذا لم يترك له شيئا لان الصمغة تقطع من شجرتها حتى لا
 يبقى لها علة . ا هـ .

(٥) عظمت الطاغية اي الفتنة التي تجاوزت في كبرها الحد والمقدار ،
 والداعية : أي الفرقة الداعية الى الله ، وتروى « الراعية » اي رعاة الحق
 واهله الذين يحمون حوزته .

بَعْدَ كُظُومٍ ١ . وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ . وَتَهَاجَرُوا
عَلَى الدِّينِ . وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ . وَتَبَاغَضُوا عَلَى
الصَّدْقِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غِيظًا ، وَالْمَطَرُ
قَيْظًا ، وَتَفِيضُ اللَّثَامِ فَيْضًا ، وَتَغِيضُ الْكَرَامِ غَيْضًا ٢ .
وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا ، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا ،
وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا ٣ . وَغَارَ الصَّدْقُ ،
وَفَاضَ الْكَذِبُ ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ . وَتَشَاجَرَ
النَّاسُ بِالْقُلُوبِ ٤ . وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا ، وَالْعَفَافُ
عَجَبًا ٥ . وَلَبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفُرِّ مَقْلُوبًا ٦ .

(١) الفتيق : الفحل من الابل ، والكظوم : الامساك والسكون

(٢) اي يفيض والده بالعقوق ، ويكون المطر قيظا لعدم فائدته ، وفيض
اللثام ، كثرتهم ، وغيض الكرام ندورتهم ، من فاض اذا كثر ، وغاض اذا قل
(٣) آكالا بحد الهمزة جمع اكل - بسكون الكاف - وهو ما اكل ،
والمعنى يصير اواسط الناس طعمة للولاة ، وكون الفقراء ، امواتا لانقطاع
المادة عنهم .

(٤) تشاجر القلوب كناية عن اختلافها .

(٥) استعار لفظ النسب للفسوق لكونه يومئذ سبب التواصل كما
يكون ، ويكون العفاف عجا لقلته .

(٦) كناية عن انعكاس احكامه

من قوله ﷺ : « طيب دوار بطبه » إلى « موطن الحيرة » رواه الأزمدي في « الفرر » : ص ٢٠٩ ، فيما ورد من كلامه ﷺ في حرف الراء باللفظ المطلق ، وفيه « مياسمه » بدل « مواسمه » والمعنى واحد ، وقال : إنه في ذكر رسول الله ﷺ .

ومن قوله ﷺ « تكيلكم بصاعها » إلى قوله صلوات الله عليه : « بين هزيل الحب » رواه الزغشري في الجزء الاول من « ربيع الأبرار » باب تبديل الأحوال .

وفي « الفرر » : ص ٨٥ في حرف الألف هذه الجملة « أين تذهب بكم المذاهب ؟ أين تليه بكم الغياهب ، وتخدعكم الكواذب ؟ أين تتهون ، ومن أين تؤتون وأنسى تؤفكون وعلام تعمون ؟ وفيكم أهل بيت نبيكم ، وهم أئمة الصدق ، وأئمة الحق » .

وهذه الزيادة والتفاوت تشهد بأنها لم تنقل عن « النهج » .

١٠٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ ، لَمْ تَرَكَ أَلْعْيُونَ فَتُخْبِرَ عَنْكَ ، بَلْ

(١) انتقال من الغيبة الى الخطاب .

كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ
لَوْحْشَةً ، وَلَا أَسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ
طَلَبْتَ ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ ١ . وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ
مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا
يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخَطَ قَضَاءَكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ
تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ
عِنْدَكَ شَهَادَةٌ ، أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنتَهَى
لَا مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْوَعْدُ لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا
إِلَيْكَ ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ
نَسَمَةٍ ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ
عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ
مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ،
وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ
الْآخِرَةِ .

(٢) لَا يَفْلِتُكَ : لَا يَنْفِلُكَ .

(مِنْهَا) مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ
أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ،
وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضْمِنُوا
الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلُقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ١ ، وَلَمْ يَشْعِبْهُمْ
رَيْبُ الْمُنُونِ ٢ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ
عِنْدَكَ ، وَاسْتَجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ
لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ
عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ٣ ،
وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ
حَقَّ طَاعَتِكَ ، سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بِلَاتِكَ
عِنْدَ خَلْقِكَ ٤ ، خَلَقْتَ دَارًا وَجَعَلْتَ فِيهَا مَادَّةً ٥ :

(١) مهين : حقير وهو النطفة .

(٢) تشعبهم : تفرقهم ، وريب المنون : حوادث الدهر . أو يريد لا
تتطرق اليهم الاوجاع والاسقام

(٣) زرى على نفسه : عابها .

(٤) الباء بحسن بلائك للتعليل بمعنى اللام كقوله تعالى : (ذلك بأنهم
كانت تأتيتهم رسالهم) أي لانهم متعلقة بما في سبحانك من معنى الفعل أي
اسبحك لحسن بلائك والبلاء يأتي على ثلاثة أوجه : اختبار ، ونعمة ،
ونقمة ، والمراد هنا حسن نعمائك .

(٥) المادبة - بفتح الدال وضمها - الطعام يدعى الانسان اليه .

مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا ، وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا ، وَقُصُورًا وَأَنْهَارًا ،
 وَزُرُوعًا وَثِمَارًا ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا
 الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيهَا رَغَبْتَ رَغْبُوا ، وَلَا إِلَى مَا
 شَوَّقَتْ إِلَيْهِ أَشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَى جَيْفَةِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ،
 وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعَشَى بِصَرَّةٍ ،
 وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بَعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ
 بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتْ
 الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلَّيَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ،
 وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، حَيْثُمَا زَالَتْ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا
 أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا ، وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَعَظُّ
 بِوَاعِظٍ وَهُوَ يَرَى المَاخُوذِينَ عَلَى الْغُرَّةِ ٢- حَيْثُ
 لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ،
 وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنْ
 الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ

- (١) المراد بالجيفة الدنيا والعشى هنا : العمى ، او عدم الابصار
 ليلا ، فكانهم عشووا بما هم فيه من ظلمات الدنيا .
 (٢) على الغرة بالكسر : أي بفتة وعلى حين غفلة .

بِهِمْ ، أَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ، وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ ،
 فَفَتَّرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ أَزْدَادَ
 الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجًا ١ ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ،
 وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، عَلَى صِحَّةٍ
 مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرِهِ ،
 وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرِهِ ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي
 مَطَالِبِهَا ٢ ، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَمُشْتَبَهَاتِهَا ، قَدْ
 لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا ٣ ، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا ، تَبْقَى
 لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ
 لَغَيْرِهِ ٤ ، وَالْعَبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ ٥ ، وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ
 رَهُونَهُ بِهَا ٦ ، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ

(١) ولوجا : دخولا

- (٢) اغمض لم يفرق بين حلال وحرام ، كأنه اغمض عينيه فلا يميز .
 أو اغمض أي طلبها من أدق الوجوه واخفاها فضلا عن اظهارها واجلاها .
 (٣) تبعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها ، وما
 يحاسبه به الله من منع حقه منها .

(٤) المهنا ما أتاك من خير بلا مشقة .

(٥) العبأ : الثقل .

(٦) غلق الرهن ؛ تعذر خلاصه

عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ١ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ
 أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا ،
 وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا ، قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ
 يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ ٢ . فَصَارَ بَيْنَ
 أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ ، يُرَدِّدُ طَرَفَهُ
 بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ
 رَجْعَ كَلَامِهِمْ ، ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ أَلْتِيَاطًا بِهِ ٣ ، فَقَبِضَ
 بَصْرَهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعَهُ ، وَخَرَجَتِ أَلْرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ،
 فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا
 مِنْ قُرْبِهِ ، لَا يُسْعِدُ بَاكِيًا ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا ، ثُمَّ
 حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ،
 وَأَنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ ٤ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ،

(١) اصحر ، برز

(٢) أي شارك اللسان السمع بالعجز عن أداء وظيفته .

(٣) التياطا : أي التصاقا .

(٤) المخط : الأرض التي تخط في الأرض ويجعل عليها علامة ، والزور :
 الزائر ويسمى به الواحد والجمع . وعن زورته : أي زيارته .

وَالْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ ، وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ السَّمَاءِ
 وَفَطَرَهَا ، وَأَرْجَ الْأَرْضِ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا
 وَنَسَفَهَا ، وَدَكَ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ
 سَطَوَاتِهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا ، فَجَدَدَهُمْ بَعْدَ أَخْلَاقِهِمْ ١
 وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسَائِلَتِهِمْ
 عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ :
 أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ ، وَأَنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ
 فَأَنَابَهُمْ بِجَوَارِهِ ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ
 النُّزَالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ ٢ ،
 وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا
 تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ ٣ . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنزَلَهُمْ شَرَّ
 دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ -

(١) يقال : ثوب أخلاق - بالفتح - أي خلق جذا

(٢) الافزاع جمع فزع وهو الخوف ، وتنوبهم : تصيبهم .

(٣) اشخصه : أزعجه باخراجه من وطنه .

بِالْأَقْدَامِ ، وَالْبَسَهُمُ سَرَابِيلَ الْقَطْرَانِ ، وَمُقَطَّعَاتِ
النِّيرَانِ ١ . فِي عَذَابٍ قَدْ أَشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ
عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ،
وَقَصِيفٌ هَائِلٌ ٢ ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا
وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا . لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنِي ، وَلَا أَجَلَ
لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ
أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا ٣ ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَارًا ،
فَاعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ

(١) السربال : القميص ، والقطران : بفتح القاف وكسر الطاء - دواء
محرق يتخذ من شجر العرعر ، تطلّى به الابل الجرباء ، والمقطعات كل ثوب
يقطع كالجبة والقميص دون ما لا يقطع كالازار والسر في كونها مقطعات
لاشتمالها على البدن فيكون العذاب اشد .

(٢) عبر بالكلب مهيجا لنيرانها ، وباللجب عن صوتها العالي ،
والقصيف : اشد الصوت

(٣) الكبول جمع كبل - بفتح فسكون - القيد ، وتفصم : تنقطع .
زواها : نحاهها .

أَنْ تَغِيبَ زَيْنَتَهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّحِدَ مِنْهَا رِيَاشًا ،
أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا . بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا ٢ ، وَنَصَحَ
لَأُمَّتِهِ مُنْذِرًا ، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا .

نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ
الْمَلَائِكَةِ ٣ ، وَمَعَادُنُ الْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ ،
نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ، وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ
الْأَسْطُورَةَ .

اختار الرضي رحمه الله ما أورده هنا من خطبته عليه السلام المعروفة
بـ (الزهراء) وقد روى هذه الخطبة ابن عبد ربه المالكي في باب الخطب من
« العقد الفريد » ج ٤ ص ٧٦ بتفاوت بين الروايتين . كما روى الزنجشيري في باب
الملائكة من (ربيع الأبرار) صفة الملائكة كما هنا ، وروى الآمدي في صفة
النبي ﷺ هذه الجملة : (وبسطها لغيره احتقاراً) هكذا (وبسطها لغيره
اختباراً) كما روى قوله عليه السلام (نحن شجرة النبوة ... الخ) بتقديم
وتأخير ولكن بعين ألفاظ (نهج البلاغة) .

(١) الرياش : اللباس الفاخر .

(٢) معذرا : مبينا لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم أن خالفوا أمره

(٣) مختلف الملائكة : تعاقبهم في الورد فيكون الثاني كأنه خلف

للاول وهكذا .

هذا ولابن أبي الحديد تعليق لطيف على هذه الخطبة قال : هذا موضع المثل : (لكل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار)^(١) الخطب الوعظية الحسان كثيرة ولكن هذا حديث يأكل الأحاديث :

محاسن أصناف المغنين جمة وما قصبات السبق إلا لمبعد

من أراد أن يتعلم البلاغة والفصاحة ، ويعرف فضل الكلام بعرضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة فان نسبتها الى كل فصيح عدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب الفلكية المنيرة الى الحجارة المظلمة الأرضية ، ثم لينظر الناظر الى ما عليها من البهاء والجلالة ، والرواء والديباجة ، وما يحدثه من الروعة والهيبة ، والخافة والخشية حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على نفي البعث والنشور لهدت قواه ، وأرعبت قلبه ، وأضعفت نفسه ، وزلزلت اعتقاده ، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى ولياً من أوليائه ، فما أبلغ نصرته له تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه ، وتارة بقلبه وفكره إن قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين ، وإن قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين ، وإن قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين ، وإن قيل عدل وتوحيد ، فهو امام أهل العدل والموحدين و :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد^(٢)

(١) العفار كسحاب ، والمرخ - بتسكين الراء بعدها خاء معجمة - : شجرتان من شجر النار ، يضرب بهما المثل في سرعة الوري ، حتى قيل : ان المرخ ربما كان مجتمعاً فتهب الريح فيحرك بعضه بعضاً فأورى فأحرق الوادي ، وقيل : ان العفار هو الزند وهو الاعلى ، والمرخ : الزندة وهو الاسفل ، واستمجد : استفضل ومعناه حاز الافضلية على جميع شجر النار ، وكذلك حازت مواظ امير المؤمنين عليه السلام الافضلية على جميع المواظ .

(٢) الشرح : ٢ ص ٢٣٠

١٠٨ - فَتَنَ خُطْبَةُ لُبِّ عَلِيِّ بْنِ الْإِسْلَامِ

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ
الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ
الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ ، وَإِقَامُ
الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا أَلَمْلَةٌ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ،
وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ ١ ، وَحُجُّ
الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحِضَانِ الذَّنْبَ ٢
وَصَلَاةُ الرَّحِمِ ، فَإِنَّهَا مَشْرَآةٌ فِي الْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي
الْأَجْلِ ٣ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ ، وَصَدَقَةُ
الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ
فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ ، وَارْغَبُوا

(١) جنة : وقاية .

(٢) يرحضان الذنب : يفسلانه يقال : رحضت الثوب اذا غسلته ،
وثوب رحيض اي مفسول .

(٣) اي تشري المال وتكثره ، وتنسى الاجل : تؤخره .

فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ ، وَاقْتَدُوا
بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ ، وَاسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا
أَهْدَى السُّنَنِ ، وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ،
وَتَفَقَّهُوا فِيهِ ، فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ
فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ
الْقَصَصِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ يَغْيِرُ عِلْمَهُ كَالْجَاهِلِ
الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيْقُ مِنْ جَهْلِهِ ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ
أَعْظَمُ ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْيَوْمَ ١ .

أول هذه الخطبة : « الحمد لله فاطر الخلق ، وخالق الأشباح » وهي خطبة مشهورة بين أهل العلم قبل الرضي وبعده وتعرف عندهم بـ (الديباج) ، فمن رواها :

- ١ - ابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٠٤ ، رسالة .
- ٢ - الصدوق في (الفقيه) ج ١ ص ١٣١ . مسندة مع زيادة لم يذكرها الشريف كما رواها في (علل الشرائع) في باب (علل الشرائع) ، واصل الإسلام (مسندة أيضاً .
- ٣ - البرقي في كتاب محاسن الظلم من (المحاسن) ص ٢٣٣ .
- ٤ - الطوسي في (الأمالي) ج ١ ص ٢٢٠ . روى طرفاً منها .

(١) اليوم : الحق باللوم .

١٠٩ - وَمِنْ حِطْبَةِ لُبِّ عَلَيْهِ السَّلَامِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُودٌ خَصِرَةٌ
 حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ،
 وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا ،
 وَلَا تُؤَمِّنُ فَجَعَتُهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ،
 نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ ٢ ، لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ
 إِلَى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرَّضَاءِ بِهَا ٣ - أَنْ تَكُونَ كَمَا
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ
 بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ) وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ مِنْهَا فِي
 حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ ٥ - ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا

(١) الحبرة : السرور .

(٢) حائلة : متغيرة ، ونافذة : فانية ، وبائدة : منقضية ، واكالة :
 قتالة ، وغوالة : مهلكة ، يقال : غاله الغول : أي هلك .

(٣) لا تعدو : لا تتجاوز .

(٤) الهشيم : ما تحطم وتهشم ، وتذروه : تطيره ، والآية الكريمة في
 سورة الكهف برقم : ٤٨ .

(٥) العبرة - بالفتح - الدفعة قبل ان تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر

بَطْنًا ، إِلَّا مَنَحْتَهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ١ ، وَلَمْ تَطْلُهُ
فِيهَا دَيْسَةً رَخَاءً ، إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُزْنَةً بَلَاءً ٢ ، وَحَرِيٌّ
إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ ٣ ،
وَلِنْ جَانِبٍ مِنْهَا أَعْدُوذِبَ وَأَحْلُولِي أَمْرٍ مِنْهَا جَانِبٌ
فَأَوْبِي ٤ ، لَا يَنَالُ أَمْرُؤُ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا ، إِلَّا أَرَهَقَتْهُ
مِنْ نَوَائِبِهَا تَعْبَاهُ ، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا
أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ ٥ . غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ
فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا . لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى .
مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ . وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا
اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ ٧ ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ . كَمْ مِنْ
وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ . وَذِي

(١) البطن والظهر كناية عن الاقبال والادبار .

(٢) تطله : تمطره ، والطل : المطر : او المطر القليل ، والديمة ، المطر
يسكون لا رعد فيه ولا برق والتهتان : المطر المطبق ، والمزية ، المطرة .

(٣) حري اي جدير وخليق

(٤) اعدوذب صار عدبا ، واحلولى : صار حلوا ، واوبى صار ذا وباء

(٥) الغضارة : النعمة والسعة ، وارهقته : حملته .

(٦) القوادم : جمع قادمة الواحدة من عدة ريشات في مقدم الجناح .

(٧) يوبقه : يهلكه .

أُبْهَةٌ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا ١ .
 سُلْطَانُهَا دَوْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ وَحُلُوهَا
 صَبِيرٌ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ ٢ . حَيْثُهَا بَعْضُ
 مَوْتٍ ، وَصَحِيحُهَا بَعْضُ سُقْمٍ . مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ،
 وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ ٣ .
 أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا ، وَأَبْقَى
 آثَارًا وَأَبْعَدَ آمَالًا ، وَأَعَدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا .
 تَعَبَدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبَدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ . ثُمَّ ظَنُّوا
 عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ ٤ ؛ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ
 الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ ٥ ، أَوْ أَغَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ
 أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً . بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ ،

-
- (١) الإبهة : العظمة والكبر ، والنخوة - بالفتح - الافتخار
 (٢) دول : متداول مرة لهذا ومرة لهذا ، ورَنْق كدر ، واجاج : مالح،
 والصبر - بكسر الباء - شجر معروف ، ثم سمي كل من صبرا ، وسمام
 جمع سم - وتثلث السين - واسبابها : حبالها ، رمام بالية .
 (٣) يقال : صار فلان عرضة لكذا - بضم فسكون - أي نصب
 الموفور : الوفير والكثرة ، ومحروب : مسلوب المال .
 (٤) ظهر قاطع : ما يقطع به الطريق من الدواب .
 (٥) أي بدلت لهم ، ما يفتدون به أنفسهم .

وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعَضَعْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ١
وَعَفَّرْتَهُمْ لِلْمَنَاحِرِ ، وَوَطَّئْتَهُمْ بِالْمَنَاسِمِ ٢ ، وَأَعَانَتْ
عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْأَمْنُونِ . فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكَّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ،
وَأَثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا ، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ٣ .
وَهَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ ، أَوْ أَحَلَّيْتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ٤ ،
أَوْ نَوَّرْتَ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعَقَبْتَهُمْ إِلَّا الدَّامَةَ
أَفْهَذَهُ تُوْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْسِنُونَ ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟
فَبِئْسَتْ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا
فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ
عَنْهَا . وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » .
حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا

(١) ارهقتهم : اثقلتهم ، والقوادح : آفة تكون في الشجر والاسنان ،
وتروى « القوادح » من فدحه الامر اذا انقله ، والقوارع جمع قارعة وهي
الحنة والداهية ، وضعتهم : ذلتهم ، والنواب : المصائب .

(٢) وعفرتهم : الصقت انوفهم بالعفر وهو التراب ، والمناسم جمع
منسم - بكسر السين المهملة - وهو خف البعير .

(٣) دان : خضع ، واخلد : مال

(٤) السغب : الجوع ، والضنك - بسكون النون - الضيق .

الْأَجْدَاثَ ١ . فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ
الْصَّفِيحِ أَجْنَانٌ ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْنَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ
جِيرَانٌ ٢ ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ
ضَيْمًا ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً ٣ . إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا ،
وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنُطُوا ٤ . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ
وَهُمْ أَبْعَادٌ . مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَقَرِيبُونَ لَا
يَتَقَارِبُونَ . حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ
مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى
دَفْعُهُمْ ٥ ، أَسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ
ضَيْقًا . وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاءُوهَا كَمَا
فَارَقُوهَا ، حُفَاةَ عُرَاةٍ . قَدْ طَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى
الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَالْدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ
« كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »

- (١) الاجداث جمع جدث وهو القبر .
(٢) الصفيح : الحجارة ، الاكنان جمع كن وهو السترة ، والاجنان
جمع جنن وهو القبر . والرفات : العظام البالية .
(٣) المندبة : الندب على الميت .
(٤) جيدوا : مطروا ، وقحطوا : انقطع عنهم المطر .
(٥) اي لا يخشون ان يفجعوا بضر ، ولا يرجون لدفعه

رواها لأُمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ جماعة من العلماء قبل الرضي وبعده، نذكر منهم:

- ١ - محمد بن عمران المرزباني في (المونق) . (١)
- ٢ - ابن شعبة الحرّاني في (التعف) ، ص ١٢٧ .
- ٣ - القاضي القضاعي في (الدستور) ص ٥١ .
- ٤ - ابن طلحة الشافعي في (المطالب) ص ١٤٤ .
- ٥ - ابن الأثير في (النهاية) فسر غريبها في المواد التالية : (أبد)
ج ١ ص ١٨ ، و (أجب) ج ١ ص ٢٥ و (جنن) ج ١ ص ٣٠٨ ... الخ وفي
أكثر روايته ما يختلف في مبنى بعض الكلمات مع رواية الرضي .

١١٠ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذكر فيها ملك الموت وتوفيته الانفس

هَلْ تُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا ؟ ، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا
تَوَفَّى أَحَدًا ؟ ، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؟
أَيَلْجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ؟ ، أَمْ أَلُّوْهُ أَجَابَتُهُ
بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ . كَيْفَ
يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ .

روى هذا الكلام علي بن محمد بن شاكر الليثي الواسطي في كتاب «عيون
الحكم والمواعظ» هكذا: «هل يحس به أحد إذا دخل منزلاً؟ أم هل يراه
إذا دخل منزلاً... الخ» وليس في «النهج» لفظة (أحد) كما أن الفعل جاء

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد م ٢ ص ٢٤٢

في « النهج » بصيغة المخاطب ، وفي رواية ابن شاعر للغائب (١) .

وقال الشيخ ميثم البحراني عند شرحه لهذا الكلام : هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى عن إطلاع العقول البشرية على كنهه وصفه (٢) .

وفي قوله من خطبة طويلة دلالة على أنه اطلع عليها في غير « نهج البلاغة » .

١١١ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ
نُجْعَةٍ ٣ . قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارٌ
هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرُهَا
بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلُوهَا بِمُرِّهَا . لَمْ يُصَفِّهَا
اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا
زَهِيدٌ ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ . وَجَمَعَهَا يَنْفَدٌ ، وَمَلَكَهَا يُسْلَبٌ ،

(١) انظر « بحار الانوار » ج ٧٧ ص ٤٣٠

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ٢ ص ٦٠ .

(٣) قلعة - بضم القاف وسكون اللام - اي ليست بمستوطنة ، يقال هم على قلعة على رحلة ، ومال قلعة اي عارية ، والنجعة : الدار المستوطنة لكثرة ما فيها من الكلا .

(٤) لم يضمن بها : لم يمنعها ، والزهد : القليل ، والعتيد الحاضر .

وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ . فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ ،
وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ .
أَجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبِكُمْ ، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ
أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ ١ . وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ
قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ . إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي
قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ،
وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا ٢ . قَدْ
غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْأَجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ
الْآمَالِ . فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ ،
وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ ٣ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانُ
عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ ، وَسُوءُ
الضَّمَائِرِ ٤ . فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ ، وَلَا تَبَازِلُونَ

-
- (١) طلبكم : أي من مطالبكم التي تسعون إليها . وسلو الله ان يوفقكم للقيام بها .
(٢) المقت البغض مع الازدراء ، والفبطة : ان يتمنى الانسان ما يراه عند غيره من النعم .
(٣) املك بكم : أولى بكم ، واذهب بكم : ذهبت بكم واستولت عليكم .
(٤) أي ان الناس كلهم مجبولون على فطرة واحدة وهي دين الله وانما تفرقوا باعتبار امر خارجي وهو خبث السرائر وسوء الضمائر .

وَلَا تَوَادُّونَ . مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا
تُذَرُّ كُونُهُ وَلَا يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحَرِّمُونَهُ .
وَيُقْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ
فِي وُجُوهِكُمْ وَقَلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ ١ كَأَنَّهَا
دَارُ مُقَامِكُمْ . وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ . وَمَا يَمْنَعُ
أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عِيبِهِ إِلَّا مَخَافَةً
أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِجِسْمِهِ ٢ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ
وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ ٣ .
صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ .

روى الزنجشري فصلاً منها في أوائل (ربيع الأبرار) ونثرها الآمدي
في مواضعها من كتابه بتفاوت تعلم عند المقارنة بين ما رواه الآمدي وما رواه
الرضي أنه نقل ذلك من غير (النج) فمثلاً جاء في روايته « إن الدنيا دار
لمعة » : ص ٨٦ ورواية الرضي « وأحذركم الدنيا فإنها دار قلعة » وفيها « لم
صف الله الدنيا لأولياته » ص ١٨٩ وفي رواية الرضي « لم يصفها لأولياته »
فيها أيضاً « وإن اغتبطوا بما أوتوا » ص ٨٠ وفي رواية الشريف « وإن
غتبطوا بما رزقوا » ... الخ .

- (١) يقلقكم اليسير : يفوتكم . ووزي : نحي
(٢) أي ما يمنع من ملاقاته بعيبه إلا الخوف منه أن يلقاه بمثله
لمشاركته إياه .
(٣) اللعقة : ما يؤخذ باللعقة من الاناء والكلام مجاز يصفهم بقلّة
التدين وأن دينهم على السنتهم دون قلوبهم .

١١٢ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنَّعْمِ ، وَالنَّعْمُ بِالشُّكْرِ .
 نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ
 عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ ١ ، السَّرَّاعِ
 إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ ،
 وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ ٢ .
 وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانًا مِنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ ، وَوَقَفَ عَلَى
 الْمَوْعُودِ ، إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشَّرْكَ ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ .
 وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ
 مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،
 شَهِادَتَيْنِ تَضَعِدَانِ الْقَوْلَ ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ ، لَا يَخْفُ
 مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَشْقُلُ مِيزَانُ تَرْفَعَانِ عَنْهُ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ ، وَبِهَا

(١) البطاء جمع بطيئة .

(٢) أي غير مبق شيئا لا يحصيه .

الْمَعَادُ : زَادُ مَبْلَغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِسٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعَ
دَاعٍ ، وَوَعَاها خَيْرٌ وَاعٍ ١ . فَاسْمَعَ دَاعِيَهَا وَفَازَ وَاعِيَهَا .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ ،
وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ،
وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ ٢ . فَآخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ ،
وَالرَّيَّ بِالظُّلَمِ . وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ ،
وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ ٣ . ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ
فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغَيْرٍ وَغَيْرٍ فَمِنْ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ
قَوْسُهُ ، لَا تُخْطِي سِهَامَهُ ، وَلَا تُوسِي جِرَاحَهُ ٤ .
يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ ، وَالنَّاجِيَ

(١) زاد مبلغ أي يبلغ صاحبه العقد ، والمعاد : الملجأ ، ومنجس :
بصادف عنده النجاح ، وأسمع داع هو الله تبارك وتعالى ، وخير واع : من
وعاها وأجاب إليها من عباده ، واسمع داعيها عمت دعوتها ، وفاز : أفلح .

(٢) حمت : منعت ، وقوله : « أسهرت ليلاتهم .. الخ » من باب
الاتساع الذي يجرون فيه الظرف مجرى المفعول به .

(٣) النصب : التعب ، والري - بالفتح والكسر - ضد العطش ،
والمراد بالاجل في الأولى المدة ، وفي الثانية الموت .

(٤) موتر - بالتخفيف والتشديد - أي على أهبة الرمي ، ولا توسى
جراحه : لا تدأوى .

بِالْعَطَبِ : آكُلْ لَا يَشْبَعُ ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ ١ . وَمِنْ
الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ،
ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ لَا مَالًا حَمَلَ ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ . وَمِنْ
غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا
لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ ٢ ، وَبُؤْسًا نَزَلَ . وَمِنْ غَيْرِهَا
أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ . فَلَا
أَمَلٌ يُدْرِكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَغْرَّ سُرُورَهَا
وَأَظْمَأَ رِيَّهَا وَأَضْحَى فَيْثُهَا ٣ ، لَا جَاءَ يُرَدُّ ، وَلَا مَاضٍ
يَرْتَدُّ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقَةِ
بِهِ ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ .

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنْ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ

(١) العطب : الهلاك ، ولا ينقع : لا يرتوي .
(٢) الفير - بوزن العنب - الاسم من قولهم غيرت الشيء فتغير ، وهو
اسم مفرد مذكر وجمعها اغيار ، والمغبوط : ما يتمنى الفير ما هو فيه من
النعمة ، زل : ذهب .

(٣) اضحى : برز للشمس ، والفىء : الظل بعد الزوال او مطلقا .

(٤) الجائي : الاتي ، ويريد به الموت ، ويرتد : يرجع .

شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا
 سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ
 أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْإِغْيَانِ السَّمَاعُ ،
 وَمِنَ الْإِغْيَابِ الْخَبَرُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا
 وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي
 الدُّنْيَا . فَكُمُ مِنْ مَنْقُوصٍ رَاسِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ ، إِنَّ
 الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهَيْتُمْ عَنْهُ . وَمَا أُحِلَّ
 لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ،
 وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ ، قَدْ تَكْفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأَمَرْتُمْ
 بِالْعَمَلِ ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوَّلُ بِكُمْ
 مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ اعْتَرَضَ
 الشُّكُّ وَدَخَلَ الْيَقِينُ^١ ، حَتَّى كَانَا الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ
 قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَانَا الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ
 وَضَعَ عَنْكُمْ^٢ ، فَبَادِرُوا الْعَمَلَ ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ ،
 فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ

(١) دخل - كعلم - خولط .

(٢) المضمون : الرزق ، والمفروض : العمل .

الرِّزْقِ ، مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَّ غَدًا زِيَادَتُهُ ، وَمَا
فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ يُرَجَّ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ ، الرَّجَاءُ
مَعَ الْجَائِي ، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي ، فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١ .

علق عليها صاحب (الطراز) تعليقاً لطيفاً قال في آخره: « لو كان كلام من
كلام البشر معجزة لكان هذا هو الأول ، ولو أعجز شيء من الكلام بعد الله
لكان هذا هو الثاني » (٢) .

وقد روى ابن شعبة في (تحف العقول) : ص ١٥٦ قطعة كبيرة من هذه
الخطبة تبتدىء من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن الدنيا دار فناء وعناء ، وعبر وغير »
الخ ، وروى الزمخشري صدر هذه الخطبة في أوائل (ربيع الأبرار) كما روى
فصلاً منها في أوائل الجزء الثاني ابتداء من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ليس بشيء من
الشئ إلا عقابه » وكل ذلك بتفاوت يسير يدل على اختصاص الزمخشري
بصدر آخر . وروى القاضي القضاعي جزءاً من هذه الخطبة في (دستور
معالم الحكم) : ص ٣٣ يبتدىء من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « الدنيا دار فناء وعناء » وزاد
بعد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « موتر قوسه » هذه الجملة « مفوق نبله » وروى مكان « لا
تخطيء » « لا تطيش » وفي روايته أيضاً « يرمي الشباب بالهرم » والصحيح
بالسقم » الى غير ذلك من الاختلاف والزيادة التي تدل على عدم نقله من (النهج)
ونثر الأمدي أكثر هذه الخطبة في مواضعها من « غرر الحكم » ورواها
الطوسي في « الامالي » ج ٢ ص ١٠٧ مسندة .

(١) حق تقاته : حق تقيته اي خوفه .

(٢) الطراز : ج ٢ ص ٣٣٥ .

١١٣ - فَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَحَتْ جِبَالُنَا ، وَأَغْبَرَتْ أَرْضُنَا ،
وَهَامَتْ دَوَابُّنَا ، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجَّتْ
عَجِيجَ الثَّكَالِي عَلَى أَوْلَادِهَا ١ ، وَمَلَّتِ التَّرْدُّدَ فِي
مَرَاتِعِهَا ، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا ، اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنْيْنَ
الْآنَةِ ٢ ، وَحَنِينَ الْهَانَةِ ٣ ، اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي
مَذَاهِبِهَا ، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا . اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ
حِينَ اعْتَكَرْتَ عَلَيْنَا حَدَائِيرُ السَّيْنِ ، وَأَخْلَفْتَنَا
مَخَائِلُ الْجُودِ ٤ ، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَلِسِ ، وَالْبَلَغَ
لِلْمُلْتَمِسِ ٥ . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ ، وَمَنَعَ الْغَمَامُ ،

-
- (١) هامت : نادت وذهبت على وجوها من شدة المحل ، ويجوز ان
تفسر بما يأتي في كلام الرضي ، والمرابض : المراكب ، وعجت : صرخت .
(٢) الآنة والحنة : الشاة والناقة ، يقال : ما له آنة ولا حانة .
(٣) اعتكرت : ردف بعضها بعضا ، والعكرة : الكرة ، ومخائل الجود
جمع مخيلة وهي السحابة التي تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر : والجود المطر .
(٤) المبتس : البئس وهو من اشتدت حاجته ، والبلاغ الكفاية
والمتمس : الطالب .

وَهَلَكَ السَّوَامُ ١ ، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخِذْنَا
بِذُنُوبِنَا . وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ ،
وَالرَّبِّيعِ الْمُغْدِقِ ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ ، سَحًّا وَابِلًا ٢
تُخَيِّبُ بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ ، اللَّهُمَّ
سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَّةٌ مُرْوِيَّةٌ ، تَامَّةٌ عَامَّةٌ ، طَيِّبَةٌ مُبَارَكَةٌ ،
هَنِيئَةٌ مَرِيعةٌ ، زَاكِيَاءُ نَبْتُهَا ، ثَامِرَاءُ فَرْعُهَا ، نَاضِرَاءُ
وَرَقُّهَا ٣ ، تَنْعَشُ بِهَا الضَّعِيفُ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُخَيِّبُ
بِهَا أَلْمِيتَ مِنْ بِلَادِكَ . اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا
نَجَادُنَا ، وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا ،
وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَذْدِي بِهَا

(١) القنوط اليأس ، وقوله عليه السلام « منع » بنى الفعل للمفعول
الادب أنه لم يسم الفاعل .

به ، لأنه كره أن يضيف المنع لله تعالى ، وهو منبع النعم فاقتضى حسن
(٢) السوام : المال الراعي واحده سائمة ، والمؤاخذه : العقوبة ، والاخذ
الاستئصال ، والمنبعق : المنبعج ، كأنما هو حي انشقت بطنه فنزل ما فيها
والمغديق : كثير الماء ، والمونق : المعجب ، وسحا : صبا ، والوابل : المطر
الشديد .

(٣) مريعة : خصيبة ، ثامرا : مثمرا ، وناضرا : حسنا .

أَقَاصِينَا ١ ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا ٢ ، مِنْ بَرَكَاتِكَ
 الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةِ ،
 وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَةً ٣ مَدْرَاراً
 هَاطِلَةً ، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ
 مِنْهَا الْقَطْرَ غَيْرَ خُلْبٍ بَرْقُهَا ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا ،
 وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا ، وَلَا شَفَّانٍ ذَهَابُهَا ، حَتَّى يُخْصِبَ
 لِامْرَأَعِهَا الْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيِيَ بِبَرَكَاتِهَا الْمُسْتُونَ ٤ ،
 فَإِنَّكَ تَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ
 وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ .

(١) تنعش : ترفع . والنجاد : ما ارتفع من الارض ، والوهاد ما انخفض
 منها ، والجناب : الناحية ، واقاصينا ، اطراف بلادنا .

(٢) الضواحي : النواحي القريبة من المدينة الكبرى .

(٣) المرملة الفقيرة ، المهملة : التي لا راعي لها ، والمخضلة : تخضل
 النبات أي تبله .

(٤) الودق : المطر ، ويحفز : يدفع .

(٥) برق خلب : لا مطر معه ، العارض : السحاب ، وجهام : لا ماء
 فيه .

(٦) المجذبون : اهل الجذب ، والمستنون : من اصابتهم السنة وهي
 المحل ، وبقيّة التفسير تجده في المتن .

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب

قوله عليه السلام : « انصاحت جبالنا » أي تشققت من المحول ، يقال: انصاح الثوب اذا انشق . ويقال: انصاح النبات وصاح وصوَّح اذا جف ويابس . وقوله : « وهامت دوابنا » أي عطشت ، والهيام العطش . وقوله : « حدابير السنن » - جمع حدبار - وهي الناقة التي أنصاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجذب ، قال ذو الرمة :
حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا
وقوله : « ولا قزع ربابها » القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب . وقوله : « ولا شفان ذهابها » فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة ، والذهاب الامطار اللينة . فحذف ذات لعلم السامع به .

ما نقله الرضي هنا مختار خطبة طويلة رواها الصدوق في (الفقيه) ج ١ ص ٣٣٥ ، والطوسي في (مصباح المتعبد)^(١) في آداب صلاة الاستسقاء باختلاف وزيادة ونقصان يدل على أن لكل من الصدوق والرضي والطوسي مصدراً اختص به .

وروى الزمخشري في باب السحاب والمطر من (ربيع الأبرار) فصلاً من هذه الخطبة من قوله عليه « اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنن » الى قوله سلام الله عليه « ويحفز القطر » .

(١) انظر مدارك نهج البلاغة : ص ٢٥٠ .

وفي « نهاية » ابن الاثير : ج ١ ص ٣٥٠ مادة (حدبر) قال : في حديث علي رضي الله عنه في الاستسقاء « اللهم إنا خرجنا إليك وقد اعتكرت علينا حدابير السنين » الحدابير جمع حدبار ، وهي الناقة التي بدا عظم ظهرها ، ونشزت حراقيفها من الهزال ، فشبها فيها السنين التي يكثر فيها الجذب والقحط ، اهـ . فلاحظ أن رواية الرضي « حين اعتكرت » ورواية ابن الاثير « وقد اعتكرت » لتعلم من ذلك أنه لم ينقلها عن (النهج) .

وقال ابن الاثير في (النهاية) أيضاً : ج ٢ ص ١٧٣ مادة (ذهب) وفي حديث علي في الاستسقاء « لا قزع رباها ، ولا شفتان ذهباها » الذهب : الامطار اللينة واحدها ذهبة - بالكسر - وفي الكلام مضاف محذوف تقديره ولا ذات شفتان ذهباها ، وأعاد ذلك في مادة (شفن) ج ٢ ص ٤٨٨ .

١١٤ - وَمَنْ حَظَّيْتُ لِبُعَيْنِي السَّيْلَامَةَ

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقْصِرٍ ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ . إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصَرٌ مَنِ اهْتَدَى .

(مِنْهَا) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ ٢ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ،

(١) الواهن : الضعيف ، والمعذر : من لا يثبت له عذر .
(٢) الصعدات - بضمين - جمع صعيد بمعنى الطريق ، والالتدام ضرب الصدر والوجه : عند المصيبة .

وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكَتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ
لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا ، وَلَهَمَّتْ كُلُّ أُمْرٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ ١
لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ،
وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ
عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ،
وَالْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ ، قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَّامِينُ
الرَّأْيِ ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ
لِلْبَغْيِ ، مَضَمُوا قُدُمًا ٢ عَلَى الطَّرِيقَةِ
وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ ، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ،
وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ ٣ أَمَا وَاللَّهِ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ

(١) الخلف من يترك في الأهل والمال عند الخروج للسفر والحرب،
وهمت : شغلت .

(٢) ميامين جمع ميمون أي مبارك ، ومراجيح : رزاء ، والحلم : العقل
ومقاويل جمع مقوال : من يحسن القول ، ومتاريك جمع متراك المبالغ في
الترك ، القدم - بضمين - المضي إلى الإمام أي سابقين .

(٣) أوجفوا : اسرعوا ، والمحجة : الطريقة المستقيمة ، والكرامة الباردة
التي تؤخذ بدون حرب والمراد هنا : العيش الهنيء .

الذِّيَالُ الْمِيَالُ ١ ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ
إِيَّاهُ أَبَا وَذَحَّةَ .

قال الرضي رحمه الله تعالى : أقول : الودحة الخنفساء . وهذا
القول يوميء به الى الحجاج ، وله مع الودحة حديث ليس هذا موضع ذكره .

هذه الخطبة من الخطب التي ركّز عليها المشككون في « النهج » لما
تشتمل عليه من ذكر الحجاج وتسلمته على أهل الكوفة وهو إخبار بغيث ولم
يك علي عليه السلام يعلم الغيب وقد ذكرنا الجواب عن هذه الشبهة فيما تقدم من هذا
الكتاب^(٢) ونذكر بعض الناقلين لأخبار أمير المؤمنين عن الحجاج قبل الشريف
الرضي وبعده :

١ - أحمد بن عبد ربه المالكي في « العقد الفريد » : ٦ ص ٢٤٩ .

٢ - علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٣٣ في « مروج الذهب »
ج ٣ ص ١٥٠ .

٣ - محمد بن أحمد الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ في « تهذيب اللغة » : ج ٧
ص ١٠١ مادة (خضر) قال : وفي حديث علي رضي الله عنه أنه خطب
بالكوفة في آخر عمره فقال : (اللهم سلط عليهم فتى ثقيف الذيال المنان
يلبس فروتها وياً كل خضرتها) فهو هنا ينص على أنه قال ذلك في خطبة له عليه السلام

٤ - أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه من أعلام القرن الثالث في
« البلدان » : ص ١٨١ .

(١) الذيال : الذي يجز ذيله تبخترا ، والميال : الذي يتميل تجبرا .
(٢) ج ١ ص ١٧٢ .

٥ - أحمد بن محمد الهروي في « الجمع بين الغربيين » على ما نقله ابن الأثير في « النهاية » ج ٢ ص ٤١ قال : في حديث علي : (اللهم سلط عليهم فتى ثقيف الذيال يلبس فروتها ويأكل خضرتها) .

٦ - المتقي الهندي عقد لأخبار علي عليه السلام عن الحجاج باباً في « كنز العمال » ج ٦ ص ٨٧ عن دلائل البيهقي . بطريقين (الاول) عن الحسن البصري (الثاني) عن مالك بن أوس بن أبي الحداد .

٧ - ابن الأثير في « النهاية » ج ٥ ص ١٧٠ مادة (وذح) قال : في حديث علي رضي الله عنه : (أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ، إليه أبا وذحة) .

٨ - الديلمي في (الإرشاد) ج ١ ص ٣٣ بتفاوت يسير جداً .

١١٥ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّبِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

غَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا . تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِنَزْوَالِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ إِخْوَانِكُمْ

قد ذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في هذا الكلام ، ويشم من ذلك أنه عثر عليها في غير (نهج البلاغة) .

(١) أي ان عباد الله يكرمونكم ويطيعونكم لاجل الله وانتم انكم لطاعته ولا تكرمون الله ويطيعونه في نفع عباده والاحسان اليهم .

١١٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ،
وَالْجَنُّ يَوْمَ الْبَاسِ ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ . بِكُمْ
أَضْرَبُ الْمُدْبِرَ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي
بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغُشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرِّيبِ . فَوَاللَّهِ
لَأَوَّلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ .

رواه الطبري في (التاريخ) وابن قتيبة في (الامامة والسياسة)
ج ١ ص ١٢١ .

وقال ابن أبي الحديد : « اعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام
بعد فراغه من حرب الجمل وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما » (٢) .

١١٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسَ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَسَكَّتُوا مَلِيًّا
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بِالْكُمْ أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فَقَالَ
قَوْمٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ ،

(١) الجن جمع جنة - بالضم - الوقاية ، والبطانة : الخواص
وأصحاب السر .
(٢) شرح نهج البلاغة م ٢ : ٢٥٩ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ : لَا سُدَّدْتُمْ لِرُشْدٍ ،
وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ ١ ، أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ
أَخْرُجَ ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ
مَنْ شُجِعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ
الْجُنْدَ وَالْمَصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ
أَخْرُجُ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلِّقُلُ تَقَلِّقُلَ الْقِدْحِ
فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ ٢ ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ
عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا ،
وَأَضْطَرَبَ ثِفَالُهَا ٣ هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ . وَاللَّهُ
لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ - لَوْ قَدْ حُمَّ لِي
لِقَاؤُهُ - لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا
أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي

(١) دعاء عليهم ان لا يوفقوا للرشد : ضد النفي ، والقصد : العدل .
(٢) القدح - بالكسر والسكون - السهم قبل ان يراش ، والجفير
الكنانة توضع فيها السهام .
(٣) سيأتي تفسيره في المتن .

كَثْرَةَ عَدَدِكُمْ ، مَعَ قَلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ
حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا
إِلَّا هَالِكٌ ، مَنْ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى
النَّارِ .

قال في « النهاية الاثرية » : ج ١ : ٢١٥ مادة « ثفل » : في حديث علي
رضي الله عنه : « وتدقهم الفتن دق الرحا بثفلها » الثفال - بالكسر -
جلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق ، وتسمى الحجر الأسفل ثفالاً
بها ، والمعنى انها تدقهم دق الرحا للحب اذا كانت مثقلة ، ولا تثفل إلا
عند الطحن ، ومنه حديثه الآخر ، « استدار مدارها ، واضطرب ثفالها » .

وقال ابن الحديد : هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في بعض
غارات أهل الشام على أطراف أعماله بعد انقضاء أمر صفين والنهروان ^(٢) .

١١٨ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ ،
وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ . وَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ أَبْوَابُ
الْحِكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ . إِلَّا وَإِنَّ شَرَّائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ،

(٤) حم : قدر ، وشخصت : خرجت ، والجنوب : الريح المقابلة
للشمال ، والغناء - بالفتح والمد - النفع .
(٢) شرح النهج ٢ ص ٢٥٩

وَسَبْلُهُ قَاصِدَةٌ ١ . مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ
وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . أَعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ ،
وَتَسْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ
عَنْهُ أَعْجَزُ ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ ٢ . وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ ،
وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَلِيتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ ٣ .
أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْمَالٍ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ ٤ .

أول هذا الكلام مروى قبل (نهج البلاغة) في (كتاب سليم بن قيس)
ص ١٤٢ وبقيته منشور في (غرر الحكم) على الصفحات التالية : (٨١ و ٨٢
و ٨٣) وروى مكان « اللسان الصالح » ، « اللسان الصدق » وفي هذا ما يفيد
أنه أخذه من كتاب آخر .

وقال ابن أبي الحديد : رواها قوم « لقد علمت » بالتخفيف وفتح العين ،
وفي قوله : رواها ما يشعر أنهم رواها في غير (نهج البلاغة) ولو كان قصده
في (النهج) لقال قرأها قوم ، ثم قال في تفسير هذه الخطبة : تبليغ الرسائل
تبليغ السرائع بعد وفاة الرسول ﷺ ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى :

(١) قاصدة : قريبة سهلة .

(٢) تسلى فيه السرائر : تختبر ، واللب : العقل ، وعازبه : غافله والمعنى
من لم ينتفع بعقله الحاضر عنده ، لا ينتفع بعقل غيره الغائب عنه .

(٣) الصديد : الماء الذي يخرج من الجرح أو القرح .

(٤) اللسان الصالح : الذكر الطيب يخلفه بعد موته في الناس .

(يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله)^(١) وإلى قول النبي ﷺ في قصة براءة : « لا يؤدي عني إلا أنا وأرجل مني » واتمام العادات : انجازها ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)^(٢) وإلى قول النبي ﷺ في حقه عليه السلام : « قاضي ديني ومنجز مواعيدي » وتمام الكلمات : تأويل القرآن وفيه إشارة إلى قوله تعالى : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً)^(٣) وإلى قول النبي ﷺ في حقه : « اللهم اهد قلبي » وثبتت لسانه « ثم قال : وخلاصة هذا أنه أقسم بالله أنه قد علم أو علم - على اختلاف الروايتين - أداء الشرائع إلى المكلفين ، والحكم بينهم بما أنزل الله ، وعلم مواعيد رسول الله التي وعد بها - إلى أن قال - : وعلم تمام كلمات الله تعالى أي تأويلها وبيانها الذي يتم به ، لأن في كلامه تعالى الجمل الذي لا يستغني عن متمم ومبين يوضحه - إلى أن قال : - وهذا مقام عظيم لا يحسر أحد من المخلوقين يدعيه سواء عليه السلام ولو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب وكذبه الناس^(٤) .

١١٩ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتَنَا عَنْ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَذْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ

(١) الاحزاب : ٣٩ .

(٢) الاحزاب : ٥٣ .

(٣) الانعام : ١١٥ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٦٠ .

أَرَشَدُ ؟ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى
ثُمَّ قَالَ :

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ ١ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ
أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي
يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ ، وَإِنْ
أَعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتْ
الْوُثْقَى ٢ ، وَلَكِنْ بِمَنْ وَلِيٌّ مِنْ ؟ . أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ
بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ وَهُوَ
يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا ٣ . اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا
الدَّاءِ الدَّوِي ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ ٤ . أَيْنَ

(١) العقدة : الرأي الوثيق .

(٢) الوثقى : الفعلة المحكمة

(٣) الضلع : الميل ، وناقش الشوكة بالشوكة من الامثال التي استشهد
بها عليه السلام في كلامه فقد كانوا يقولون : (لا تنقش الشوكة بالشوكة)
اي لا تنقش الشوكة الناشبة بالرجل بشوكة مثلها والمراد لا يصلح الفاسد
بمثله .

(٤) الدوي : الشديد ، والاشطان جمع شطن وهو الحبل ، والركي :
الابار جمع ركية أي البئر .

الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ
فَأَحْكُمُوهُ . وَهَيِّجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّيْهُمُ وَلَهُ اللَّقَاحُ
إِلَى أَوْلَادِهَا ١ ، وَسَلَبُوا السَّيْفَ أَغْمَادَهَا . وَأَخَذُوا
بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًا صَفًّا . بَعْضُ هَٰذَا
وَبَعْضُ نَجَا . لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ ، وَلَا يُعْزُونَ عَنْ
الْمَوْتِ ٢ . مَرَّةُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ ٣ ، خُمْصُ الْبُطُونِ
مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبْلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدَّعَاءِ . صُفْرُ الْأَلْوَانِ
مِنَ السَّهَرِ . عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ . أُولَٰئِكَ
إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ . فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَنْظُمًا إِلَيْهِمْ وَنَعُصَّ
الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ ٤ ،
وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ
بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ . فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفْسَاتِهِ .

(١) الوله : شدة الحب حتى يذهب بالعقل ، واللحاق — بكسر اللام —
الابل والواحد لقوح وهي الحلوب .

(٢) اي انهم جردوا عن العلائق الدنيوية ، فلا يفرح احدهم بمولود ،
ولا يحزن على مفقود .

(٣) يقال : مرهت العين مرها اذا فسدت من ترك الكحل .

(٤) يسني : يسهل

وَأَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَأَعْقِلُوهَا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ ٦ .

هذا الكلام مروى في كتب سابقة ا (نهج البلاغة) ولاحقة به ب صور
نحكم بها أن لكل واحد منها طريقه في الرواية ، مثل :

١ - العقد الفريد ج ٢ : ١٦٥ .

٢ - مطالب السؤل ج ١ : ٨٠٠ .

٣ - الارشاد للنفيد ص ١٣٩ وفي الاختصاص ص ١٥٣ عن كتاب ابن
دأب المعاصر للهادي العباسي .

٤ - الاحتجاج ج ٨ ص ٢٧٣ .

٥ - ربيع الأبرار للزعشري ج ١ ص ١٣٠ مخطوطة الأوقاف بغداد في
باب الخير والصلاح ، رواه من قوله صلى الله عليه وعلى آبنائه الطاهرين :
(أين الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه - إلى قوله عليه السلام - ونعص الأيدي
على فراقهم) باختلاف يسير معناه أنه لم ينقله عن « النهج » مثل : (أين
الذين دعوا ...) ورواية « النهج » : (أين القوم الذين ...) و (لا يعزون
بالقتل) وفي النهج (التوتى) و (من الطوى) وفي « النهج » (من الصيام)
و (من الظما) وفي « النهج » (من الدعاء) كما أن أكثر هذا الكلام منشور
في « غرر الحكم » و لست بحاجة الى الاشارة الى مواضعه والمحمد لله .

(١) اصدفوا : اعرضوا ، ونزغات الشيطان : ما يترغ - بالفتح - اي
يفسد ويفري ، ونفثاته : ما ينفث به - بالضم والكسر - اي ما يخيل
ويزين ، اعقلوها : اربطوها اي الزقوها .

١٢٠ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة فقال عليه السلام :

أَكَلْتُمْ شَهِدَ مَعَنَا صَفِينَ ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ
وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ . قَالَ : فَاِمْتَاذُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ
مَنْ شَهِدَ صَفِينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى
أَكَلْتُمْ كُلًّا بِكَلَامِهِ . وَتَادَى النَّاسَ فَقَالَ : اُمْسِكُوا
عَنِ الْكَلَامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ،
فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ (مِنْهُ) :

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةٌ وَغِيْلَةٌ ، وَمَكْرَأٌ
وَحَدِيدَةٌ : إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، اسْتَقَالُونَا وَأَسْتَرَاخُوا
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالْتِنْفِيسُ
عَنْهُمْ . فَقُلْتُ لَكُمْ : هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ

عُدْوَانُ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِمْوْا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالْزُمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَظُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ . وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقٍ : إِنْ أُجِيبَ أَصْلٌ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلٌّ . وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطِيتُمُوهَا ، وَاللَّهُ لَشِنْ أَبِيئُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا . وَوَاللَّهُ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لِلْمُحَقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ . وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِيَ . مَا فَارَقْتُهُ مِذَّ صَحْبَتُهُ . فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ . وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِعْوَجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالْتَّوِيلِ . فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خُصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ

(١) انتم الدين اعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برايكم .

بِهَا شَعْنَنَا وَنَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغْبَنَا
فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا ١.

قال ابن أبي الحديد : هذا كلام يتلو بمضه ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدهما بالآخر وهذه عادة الرضي تراه ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة يوردها على سبيل التتالي وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها وسنقطع كل فصل منها عن صاحبه ، ثم ذكر أن آخر الفصل الأول قوله عليه السلام : « إن اجيب ضل وإن ترك ذل » ثم ذكر أن قوله عليه السلام : « ولقد كنا مع رسول الله ﷺ - إلى قوله صلوات الله عليه : « وصبراً على مضض الجراح » كلام آخر قائم بنفسه وهو آخر الفصل الثاني ، ثم قال : فأما قوله : « لكننا إنما أصبحنا » فهو كلام ثالث غير منوط بالأولين غير ملتصق بهما ، وهو في الظاهر مناقض ومخالف للفصل الأول ، لأن الأول فيه وهذا يتضمن تصويبها ، وظاهر الحال أنه بعد كلام طويل ، وقد قال الرضي في أول الفصل : إنه من جملة كلام طويل ، وأنه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائماً وهو اني حكمت على أن يعمل في هذه الواقعة بحكم الكتاب ، وإن كنت احارب قوماً ادخلوا في الاسلام زيفاً وأحدثوا به اعوجاجاً فلما دعوني إلى تحكيم الكتاب أمسكت ، وأبقيت عليهم ، لأنني طمعت في أمر يلم الله به شعث المسلمين (٢) .

وذكر هذا الكلام بأقصر مما في « النهج » الطبرسي في « الاحتجاج » ج ١ ص ٢٧٤ قال عليه السلام : وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على

(١) المراد من الخصلة بالفتح هنا الوسيلة . ولم شعته : جمع امره .
ونتداني : نتقارب الى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .
(٢) شرح النهج م ٢ ص ٢٦٤ .

إنكار الحكومة بعد كلام طويل : « ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة .. الخ » .

١٢١ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب

وَأَيُّ أَمْرِي مِنْكُمْ أَحَسُّ مِنْ نَفْسِهِ رِيَاظَةٌ جَاشٍ
عِنْدَ اللَّقَاءِ ١ ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا فَلْيَذُبْ
عَنْ أَخِيهِ ٢ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا
يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ ، إِنَّ
الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ ، لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يُعْجِزُهُ
الْهَارِبُ ، إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ . وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ
أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ
مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ .

(مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُونَ كَشِيشَ

(١) رباطة الجأش : قوة القلب عند اللقاء .

(٢) فليدفع : فليدفع .

الضَّبَابِ ١ ، لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، قَدْ
خَلَّيْتُمْ وَالطَّرِيقَ ، فَالْنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَدَلِّمِ ٢

تجد هذا الكلام متفرقا في الكتب الآتية :

- ١ - « اصول الكافي » ج ٥ ص ٥٣ في باب فضل الجهاد .
- ٢ - « العقد الفريد » ج ٤ ص ٣٣٨ .
- ٣ - « الجمل » المفيد : ص ١٩٠ عن كتاب « الجمل » للواقدي .
- ٤ - « الإرشاد » للمفيد : ص ١٣٩ و ١٥٩ .
- ٥ - « تجارب الامم » لابن مسكويه على ما حكاه السيد الصدر في
« تأسيس الشيعة » : ص ٤١٥ .
- ٦ - « أمالي الطوسي » : ج ١ ص ٢٢٠ .

وأعلم أن من قوله عليه السلام : (وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب ..) إلى آخر الكلام في النسخة التي عليها شرح ابن أبي الحديد كلام آخر بينما في بقية النسخ أنه تابع لما قبله ^(١) والمظنون أن ما في نسخة ابن أبي الحديد من سهو النساخ ولا يضر ذلك بعد إثبات أن هذا الكلام بقسميه مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتب العلماء قبل « نهج البلاغة » وبعده كما ستري .

(١) الضباب جمع ضب الحيوان المعروف ، وكشيشها صوت جلودها عند ازدهامها .

(٢) يعني بالطريق : طريق الآخرة ، والمقحم الذي يرمي بنفسه في غمرات الحرب ، والمتلوم : المتوقف .

١٢٢ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّرَارِعَ ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى
الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِسَيْفٍ عَنِ الْهَامِ . وَالتَّوَّأ
فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمَرٌ لِلْأَسِنَّةِ ٢ . وَغَضُّوا
الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا
الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشْلِ ، وَرَأَيْتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا
وَلَا تُخْلِوَهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ
وَالْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ ٣ ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نَزُولِ
الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفُفُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ ، وَيَكْتَنِفُونَ
حِفَافِيهَا ، وَرَاعَاهَا وَأَمَامَهَا . وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا

-
- (١) الدارِع : لابس الدرع ، والحاسر من لا درع عليه
(٢) أنبى من نبأ السيف إذا لم يقطع ، وأمر : اشد حركة ونفوذ .
(٣) الدمار : ما يجب على الرجل أن يحميه ، وسمي دماراً لأنه يجب
على أهله التذمر أي الغضب له .
(٤) الحقائق : الشدائد ، وحفافيتها : جانبها .

وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا . أَجْزَأَ أَمْرُوهُ قِرْنُهُ ،
وَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ١ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنُهُ إِلَى أَخِيهِ
فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ ٢ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَشِنْ
فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ .
وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ وَالسَّامُ الْأَعْظَمُ . إِنْ فِي الْفِرَارِ
مَوْجِدَةٌ اللَّهِ ٣ ، وَالذَّلُّ الْإِلَازِمُ ، وَالْعَارُ الْبَاقِي . وَإِنَّ
الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
يَوْمِهِ . الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ . الْجَنَّةُ تَحْتَ
أَطْرَافِ الْعَوَالِي ٤ . الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ . وَاللَّهُ لَأَنَا أَشَوْقُ
إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ
فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ
بِخَطَايَاهُمْ ٥ . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ

(١) أجزاء : كفى ، والقرن - بكسر القاف - المقارن في القتال ، وآسى :

واسى .

(٢) أي لا يفر من قرنه اعتماداً على أخيه في دفعه فيجتمع على أخيه

قرنه وقرن أخيه .

(٣) لهاميم العرب : أجوادهم ، والموجدة : الغضب :

(٤) العوالى : الرماح الطوال .

(٥) أبسلهم : أسلمهم للهلكة .

دَرَاكٌ ١ . يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ١ ، وَضَرْبٌ يَفْلِقُ الْهَامَ ،
وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيَنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ ٢ وَحَتَّى
يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ ، وَيَرْجُمُوا بِالْكَتَائِبِ
تَقْفُوها الْحَلَالِبُ ٣ . وَحَتَّى يَجْرَ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ
يَتَلَوُّهُ الْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخِيُولُ فِي نَوَاحِرِ
أَرْضِهِمْ ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ ٤

قال الرضي رحمه الله : أقول : الدعق : الدق ، أي تدق الخيول بحوافرها
أرضهم ، ونواحر أرضهم : متقابلاتها يقال : منازل بني فلان تتناحر : أي
تتقابل .

أول هذه الخطبة : « أيها الناس ، إن الله تعالى ذكره قد دلسم على تجارة
تنجيكم من العذاب ، وتشفي بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله ، وجهاد في

(١) طعن دراك : متتابع ، يتبع بعضه بعضا ، يخرج منه
النسيم لسعته أو المراد بالنسيم : النفس

(٢) يفلق الهام : يشقها ويندر السواعد : يسقطها .

(٣) المناسر جمع منسر وهو القطعة من الجيش ، ويرجموا : يفزوا
والكتائب جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش ، والحلاب : الانصار قد
حالبوا إذا جاؤا من كل اوب للنصرة ، ورجل حالب أي ناصر .

(٤) الخميس : سمي بذلك لاشتيماله على الميمنة والميسرة ، والقلب
والجناحين ، ونواحر أرضهم : أقاصيها ، وأعنان مساربهم : أقطارها
والمسارب ما يسرب فيه المال الراعي ، والمسرح ما يسرح فيه ، والفرق
بين سرح وسرب أن السروح يكون أول النهار وليس ذلك بشرط في السروح .

سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، ومساكن طيبة في جنات ورضوان من الله أكبر ، وأخبركم بالذي يحب فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفواً كأنهم بنيان مرصوص) فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع ، وأخروا الحاسر .. إلى آخر الخطبة » .

روى ذلك نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » على ما نقله ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : م ١ ص ١٨٤ ، وهي مذكورة في المطبوع من كتاب « صفين » ص ٢٣٥ ولكن رواية ابن أبي الحديد أكل ، ورواها الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ص ٩ في حوادث سنة ٣٧ بسنده عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهني كرواية ابن مزاحم ، وهي مروية أيضاً في كتاب الجهاد من « السكافي » ج ٥ ص ٣٩ ، وفي كتاب « الفتوح » لأحمد بن أعثم الكوفي : ج ٣ ص ٧٣ .

وقال ابن أبي الحديد : وهذه الألفاظ لا يتبع بعضها وإنما هي منتزعة من كلام طويل انتزعها الرضي رحمه الله واطرح ما عداها^(١) .

١٢٣ - وَمَنْ كَلَامُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الخوارج لما أنكروا عليه تحكيم الرجال ، ويذم فيه أصحابه في التحكيم

إِنَّا لَمْ نَحْكَمْ الرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ ، وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ ٢ لَا يَنْطِقُ

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٢٦٨

(٢) الدفتان صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف

بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ
الرَّجَالُ ، وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ
لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ
قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ) ١ فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ
إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي
كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ ، وَأَمَّا
قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ،
فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ ، وَيَتَشَبَّهَ الْعَالِمُ ،
وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،
وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا ٢ فَتَعَجَّلَ عَنْ تَبْيِينِ الْحَقِّ وَتَنْقَادِ
لِأَوَّلِ الْغَيِّ . إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ

(١) النساء : ٥٨ .

(٢) الاكظام جمع كظم محرقة : مخرج النفس ، والاخذ بالاكظام :
المضايقه .

بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّهَهُ ١- مِنْ الْبَاطِلِ
وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَزَادَهُ . فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! . وَمِنْ
أَيْنَ أُتَيْتُمْ ! . اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنْ
الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ
بِهِ . جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ ٢ . مَا أَنْتُمْ
بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرٍ عِزٌّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا ٣ .
لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ٤ . أَفْ لَكُمْ لَقَدْ
لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا ، يَوْمًا أُنَادِيكُمْ وَيَوْمًا أُنَاجِيكُمْ ،
فَلَا أحرارٌ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النُّجَاءِ ٥ .

(١) كرهه : اشتد عليه وبلغ منه المشقة .

(٢) موزعين : ملهين ، وجفاء : أي إجلاف لا أفهام لهم ، ونكب جمع
ناكب وهو المنحرف عن السبيل .

(٣) الوثيقة : الثقة ، ويعلق بها يؤخذ ، والزوافر : العشرة والانصار

(٤) حشاش الحرب : موقدوا نارها .

(٥) أف - بضم الفاء وفتحها وكسرها ، وتنون بالثلاث أيضا - :
كلمة استقذار ، والبرح - بالتحريك - الشدة وتروى « ترحا » أي حزنا ،
وقوله « فلا أحرار » الخ أي لا تجيبون ندائي ، فننصروني إذا ناديتكم ، ولا
تكتمون السر إذا ناجيتكم ، والنجاء : كلام السر .

قال الطبري في « التاريخ » ج ٦ ص ٣٧ في حوادث سنة ٣٧ « خرج (علي) حتى انتهى اليهم (الخوارج) وهم يخاصمون ابن عباس فقال : انته عن كلامهم ألم أفهمك رحمك الله ؟ ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : اللهم هذا مقام من أفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث ^(١) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال علي فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم صفين قال : انشدكم بالله اتعلمون أنكم حيث رفعوا المصاحف فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم : إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليس بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال ، امضوا على حقكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة ^(٢) فرددتم عليّ رأيي ، وقلتم : لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم : اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أبستم إلا الكتاب اشترطت على الحاكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكماً بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن ، وإن أبيا فنحن من حكمها براء ، قالوا : فخبّرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال وإنما حكمنا القرآن ... الخ ولكنه بأخصر مما ذكر الرضي رحمه الله .

ومثله ما رواه سبط ابن الجوزي في « التذكرة » ص ١٠٠ عن هشام بن الكلبي . وفي « إرشاد المفيد » ص ١٥٧ أن هذا الكلام كلم به الخوارج بظاهر الكوفة بعد رجوعه إليها ورواه الطبرسي في « الاحتجاج » ج ١ ص ٢٧٥ كما في « النهج » مع اختلاف بسيط جداً .

(١) الفلج : الظفر والفوز ، وأوعث : وقع في الوعث (بالسكون) المكان السهل الدهس الذي تغيب فيه لاقدام وهو الطريق العسر
(٢) الادهان : الفش .

١٢٤ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِي مَنْ وَلَّيْتُ عَلَيْهِ . وَاللَّهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرًا ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا ٢ . لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ . أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيَكْرُمُهُ فِي النَّاسِ ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ . وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُهُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدَهُمْ ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ ٣ ، وَأَلَا مُخْلِيلٌ .

(١) اطور به : اقربه ، والسمر : الدهر ، وفي المثل ، ما سمر سمر ، وما سمر ابنا سمر وابنا سمر الليل والنهار لانه يسمر بهما ، اي لا افعل ذلك ما دام الناس يسمرون .

(٢) أم : قصد ، او تقدم لان النجوم تتبع بعضها بعضا فلا بد فيها من تقدم وتأخر فلا يزال نجم يقصد نجما غيره ، ولا يزال نجم يتقدم آخر (٣) الخدين : الصديق

هنا مختار كلام له طويل قاله عليه السلام لطائفة من أصحابه ، لما رأوا ما يفعله معاوية من بذل الأموال لأصحابه والمنقطعين اليه ، وتفضيل بعضهم على بعض في العطاء ، قالوا الأمير المؤمنين عليه السلام : إن عامة الناس أصحاب دنيا ، لها يسمعون ، وفيها يكدهون ، فلو أعطيت من هذا المال ، وفضلت الأشراف من العرب ، وقريشاً على الموالي ، ومن تخاف خلفه وفراقه ، حتى إذا استتب لك ما تريد عدت الى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، فقال عليه السلام : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور .. الخ.

روى ذلك جماعة قبل الرضي وبعده منهم :

- ١ - المدائني على ما حكاه ابن أبي الحديد في (شرح النهج) م ١ ص ١٨٢
 - ٢ - ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) : ج ١ ص ١٥٣ .
 - ٣ - ابن شعبة في (تحف العقول) : ص ١٣١ .
 - ٤ - الكليني في (فروع الكافي) : ج ٤ ص ٣١ .
 - ٥ - المفيد في (المجالس) : ص ٩٥ .
 - ٦ - الطوسي في (الأمالي) : ج ١ ص ١٩٧ .
- وغيرهم ..

وبما هو جدير بالذكر أن الكلام الذي يأتي برقم : (١٣٩) وأوله :
(وليس لواضع المعروف في غير حقه ... الخ) تابع لهذا الكلام ، تعرف حقيقة ذلك إذا رجعت الى المصادر المذكورة .

١٢٥ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للخوارج ايضاً

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ ،
فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
بِضَلَالِي ، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَايَايَ ، وَتُكْفِرُونَهُمْ بِذُنُوبِي .
سَيُؤْفِكُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضْعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ ،
وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يَذْنِبْ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ
ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلُهُ . وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ
مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ . وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ .
ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِيءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَأَخَذَهُمُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ
اللَّهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ
يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ ١ . ثُمَّ أَنْتُمْ شَرَارُ النَّاسِ ،
وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ ٢ .

(١) الضمير في أهله يعود على الاسلام

(٢) رمى به : اضله كأنه رماه مرمى بعيداً ، وضرب به تيهه ، حيره
وجعله تائها .

وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ
إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى
غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ ،
فَالزُّمُوهُ وَالزُّمُومَةُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ .
وَأَيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا
أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ إِلَّا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشَّعَارِ
فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ وَإِنَّمَا حُكْمُ
الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ
الْقُرْآنُ . وَإِحْيَاؤُهُ لِاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ لِافْتِرَاقِ
عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ أَتَبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ
إِلَيْنَا أَتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا ، وَلَا
خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَلَا لَبَسْتُكُمْ عَلَيْهِمْ ٢ ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ

(١) يعنى شعار الخوارج . وكان شعارهم أنهم يخلقون وسط رؤسهم
ويبقى الشعر حوله مستديرا كالأكليل قاله ابن أبي الحديد ، أو أن
المراد بالشعار مفارقة الجماعة ، والاستبداد بالرأي أو ما كانوا ينادون به
(لا حكم الا الله) لانها كلمة حق أريد بها باطل ، وقوله عليه السلام « تحت
عمامتي » اي ولو اعتصم بأعظم الاشياء
(٢) بجرا : داهية عظيمة ، ختلتكم : خدمتكم ، ولبسته : شبهته

رَأَيْ مَلِكُكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا
يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَمَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ،
وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيْنَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا
عَلَيْهِمَا - فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصِّمْدِ لِلْحَقِّ ١ - سُوءَ
رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

هذا الكلام من جملة احتجاجه على الخوارج وقد روى الطبري في
(التاريخ) ج ٦ ص ٤٨ في حوادث سنة ٣٧ آخره عن أبي مخنف بتفاوت مع
رواية الرضي .

وقد فسر ابن الأثير في « النهاية » غريب هذه الخطبة فقال في باب الباء مع
الجيم مادة (بجر) ومنه حديث علي رضي الله عنه : (لم آتِ لا أبا لكم
بجرأ) وقال البجر بالفتح والضم : الداهية والأمر العظيم .
وسياتي في الحكمة (٤٦٩) إشارة لهذه الخطبة ان شاء الله .

١٢٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما يخبر به من الملاحم بالبيعة^(٢)

يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ

(١) الصمد : الفصد .

(٢) الملاحم جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة

لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ ١ ، وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةٌ
خَيْلٍ ٢ . يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهُمْ أَقْدَامُ
النَّعَامِ .

(يُؤْمِي بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزُّنْجِ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ) . :

وَيَلُّ لِسَكَكُمْ الْعَامِرَةَ ٣ ، وَالْدُّورِ الْمَزْخَرَفَةِ الَّتِي
لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ ٤ ، وَخَرَاطِيمٌ كَخَرَاطِيمِ
الْفِيلَةِ ، مِنْ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلَا
يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ ٥ .

أَنَا كَابُ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاطِرُهَا
بِعَيْنِهَا .

-
- (١) اللجب : الصياح ، وقعقة اللجم ما يسمع من صوت اضطرابها
بين أسنان الخيل
(٢) الحمحمة : وعر الفرس - أي صوته - عندما يقصر في الصهيل .
(٣) السكك جمع سكة : الطريق المستوي
(٤) أجنحة الدور الخشب الخارج من الدار الى الطريق ، والخراطيم :
الميازيب .
(٥) لا يبكى القتل منهم ولا يفتقد لكثرتهم .

(مِنْهُ ، وَيُؤْمِي بِهِ إِلَى وَصْفِ الْأَتْرَاكِ)
كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ ١ ،
يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالْدِّيْبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ ٢ .
وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ حَتَّى ٣ يَمْشِي الْمَجْرُوحُ
عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقْلًا مِنَ الْمَأْسُورِ .
(فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ عِلْمُ الْغَيْبِ ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ
لِلرَّجُلِ (وَكَانَ كَلْبِيًّا) :

يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ
تَعَلَّمَ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا
عَدَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُهُ « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ »
الْآيَةُ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

(١) المجان جمع مجن - بكسر الجيم - : الترس ، والمطرقة
- بتشديد الراء - متخذة من حديد مطرق بالمطرقة ، وإذا كانت مخففة
يكون المعنى جمل بعضها فوق بعض .

(٢) السرق - محرقة - شقق من الحرير بيضاء، والديباج: الأبريسم،
ويعتقبون الخيل: يجنبونها .

(٣) استحرار القتل: شدته .

أُنْشَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ
أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا ، أَوْ فِي الْجَنَانِ
لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا . فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ
إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عِلْمُهُ اللَّهُ نَبِيُّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ،
وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي ١ .

هذا الفصل من خطبة له عليه السلام طويلة خطبها في البصرة بعد فراغه
من حرب الجمل وقد نشر فصولاً منها الشيخ ميثم البحراني في شرحه على « نهج
البلاغة » ج ٣ : ١٥ و ١٣٨ وقال : وهذا الفصل من خطبة له بالبصرة بعد
وقعة الجمل ذكرنا منها فصولاً فيما سبق والخطاب مع الأحنف بن قيس لأنه
كان رئيساً ذا عقل وسابقة في قومه ... الخ (٢) .

وهذا الفصل يتصل بالفصل الذي مر برقم (٩٩) .

١٢٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر المكايل والموازين

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا
أَثْوِيَاءُ ٣ . مُؤَجَّلُونَ ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ . أَجَلٌ مَنْقُوصٌ

(١) أي تجتمع عليه جوانح صدري

(٢) الشرح ج ٣ ص ١٣٧

(٣) أثوياء جمع ثوى - كقوي - وهو الضيف .

وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ . فَرُبُّ دَائِبٍ مُضِيعٌ ، وَرُبُّ كَادِحٍ خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَالْشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا ، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ، وَعَمَتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمَكَنْتْ فَرِيستُهُ ٢ . أَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا ، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا ، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًّا ، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ أَلْمَوَاعِظِ وَقَرًّا . أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ؟ وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَّةِ . وَهَلْ خُلِفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ ٣ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشُّفَتَانِ ، اسْتِصْغَارًا

(١) الدائب : المجد ، والكادح : الساعي

(٢) امكنت اي امكنته فحذف المفعول .

(٣) الحثالة : الرديء الساقط .

لِقَدَرِهِمْ ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ظَهَرَ أَلْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُغَيَّرٌ ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ ؟ هِيَئَاتَ لَا يُخَدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ .

ليس فيما نقله الرضي هنا ذكر للمكاييل اللهم إلا الإشارة إلى التورع في المكاسب بقوله عليه السلام : (أين المتورعون في مكاسبهم) ولا ريب أن المذكور هنا ملقط من خطبة له عليه السلام في المكاييل ، وقد روى الزخشي في « ربيع الأبرار » في باب تبدل الأحوال جزءاً من هذه الخطبة من قوله عليه السلام : (قد أصبحتم في زمان لا يزداد الخير فيه إلا ادباراً) إلى قوله سلام الله عليه : (ولا تنال مرضاته إلا بطاعته) وروى (جواداً) مكان (بخيلاً) .

وفي « غرر الحكم » ص ٣٢٠ : روى (هل تنظر إلا فقيراً ... الخ) .

١٢٨ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربرة

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ ،
إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخَفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ،

فَاتَرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَأَهْرَبْ مِنْهُمْ بِمَا
خَفَتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ وَمَا أَغْنَاكَ
عَمَّا مَنَعُوكَ ، وَتَعَلَّمْ مِنَ الرَّابِعِ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا ،
وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ
أَتَقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا . وَلَا يُؤْنِسُكَ
إِلَّا الْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ
دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ ١ .

هذا الكلام رواه الكليني في (روضة الكافي) ص ٢٠٦ مسنداً بتفاوت
يسير عما هنا ، ونقله ابن أبي الحديد عن كتاب (السقيفة) لأحمد بن عبد
العزیز الجوهري وذكر كلاماً لطيفاً مع هذا الكلام للحسن والحسين عليهما
السلام وعقيل وعمار قالوه عند توديع أبي ذر لا يخلو ذكره هنا من عظيم فائدة.

قال : عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما
أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أباً ذر ولا
يشيعه ، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به ، فخرج به وتحاماه الناس إلا
علي بن أبي طالب عليه السلام وعقيل أخاه وحسيناً وعليهما السلام وعماراً
فإنهم خرجوا معه يشيعونه ، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أباً ذر فقال له
مروان : إياها يا حسن ، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا
الرجل ؟ فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك ، فجعل علي عليه السلام على مروان

(١) كنى بالقرض من الدنيا عن الاخذ

فصرب بالسوط بين اذني راحلته ، وقال : تنح لحاك الله إلى النار ، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر ، فتلظى على علي عليه السلام ، ووقف أبو ذر فودعه القوم ، ومعه ذكوان مولى ام هانئ بنت أبي طالب ، قال ذكوان : فحفظت كلام القوم - وكان حافظاً - فقال علي عليه السلام : « يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فامتحنوك بالقلبي ، ونفوك إلى الفلي ، والله لو كانت السموات والأرض على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً » ، يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل » ثم قال لأصحابه : ودعوا عمكم ، وقال لعقيل : ودع أخاك ، فتكلم عقيل ، فقال : « ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم إننا نحبك وأنت تحبنا ، فاتق الله فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم ، واعلم إن استثقالك الصبر من الجزع ، واستبطائك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع » ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال : « يا عماء لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشييع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف ، وقد أتى إليك من القوم ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك ﷺ وهو عنك راض » ثم تكلم الحسين عليه السلام ، فقال : « يا عماء إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى ، والله كل يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتم دينك فما أغناك عما منعوك ، وما أحوجهم إلى ما منعتم ، فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلاً . »

ثم تكلم عمار مغضباً فقال : « لا آنس الله من أوحشك ، ولا آمن من أخافك ، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ، ولورضيت أعمالهم لأحبوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك ، إلا الرضا بالدنيا ، والجزع من الموت ، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه ، والمالك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ،

ومنحهم القوم دنياهم ، فحسروا الدنيا والآخرة ، (ألا ذلك هو الخسران المبين)^(١) .

فبكى أبو ذر رحمه الله - وكان شيخاً كبيراً - وقال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتمكم ، ذكرت بكم رسول الله ﷺ ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن^(٢) غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن اجاور أخاه وابن خاله بالمصرين^(٣) ، فافسد الناس عليهما ، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ، ولا دافع إلا الله ، والله ما أريد إلا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة .

ورجع القوم إلى المدينة^(٤) .

١٢٩ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتَّةُ ،
الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظَارَكُمْ
عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نَفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَةِ

(١) الحج : ١١ .

(٢) الشجن هنا : ما تهواه النفس ، ويميل اليه الطبع .

(٣) يعني مصر والبصرة كان والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح اخا عثمان من الرضاعة ، وكان على البصرة عبدالله بن عامر ابن خاله .

(٤) شرح نهج البلاغة المجلد الثاني ٣٧٥ ، وقد ذكر الكليني في « الروضة » ص ٢٠٧ مثل ذلك ، وأشار اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٢٠ الى هذه القصة .

الْأَسَدِ ، هِيَهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ ، أَوْ
أَقِيمَ أَعْوَجَاجَ الْحَقِّ ٢ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ
الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا أَلْتِمَاسَ شَيْءٍ
مِنْ فَضُولِ الْحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ،
وَنُظْهِرَ الْأَصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ . فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ
عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ
مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى
الْفُرُوجِ وَالْدَّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ
الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ ٣ ، وَلَا الْجَاهِلُ
فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ،

(١) سيأتي معناها في المتن .

(٢) السرار - كقرار - آخر ليلة من الشهر والمراد الظلمة والمعنى
هيهات أن أكشف بكم ما عرض على الظلمة كما يدل على ذلك قوله أو اقيم
اعوجاج الحق ، فان الحق لا اعوجاج فيه ، ولكن خلطه قوم بالباطل فهذا
ما أصابه من الاعوجاج .

(٣) النهمة - بالفتح - افراط الشهوة .

وَلَا أَلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ ١ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا
الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ
الْمَقَاطِعِ ٢ ، وَلَا الْمُعْطَلُ لِسُنَّةِ فِيْهِكَ الْأُمَّةُ .

أول هذه الخطبة على ما رواه سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » :
ص ١٢٠ باسناده عن عبد الله بن صالح المجلي ، قال خطب أمير المؤمنين علي
عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال : الحمد لله ، أحمده ، وأؤمن به ،
وأستهديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كرهه
المشركون ، ثم قال : أيتها النفوس المختلفة ، والقلوب المشتتة ... الخ بتفاوت
مع رواية الرضي في بعض الكلمات .

وقد روى القاضي النعمان الفصل الأخير من هذه الخطبة في الجزء الثاني من
« دعائم الاسلام » : ص ٥٣١ .

وفي « النهاية الأثرية » ج ٣ ص ١٥٤ مادة (ظَار) قال : وحديث علي
(أظأركم على الحق وأنتم تفرون منه) وفسر الظأار بقوله : (الظأار أن
تعطف الناقة على غير ولدها ، قال : وكانوا إذا أرادوا ذلك شدوا أنف الناقة
وعينيها ، وحشوا في حياها خرقة ثم خلوه بخلالين ، وتركوها كذلك يومين
فتظن أنها مخضت للولادة ، فاذا غمها ذلك وأكربها نفسوا عنها ، واستخرجوا
الخرقة من حياها ويكونون قد أعدوا لها حواراً من غيرها ، فيلطخونه بتلك

(١) الحائف : الجائر من الحيف وهو الجور . والدول جمع دولة
— بالضم — المال لانه يتداول بين الناس .
(٢) المقاطع : الحدود .

الخرقة ، ويقدمونه إليها ، ثم يفتحون أنفها وعينها فإذا رأت الحوار وشتمته ظنت أنها ولدته فترأه وتعطف عليه اه .
وفي « النهاية » أيضاً ج ٥ ص ٢٧٠ مادة (وعا) قال : في حديث علي :
(وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوة الأسد) أي صوته ، ووعواع
الناس : ضجتهم .

١٣٠ - وَمَنْ خُطِبَ إِلَيْهِ عَلَى السَّبَلِ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى ،
الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ، الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، الْعَالِمُ
بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ ٢ شَهَادَةٌ يُوَافِقُ
فِيهَا أَلْسَرُ الْأَعْلَانِ وَالْقَلْبُ أَلْسَانَ .
(مِنْهَا) فَإِنَّهُ وَاللَّهُ أَلْجَدُّ لَا أَلْعَبُ ، وَالْحَقُّ لَا أَلْكَذِبُ .
وَمَا هُوَ إِلَّا أَلْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ ٣ وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا
يَغْرُنُكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ٤ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ

(١) أبلى : أنعم وأعطى ، وابتلى : اختبر وامتحان .

(٢) نجيبه : مصطفىاه ، وبعيته مبعوثه .

(٣) داعي الموت ما نراه من كثرة الموتى فهو أبلغ من المنطق المسموع ،
فكأنه نادانا فاسمعنا .

(٤) أي لا يغرنك كثرة الناس من حولك وما فيهم من الشباب والصحة
فتظن بذلك أن الموت بعيد عنك .

قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ ، وَحَذَرَ الْإِقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ،
 طُولَ أَمَلٍ ١ وَاسْتَبْعَادَ أَجَلٍ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ
 فَازَعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولًا عَلَى
 أَعْوَادِ الْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ ، حَمَلًا
 عَلَى الْمَنَاكِبِ ، وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ
 يَأْمُلُونَ بَعِيدًا ، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ،
 أَصْبَحَتْ بَيُوتُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا ، وَصَارَتْ
 أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لَا فِي
 حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ . فَمَنْ أَشْعَرَ
 اتَّقَوِي قَلْبُهُ بَرَزَ مَهْلُهُ ٢ وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا ،
 وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا . فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ
 مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزُودُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ

(١) طول الامل : منصوب على انه مفعول لاجله :

(٢) مهله تروى بالرفع على آته . فاعل برز يقال برز فلان اقرباه اي
 فافهم ، وتروى بالنصب على أن برز بمعنى أبرز اي أظهر ، والمهل : شوط
 الفرس والمراد التقدم في الخير .

إِلَى دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ . وَقَرَّبُوا
الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ ١ .

نثر الأمدى في « الفرر » جملة منها بتفاوت نجزم أنه لم يرجع إلى (النهج) في نقلها نذكر منه ما رواه في ص ٢٨٢ « من أشعر قلبه التقوى فاز عمله » بينما المروي في (النهج) هذا « من أشعر التقوى قلبه برّز مهله » ، وفاز عمله « وفي ص ١١٩ « إن الدنيا لم تخلق دار مقام ولا محل قرار ، وإنما جعلت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال الصالحة لدار القرار ، فكونوا على أوفاز ، ولا تخدعنكم منها العاجلة ، ولا تفرنكم فيها الفتنة » وفي (النهج) هذا « فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال إلى دار القرار ، فكونوا منها على أوفاز ، وقربوا الظهور للزيال » .

وفي « النهاية » لابن الأثير : ج ٥ ص ٢٣٩ مادة (هبل) قال : الهبالة الغنيمة ومنه حديث علي « واهتبلوا هبلها » وقال في ج ٢ ص ٢١٠ مادة (وفز) في حديث علي « كونوا منها على أوفاز » الوفز والوفز : المعجلة ، والجمع أوفاز .

١٣١ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّعْلِيِّ السَّيِّئِ الْإِسْلَامِيِّ

وَأَنقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزْمَتِهَا ، وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهُمَا ٢ ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ
وَالْإَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا

(١) الظهور : الركاب ، والزيال : المفارقة .

(٢) المقاليد : المفاتيح .

النَّيِّرَانَ الْمُضِيئَةَ ، وَآتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ
الْيَانَعَةُ ١.

(مِنْهَا) وَكَتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَغِي
لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ
أَعْوَانُهُ .

(مِنْهَا) أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازُعِ
مِنَ الْأَلْسُنِ ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ،
فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

(مِنْهَا) وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى ٢ ، لَا
يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَالْبَصِيرُ يَنْفِذُهَا بِصَرِّهِ وَيَعْلَمُ
أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا ، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَالْأَعْمَى
إِلَيْهَا شَاخِصٌ ٣. وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا
مُتَزَوِّدٌ .

(١) بكلماته : بأوامره ، والضمائر لله سبحانه وقد تقدم ذكره جل
اسمه في اول الخطبة وان لم يذكره الرضي رحمه الله .

(٢) اي الاعمى عن الآخرة .

(٣) الشاخص في الاولى : الظامن ، وفي الثانية : طامع البصر .

(مِنْهَا) وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ
يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ
رَاحَةً ١ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ
لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ
الصَّمَاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمآنِ وَفِيهَا الْغَنِيُّ كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ .
كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطَقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ
وَيَنْطَقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . لَا
يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ . قَدْ
أَصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغُلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ ٢ ، وَنَبَتْ الْمَرْعَى

(١) هذا على الاعم الاغلب لان اكثرهم يكرهون الموت ولا يجدون فيه
راحة لكثرة ذنوبهم ، او لانهم قصروا انظارهم على الدنيا فلا يتصورون
راحة بعدها ولا لذة في غيرها ، والكلام غير منتظم - كما يرى ابن ابي
الحديد - لان الرضي يلتقط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام ، ويرى
الشيخ محمد عبده ان الكلام ملتئم ، فقال : انه لا يجد راحة في الموت حيث
لم يهيء من العمل ما يكسبه السعادة بعد الموت ، وقال انما ذلك اي
شعور الانسان بخيفة ما بعد الموت بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة
الفرور ، وتبعته الى خير العمل ، ثم اخذ يبين الوسيلة الى المنجاة مما
يخشاه القلب ، وتتوجس منه النفس وانها التمسك بكتاب الله الخ قال :
وبذلك التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين اه ملخصا .

(٢) الغل : الحقد والدمن جمع دمنة - وهي في هذا الموضع - الحقد
ايضا .

عَلَى دِمْنِكُمْ . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمْالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ
فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ . لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ^(١) ، وَتَاهَ
بِكُمُ الْغُرُورُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

قال ابن أبي الحديد هذه فصول التقطها الرضي من خطبة طويلة على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام ، وإن كان كل كلامه فصيحاً ولكن كل واحد له هوى ومغبة لشيء مخصوص (وضروب الناس عشاق ضروباً)^(٢) وهذا نص صريح منه بأن ما روى في هذا الموضع من خطبة طويلة ولكنه لم يشر الى موضعها من كتب العلماء ، والواقع أنك بأدنى تأمل للمروي هنا تعرف ذلك ، ولذا أن الرضي رحمه الله أكثر من كلمة (منها) في هذا المختار وقد روى الآمدي في (الفرر) ص ٨٨ الفصل الثالث بمغايرة طفيفة يمكننا القول معها أنه لم يأخذها عن (نهج البلاغة) .

١٣٢ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ شَاوَرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ
الْحَوْزَةِ^(٣) ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ . وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ
لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ ، حَيٌّ

(١) الخبيث : الشيطان ، واستهام بكم : ذهب من هام على وجهه لا يدري اين يتوجه .

(٢) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٣٨٦ .

(٣) الحوزة : الناحية ، والمراد بها بيضة الاسلام

لَا يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتَى تَسِرَ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ
بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبَ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً دُونَ
أَقْصَى بِلَادِهِمْ ١ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ .
فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مُحَرِّبًا ، وَأَخْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ
وَالنَّصِيحَةِ ٢ ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنْ
الْأُخْرَى كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ ٣ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

في « نهاية ابن الأثير » ج ٤ ص ٢٥٠ مادة (كنف) قال : ومنه حديث
علي : « لا تكون للمسلمين كانفة » لاحظ أن روايته « لا تكون » ورواية
الرضي « لا تكن » .

رَوَاهُ أَبُو عبيد في كتاب (الأموال) : ص ٢٥٢ ، كما نقل ابن أبي الحديد
وجوه الرواية في هذه المشورة مما يدل على أنه عشر عليها في غير (النهج) (٤) .
قال الشيخ ميشم البحراني : ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلها إلى
المسلمين ، وازوى خالد بن الوليد ولازم بيته - أي بعد عزله - وصعب
الأمر على أبي عبيدة بن الجراح وشرحبيط بن حسنة وغيرهما من أمراء سرايا
الإسلام (٥) .

-
- (١) كانفة : أي جهة عاصمة ، وتروى « كهفة » أي كهف يلجأ إليه .
(٢) رجل محرب - بفتح الراء - صاحب حروب ، وتحفزه تدفعه ،
وأهل البلاء : أهل الخبرة بالحرب مع الصدق في القصد .
(٣) الردء : الملجأ ، والمثابة : المرجع
(٤) انظر الشرح م ٢ ص ٣٨٩ فما بعدها .
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميشم ج ٣ ص ١٦٢

١٣٣ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّبِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ وَقَعَتْ مُشَاجَرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ فَقَالَ الْمَغِيرَةُ
ابْنُ الْأَخْنَسِ لِعُثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لِلْمَغِيرَةِ :

يَا بَنَ اللَّعِينِ الْآبَتِرِ ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا
وَلَا فَرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ
نَاصِرُهُ ، وَلَا فَاَمَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ . أَخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ
اللَّهُ نَوَاكًا ، ثُمَّ أَبْلِغْ جُهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ
أَبْقَيْتَ .

كانت النسخة التي عليها تعليقات الإمام الفقيه الشيخ محمد الحسين آل
كاشف الغطاء وهي النسخة المطبوعة ببغروت سنة ١٣٠٧ هـ عليها تعليقات
الإمام الشيخ محمد عبده لأول مرة قد أسقط التمهيد الذي وضعه الشريف
الرضي أمام هذا الكلام فأعاده كاشف الغطاء بقلمه الشريف ، وعلق على ذلك
بقوله : « وما أدري سبب هذه التحريفات والاسقاط ؟ » .

والمغيرة هذا هو ابن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني رهرة واسمه
أبي ، وإنما سمي الأخنس لأنه رجع ببني زهرة لما بلغه أن أبا سفيان نجس

(١) الابتر : من انقطع من الخيرات ، وقوله والشجرة التي لا أصل
لها الخ لأنه كان مطعوناً في نسبه ، والنوى - هنا - المنزل ، وأبلغ جهدك :
افعل ما تستطيع ويقال : أبقيت على فلان إذا راعيته ورحمته .

بالعير فقالوا : خنس الأخنس ببني زهرة ، وإنما قال له أمير المؤمنين : (يا ابن اللعين) لأن الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفات قلوبهم الذين أساموا يوم الفتح بالسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه (١) ، وابنه أبو الحكم بن الأخنس ، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم احد كافراً (٢) وهو أخو المغيرة هذا .

وقال ابن عطية : ما ثبت قط أن الأخنس أسلم وعقب ابن حجر على هذا بقوله : لا مانع أن يسلم ثم يرتد ثم رجع إلى الإسلام (٣) .

قال ابن أبي الحديد : واعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ولكن عوانة روى عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن عثمان لما كثرت شكايته من علي عليه السلام أقبل لا يدخل عليه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا شكى اليه علياً فقال له زيد بن ثابت - وكان من شيعته وخاصته - : أفلا أمشي اليه فاخبره بموجدتك فيما يأتي اليك ؟ قال : بلى فأتى اليه زيد ومعه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي - وعداده في بني زهرة وامه عمة عثمان - في جماعة فدخلوا عليه ، فحمد زيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الله قدم لك سلفاً صالحاً في الاسلام ، وجعلك من الرسول في المكان الذي أتت فيه ، فأنت للخير كل الخير أهل ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك ، ووالي هذه الامة فله عليك حقان ، حق الولاية وحق القرابة ، وقد شكنا اليك أن علياً يعرض لي ، ويردّ أمري عليّ ، وقد مشينا اليك نصيحة لك ، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لك .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٩٠ ، والاصابة

ج ١ ص ٣٩

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٢

(٣) الاصابة : ١ ص ٤٠

قال : فحمد علي عليه السلام الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ثم قال :
أما بعد ، فوالله ما أحب الاعتراض ، ولا الرد عليه ، إلا أن يأبى حقاً الله
لا يسعني أن أقول فيه إلا بالحق ، والله لأكفن عنه ما وسعني الكف .

فقال المفيرة — وكان رجلاً وقاحاً^(١) وكان من شيعة عثمان وخلصائه : انك
والله لتكفن عنه أو لتكفن : فانه أقدر عليك منه عليه ! وإنما ارسل
هؤلاء القوم من المسلمين إغراءً لتكون له الحجة عندهم عليك فقال عليه
السلام : يابن اللعين الابتر ... الخ .

فقال له زيد : والله ما جئنا لنكون عليك شهوداً ، ولا ليكون ممثانا
الك حجة ولكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر أن يصلح الله ذات بينكما ،
ويجمع كلمتكما ، ثم دعا له ولعثمان وقام فقاموا معه .

قال ابن أبي الحديد : وهذا الخبر يدل على أن اللفظة (أنت تكفني)
وليس كما ذكره الرضى رحمه الله (أنت تكفيني) لكن الرضى طبق هذه
اللفظة على ما قبلها وهي قوله : (أنا اكفيكه) ولا شبهة أنها رواية
أخرى^(٢) .

ونقل ذلك أحمد بن أعثم الكوفي في (الفتوح) ج ٢ ص ١٦٥ .

١٣٤ — وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ السَّيِّدِ الْأَمْرِ

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ
وَاحِدًا ، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لَأَنْفُسِكُمْ ،

(١) الوقاح : ذو الوقاحة .

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٣٩٠

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لِأَنْصِفَنَّ
الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَا أَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ ١ ، حَتَّى
أُورِدَهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا .

هذا الكلام قاله سلام الله عليه لما تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وحسان بن ثابت ، واسامة ابن زيد - على ما رواه الشعبي - قال لما اعتزل سعد ومن سمينا أمير المؤمنين وتوقفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم بايعتموني على ما يوسع عليه من كان قبلي ، وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا ، فإذا بايعوا فلا خيار لهم ، وإن على الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذهبيعة عامة ، من رغب عنها رغب عن دين الإسلام ، واتبع غير سبيل أهله ، ولم تكن بيعتكم إياي فلتة ... الخ (٢) .

وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر (رض) وإشارة إلى قول عمر (رض) :
« إنما كانتبيعة أبي بكر فلتة ولكن الله وقى شرها » (٣) وقال الهروي في
(الجمع بين الغريبين) : أراد بالفتنة الفجأة ، ومثل هذه البيعة جديرة بأن
تكون مهيبة للشر ، والفتنة فعصم الله من ذلك ووقى ، والفتنة كل شيء فعل
من غير روية ، وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر (٤) .

(١) الخزيمة - بالكسر - حلقة من شعر توضع في أنف البعير يشد بها الزمام .

(٢) ارشاد المفيد : ص ١٤٢

(٣) صحيح البخاري : ٢١٠/٨ « كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، باب رجم الجبلى » .

(٤) النهاية في غريب الحديث : ٤٦٧/٣ مادة (فلت)

١٣٥ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى طلحة والزبير

وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
نَصْفًا ١ . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا هُمْ
سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ
مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا أَلْطَبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ ٢ .
وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، إِنْ مَعِيَ
لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ ، وَإِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ
أَلْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ ، وَالشُّبْهَةُ الْمَغْدِفَةُ ٣ ، وَإِنَّ
الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ، وَقَدْ زَاخَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ ، وَأَنْقَطَعَ

(١) النصف - محرقة - : الانصاف .

(٢) الطلبة - بكسر اللام - : ما طلبته من شيء .

(٣) الحمأ : الطين الاسود كما فسرہ ابن أبي الحديد ، أو الحمأ بالف مقصورة ، قال الشيخ محمد عبده « المراد بالحمأ هنا مطلق القريب والنسيب وهو كناية عن الزبير فإنه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته ، قالوا : وكان النبي أخبر عليا أنه ستبقي عليه فئة فيها بعض أحمائه واحدى زوجاته » اه وقال : ابن أبي الحديد : « فكنى عليه السلام عن الزوجة بالحمة وهي سم العقرب » والشبهة المغدفة : اي الشبهة الظلماء من اغدف الليل اذا اظلم .

لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ ١ ، وَآيَمُ اللَّهِ لَا تُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا
مَاتِحُهُ لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ ، وَلَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي
حَسَنِي ٢ .

(مِنْهُ) فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ عَلَى
أَوْلَادِهَا ٣ ، تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ ، قَبَضْتُ كَفِّي
فَبَسَطْتُموها ، وَنَازَعْتُكُمْ يَدَيَّ فَجَاذَبْتُمُوها اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا
قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَاللَّيْلُ النَّاسَ عَلَيَّ ٤ .
فَاحْلُلْ مَا عَقَّدَا ، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرْهِمَا
الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمِلَا . وَلَقَدْ اسْتَشَبَّتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ ،
وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوُقَاعِ ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا
الْعَافِيَةَ ٥ .

-
- (١) زاح الباطل : ذهب ، ونصابه : مركزه ومحلّه ، والشغب :
تهيج الشر
(٢) لافرطن : لاملان ، والماتح : المستقي ، والعب : شرب الماء بلا مص ،
والحسي : ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج وجمعه احساء
(٣) العود : النوق الحديثات النتاج الواحدة عائد ، والمطافيل جمع
مطفل .
(٤) البا : حرضا
(٥) استشبتهما : طلبت منهما ان يشوبا اي يرجعا ، واستأنيت بهما
من الاناة اي انتظرتهما ، والوقاع - بكسر الواو - مصدر واقعتهن في
الحرب وقاعا . وغمطا النعمة : حقراها .

نقل هذا الكلام ابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمة طلحة بن عبيد الله قال : ومن حديث صالح بن كيسان ، وعبد الله بن نوفل بن مساحق ، والشعبي وابن أبي ليلى بمعنى واحد : أن علياً رضي الله عنه قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل : « إن الله عز وجل فرض الجهاد ، وما صلحت دنيا ولا دين إلا به ، وإني منيت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة ، وأشجع الناس الزبير ، وأطوع الناس في الناس عائشة ، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى ابن منية والله ما أنكروا علي شيئاً منكراً الخ .

وروى مثل ذلك ابن الأثير في (اسد الغابة) ، في ترجمة طلحة أيضاً^(١).

ورواه المفيد في كتاب « الجمل » عن الواقدي^(٢) وابن أبي الحديد عن أبي مخنف^(٣).

وفسر غريبه ابن الأثير في (النهاية) ج ٣/٣١٨ مادة (عوذ) وذكره بوجين « مطافيل » و « مطافل » . وقد أشرنا إلى هذا الكلام في الخطبة (٢٦) .

(١) الاستيعاب : ج ٢ ص ٢١١ و (اسد الغابة) ج ٢ ص ٦١

(٢) الجمل للمفيد : ص ١٤٣

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ١ ص ١٠٢

١٣٦ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّبَاحَةُ

يومي فيها الى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى ١ إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى
الْهَوَى ، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ
عَلَى الرَّأْيِ .

(مِنْهَا) حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا
نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا ، حُلُوءٌ رِضَاعُهَا ، عَلَقَمًا
عَاقِبَتُهَا ٢ . أَلَا وَفِي غَدٍ - وَسَيَّاتِي غَدٍ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ -
يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا ٣
وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كَبِدِهَا ٤ ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ

(١) يعطف الهوى : يقهره ويشنيه .

(٢) النواجذ : أقصى الاسنان والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها ،
والعلقم : المر .

(٣) قد سبق هذا الكلام ذكر طائفة يعود الضمير عليها في « غيرها »
ان الوالى من غيرهم وهو القائم المذكور في هذا الكلام يأخذ عمالهم بمساوى
اعمالهم .

(٤) أفاليد جمع افلاذ وهي القطعة من الكبد ، والمراد كنوز الارض .
وسلما : طوعا .

سَلَامًا مَقَالِيدَهَا ، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ ، وَيُخَيِّي
مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

(مِنْهَا) كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ
فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ ١ ،
وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّمُوسِ . قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَثَقُلَتْ
فِي الْأَرْضِ وَطَاتُهُ . بَعِيدُ الْجَوْلَةِ ، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ .
وَاللَّهُ لِيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى
مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ
حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا ٢ . فَالْزَمُوا
السَّنَنَ الْقَائِمَةَ ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي
عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوءَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي
لَكُمْ طُرْقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ ٣ .

(١) نَعَقَ - بالعَيْنِ المهملة - : صَاحَ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ : قَلَبَهَا يَمِينًا
وَشِمَالًا وَضَوَاحِي كُوفَانَ نَوَاحِي الْكُوفَةِ ، وَالضَّرُوسِ النَّاقَةُ الَّتِي تَعُضُ حَالِبَهَا

(٢) عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا : مَا بَعْدَ مِنْ عَقُولِهَا

(٣) يُسْنِي : يَسْهَلُ ، وَالْعَقْبُ : الْآثَرُ .

أجمع شارحو (نهج البلاغة) على اختلاف مذاهبهم أن المراد بقوله عليه السلام في الفصل الاول « يعطف الهوى على الهدى » الإمام المنتظر ، الموعود به في الخبر والأثر ، ولا شك أنهم رووا ذلك عن غير الرضي ، وأخذوه عن غير (النهج) لأنهم لم يذكر ذلك ولم يشيروا اليه وقد روى أول هذا المختار الآمدي في (الفرر) : ص ٢٩٦ في حرف الياء باللفظ المطلق .

وقال بعض الشارحين إنه عليه السلام وصف بالفصل الثاني قائماً بفتنة وقالوا أنه أراد بذلك عبد الملك بن مروان لأنه نعى بالشام وفحصت راياته بكوفان في قتاله لمصعب بن الزبير وفرش الأرض بجهاجم القتل في هذه الفتنة ، وفي قتال عبد الله بن الزبير بمكة ، وفي فتنة ابن الحجاج ورمى الحجاج بن يوسف وغيره من ولاته فقتلوا خلقاً كثيراً .

وأقول لعله صلوات الله عليه يقصد جباراً آخر لم تلده ام الدهر .

١٣٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وقت الشورى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ،
وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي ، عَسَى
أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضِي فِيهِ
السُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ
أَيُّمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

رواه الطبري في (التاريخ) ج ٥ ص ٣٩ في حوادث سنة ٢٣ ،
وقال ابن أبي الحديد : هذا من جملة كلام قاله عليه السلام لأهل الشورى
بعد وفاة عمر ^(١) .
وسياتي في مصادر الكلمات القصار أن الحكمة (٢١) تابعة لهذا الكلام .

١٣٨ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في النهي عن عيب الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي
السَّلَامَةِ ٢ ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ،
وَيَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَاجِزُ لَهُمْ عَنْهُمْ ،
فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيْرَهُ بِبَلَوَاهُ ، أَمَا
ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ
الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ ، وَكَيْفَ يَذْمُهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ
مِثْلَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بَعِيْنَهُ فَقَدْ
عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَآيُمُ اللَّهَ لَيْسَ
لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجَرَّاتِهِ

(١) شرح النهج م ٢ : ٤٠٩

(٢) أي الدين احسن الله صنعه اليهم بالسلامة من الانام .

عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرَ .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَهُ
مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ
مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ
لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ
عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ غَيْرُهُ .

روى هذا الكلام صاحب (الفرر) في موضعين ص ١٣٥ و ٣٥٩ وفي بعض
روايته هكذا : (أن يرحوا أهل المعصية والذنوب) مع أن في « النهج »
(أهل الذنوب والمعصية) وفيها (ويكون الشكر على معافاتهم) وليس فيه
(على معافاتهم) وفيها (لا تعجل في عيب عبد مذنب) وفيه (لا تعجل في
عيب أحد) فالتقديم والتأخير والاختلاف البسيط يدل على انفراد صاحب
(الفرر) بمصدر .

١٣٩ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ ،
وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ ، أَمَا
إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَّ وَتُخْطِي السَّهَامُ ، وَيَحِيلُ الْكَلَامُ ١ ،

(١) يحيل الكلام : يكون باطلا يقال احوال الرجل في منطقته اذا تكلم
بالمحال الذي لا حقيقة له ، ويبور : يفسد .

وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ
بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ (فَسِئِلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا
بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ) : الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ
وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ .

رواه القاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ١٣٩ .

وجاء في كتاب « عين الأدب والسياسة ، وزينة الحسب والرئاسة » لأبي
الحسن علي بن هذيل ص ٢١٥ ما يأتي :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وجهه : « من علم من أخيه مروءة
فلا يقبل فيه أقاويل الرجال ، ومن حسنت علانيته فنحن لسريته أرجى ،
ألا لا يردن يقينكم شكاً » فقال المسيب بن نجبة ^(١) ومن هو الذي يرد يقينه
شكاً ؟ قال : « هو إذا علم من أخيه المروءة الجميلة ثم قبل فيه أقاويل
الناس ، ألا وقد يرمي الرامي وقد تزل السهام ، ويحال الكلام على طريق
الشنآن ، والباطل يبور ، والله شهيد ، ألا وان بين الحق والباطل أربع
أصابع ، ووضع يده بين أذنه وعينه وقال : الحق أن تقول : رأيت بعيني
والباطل : أن تقول سمعت بأذني » اهـ .

(١) المسيب بن نجبة الفزاري من قدماء التابعين وكبارهم ، وكان من
وجوه أصحاب علي عليه السلام كان من قادة التوابين للطلب بثأر الحسين
عليه السلام وكان أميرهم بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعي لما التقوا
بجنود عبيد الله بن زياد في عين الوردة ولما قتل سليمان أخذ الراية وترحم
على سليمان وحرض أصحابه على القتال وتقدم بالراية وكر على القوم وأبلا
بلاء حسنا حتى استشهد رحمه الله تعالى .

فذكر المسيب في هذه الرواية والاختلاف بينها وبين رواية (النهج) يدلان بوضوح أنها لم تنقل عنه .

وفي (الخصال) للصدوق : ج ١ ص ١١٠ (باب الأربعة) بسنده عن ميسر ابن عبد العزيز قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول . سئل أمير المؤمنين عليه السلام : كم بين الحق والباطل ؟ فقال : أربع أصابع ، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على أذنه وعينه فقال : ما رأته عينك فهو الحق ، وما سمعته أذنك فأكثره باطل .

وفي « العقد الفريد » : ج ٦ ص ٢٦٨ عن الأصمعي قال سألت علي بن أبي طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : الإيمان كل ما سمعته أذنك وصدقته قلبك ، واليقين ما رأته عينك فأيقن به قلبك ، وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع .

فيظهر من ذلك أنه عليه السلام قال هذا أكثر من مرة وبصور مختلفة .

١٤٠ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنْ الْحِظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مُحَمَّدٌ أَلَلَّامُ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ ، مَا دَامَ مُنْعَمًا عَلَيْهِمْ ، مَا أَجُودَ يَدُهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ ! . فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ،

وَلْيُفَكِّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ ،
وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ،
فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرَكُ
فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هذا الكلام تابع لكلامه عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء وقد
مر برقم (١٢٤) وقد استعرضنا مصادره هناك ، وقد أشرنا إلى ذلك والله
ولي التوفيق .

١٤١ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ
مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحْتَ تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا
تَوْجَعاً لَكُمْ ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ ، وَلَا لَخَيْرٍ تَرْجَوَانِهِ
مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ أُمِرْتَا بِمَنَافِعِكُمُ فَاطَاعَتَا ، وَأَقِيمَتَا عَلَى
حُدُودِ مَصَالِحِكُمُ فَتَمَامَتَا .

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ
الشَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ،

لِيَتُوبَ تَائِبٌ ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ،
وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا
لِدُرُورِ الرِّزْقِ ، وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ : « أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ۝ ۱ » فَارْحَمَ اللَّهُ أَمْرًا أَسْتَقْبِلَ
تَوْبَتَهُ ، وَأَسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْثَانِ ،
وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ،
وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ ،
اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، وَلَا
تُهْلِكْنَا بِالسَّنِينَ ۲ ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو
إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ الْجَأْتِنَا الْمَضَائِقُ
الْوَعْرَةُ ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ ۳ ، وَأَعْيَتْنَا

(۱) نوح : ۱۱

(۲) جمع سنة - محرقة - بمعنى الجذب والقحط .

(۳) أجاءته اليه : الجأته .

الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلَاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعَبَةُ .
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلَا تَقْلِبْنَا
 وَاجِمِينَ ١ ، وَلَا تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا ٢ ، وَلَا تُقَايِسْنَا
 بِأَعْمَالِنَا ، اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ ، وَبَرِّكَتَكَ ،
 وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ . وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةٍ مَرْوِيَةٍ مُعْشَبَةٍ
 تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُخَيِّبُ بِهَا مَا قَدْ مَاتَ . نَافِعَةُ
 الْحَيَاةِ ٣ ، كَثِيرَةُ الْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا الْقِيَعَانَ ٤ ،
 وَتَسِيلُ الْبُطْنَانَ ٥ . وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ ، وَتُرْخِصُ
 الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

رواها الديلمي في (أعلام النبوة) عن الصادق عليه السلام ، قال : قال
 أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الله تعالى ابتلى عباده عند ظهور الأعمال
 السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات ... الخ (٦) .

-
- (١) واجمين : كاسفين حزينين .
 (٢) لا تخاطبنا ، أي لا تدعنا باسم المذنبين ولا تجعل فعلك بنا
 مناسبا لأعمالنا .
 (٣) الحيا : الخصب والمطر .
 (٤) القيعان جمع قاع : الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال
 والأكام .
 (٥) البطنان جمع بطن : بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق
 (٦) مستدرج الوسائل : ج ١ : ٤٣٩

وفي « النهاية الأثرية » ج ١/١٣٧ مادة (بطن) قال : « البطنان جمع بطن ، ومنه حديث علي في الاستسقاء : « تروي به البطنان ، وتسيل به القيحان » .

١٤٢ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ . فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخُلُقَ كَشْفَةً ١ ، لَا أَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً ٢ . أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاكِسُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى . إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ

(١) كشف الخلق : علم حالهم في جميع اطوارهم

(٢) بواء مصدر باء فلان بفلان أي قتل به ، والعقاب قصاص

قَرِيشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ . لَا تَصْلُحُ
عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

(مِنْهَا) آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكَوْا
صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا ١ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ
صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالَفَهُ ، وَبَسِيَ بِهِ وَوَافَقَهُ ٢ ، حَتَّى
شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصَبِغَتْ بِهِ خِلَائِقُهُ ٣ . ثُمَّ أَقْبَلَ
مُزِيدًا كَالْتِيَارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي
الْهَشِيمِ لَا يَحْفَلُ مَا حَرَّقَ ٤ . أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ
بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَبْصَارِ اللَّامِحَةِ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى .
أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُودَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ .
أَزْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ ، وَتَشَاحُوا عَلَى الْحَرَامِ . وَرَفَعَ
لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ،

(١) الأجن : الماء المتغير اللون والطعم

(٢) بسىء به كفرح - استأنس به

(٣) أي صار طبعاً له لأن العادة طبيعة ثانية .

(٤) مزبد : أي ذو زبد وهو ما يخرج من الفم كالرغوة ، يضرب ذلك
مثلاً للرجل الصائل المفتحم ، والتيار : معظم اللجة ، والهشيم : دقاق
الحطب ، ولا يحفل : ولا يبالي .

وَأَقْبِلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا
وَوَلَّوْا . وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا .

في رواية الآمدي زيادة على رواية الرضي بعد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وبغياً علينا » وهي قوله عليه السلام : « وحسداً لنا » وفيها زيادة أيضاً بعد قوله سلام الله عليه : « ويستجلى العمى » كلمة « لا بهم » وزيادة كلمة « أين » قبل قوله صلوات الله عليه : « الأبصار اللاحمة » مع نقصان كلمة « الى » كما قدم « أين القلوب التي وهبت » الله على قوله عليه السلام : « أين القلوب المستصبة بمصابيح الهدى » وفي التقديم والتأخير والزيادة والنقصان إثبات أن للآمدي مصدراً غير (النهج) .

١٤٣ - وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ
تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَایَا ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ
أَكْلَةٍ غَصَصٌ . لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ،
وَلَا يَعْمُرُ مَعْمَرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدمٍ آخَرَ مِنْ
أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادٍ مَا قَبْلَهَا

(١) الغرض : الهدف ، وتنتضل تتراعى فيه للسبق كأنه جعل المنايا.
اشخاصا تتناضل بالسهام ، من الناس من يموت قتلا ، ومنهم من يموت
غرقا ، ومنهم من يتردى في بئر .. وهكذا .

مِنْ رِزْقِهِ ، وَلَا يُخَيِّبُ لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا
يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ . وَلَا تَقُومُ
لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ ١ . وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ
نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ .

(مِنْهَا) وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا
الْبِدَعَ وَالْزَمُوا الْمُهَيَّعَ ٢ . إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا ٣ .
وإنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا .

روى طرفاً من هذه الخطبة ابن شعبة في (تحف العقول) ضمن خطبته
عليه السلام المعروفة بالوسيلة ، ورواها المفيد في (الارشاد) ص ١٣٩ بتفاوت
يسير ، ورواها الطوسي في (الأمالي) ج ١ ص ٢٢٠ وسيأتي الكلام
عليها في الحكمة (١٩١) إن شاء الله تعالى .

وقد أخذ أبو العتاهية بعض معاني هذا الكلام فقال :

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| كل حياة إلى ممات | وكل ذي جدة يحول |
| كيف بقاء الفروع يوماً | وقد ذوت قبلها الاصول؟ |

(١) تحيي له ذرية ويموت منه النشاط والهمة ، والشبيبة والقوة ،
ولا تقوم له نابتة . الخ . اشارة الى انه اذا ولد الاحفاد مات الاجداد .

(٢) المهيع : الطريق الواضح

(٣) عوازم الامور : المقطوع بصحتها .

١٤٤ - قَوْلُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد استشاره عمر بن الخطاب في شخوصه

لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ
وَلَا قَلَّةٍ ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي
أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ،
وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ ، وَنَاصِرُ
جُنْدِهِ ، وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ
يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ١ ، فَإِنْ أَنْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ،
ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَائِهِ أَبَدًا ٢ ، وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ
كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَعَزِيزُونَ
بِالْاجْتِمَاعِ ، فَكُنْ قُطْبًا ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ،
وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ
هَذِهِ الْأَرْضِ أَنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا

(١) القيم بالامر : القائم به ، والنظام : السلك ينظم فيه الخرز .

(٢) الحذاير : اعالي الشيء ونواحيه .

وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاعَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ
أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ١ .

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ
الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحَتُمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ
لِكَلْبِهِمْ ٢ عَلَيْكَ ، وَطَمَعَهُمْ فِيكَ ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ
مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا
يَكْرَهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ
نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ
وَالْمَعُونَةِ .

ذكر طرفاً من هذه المشورة أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) :
ص ١٣٤ ورواها أحمد بن أعثم الكوفي في « الفتوح » ج ٣٧/٢ والطبري في
« التاريخ » ج ٤ ص ٢٣٧ وما بعدها في حوادث سنة ٢٧ وفيه : أن عمر لما
لما أراد أن يفزو العجم وجيوش كسرى وهي مجمعة بنهاوند^(٣) استشار
الصحابية وقال أوجزوا في القول ، ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور واعلموا أن
هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام طلحة بن عبيد الله - وكان من

-
- (١) شخصت : خرجت وانتقضت : فسدت ، والعورات جمع عورة ،
والمراد بها الخلل من قولهم : أعور الفارس إذا بدا فيه خلل للطنن والضرب
(٢) الكلب - بالتحريك - الصعوبة والشدة
(٣) نهاوند - بفتح النون - بلدة في بلاد فارس تقع قبلة همدان

خطباء أصحاب رسول الله ﷺ - فتشهد ثم قال : « أما بعد ، يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الامور، وعجمتك البسلايا، واحتنكتك التجارب، وأنت وشأنك ، وأنت ورأيك لا تذبوا في يديك ، ولا تكلّ عليك ، إليك هذا الأمر ، فمرنا نطع ، وادعنا نجب ، واحمنا نركب ، وفدنا نفد ، وقدنا ننقد ، فانك ولي هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت ، واختبرت فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء لك إلا عن خيار . »

ثم جلس فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده فتكلموا فقام عثمان فتشهد وقال :

« أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من بينهم ، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فانك إذا سرت بن معك وعندك قلّ في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعز عزاً وأكثر ، يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تمتنع من الدنيا بعز ، ولا تلوذ منها بحريز ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنهم ثم جلس . »

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا فقام علي بن أبي طالب فقال : وأما بعد - يا أمير المؤمنين - فانك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من بينهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أمم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات ، أقرر هؤلاء في أمصارهم . واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق ، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم ، إن الأعاجم إن ينظروا إليك

غداً يقولوا هذا أصل العرب ... » الخ .

كما ذكر الطبري هذه المشورة قبل ما نقلناه بقليل قال : فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : « ... ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة ... » الخ

وقال ابن أبي الحديد : واعلم أن هذا الكلام قد اختلف في الحال التي قاله فيها لعمر ، ف قيل : قاله في غزاة القادسية ، وقيل : في غزاة نهاوند وإلى هذا القول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبري في « التاريخ الكبير » وإلى القول الأول ذهب المدائني في كتاب « الفتوح »^(١) .

وقال الشيخ المفيد : وما جاء عنه عليه السلام في صواب الرأي وإرشاد القوم إلى ما فيه مصالحهم ، وتداركه ما كان يفسد بهم لولا تنبيهه على وجه الرأي ما حدث به شبانة بن سواد عن أبي بكر الهذلي قال : سمعت رجلاً من علمائنا يقول : تكاثبت الأعاجم من أهل ممدان وأهل الري وأصبهان وقومس ونهاوند وأرسل بعضهم إلى بعض : إن ملك العرب الذي جاء بدينهم ، وأخرج كتبهم قد هلك - يعنون النبي ﷺ - وأنه ملكهم من بعده رجل ملكاً يسيراً ثم هلك - يعنون أبا بكر - ثم قام بعده آخر طال عمره حتى تناولكم في بلادكم وأغزاكم جنوده - يعنون عمر بن الخطاب - وأنه غير منته عنكم حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده ، وتخرجوا إليه فتغزوه في بلاده ، فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليه ، فلما انتهى الخبر إلى من بالكوفة من المسلمين أنهوه إلى عمر بن الخطاب فلما انتهى إليه الخبر فزع لذلك فزعاً شديداً ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشر المهاجرين والأنصار إن الشيطان قد جمع لكم جموعاً ، وأقبل ليطفئ بها نور الله ، إلا إن أهل ممدان وأهل أصبهان ، وأهل الري وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها قد تعاهدوا وتعاقدوا أن يخرجوا من

(١) نهج البلاغة : م ٢ ص ٤٢٥

بلادهم اخوانكم من المسلمين ، ويخرجوا اليكم ويفزوكم في بلادكم فأشيروا عليّ وأوجزوا ولا تطنبوا في القول فان هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، ثم ذكر ما أشار به طلحة وعثمان وعلي كما رواه الطبري - ثم علق المفيد على ذلك بقوله : فانظروا - أيديكم الله - إلى هذا الموقف الذي ينشأ بفضل الرأي إذ تنازعه أولوا الأبواب والعلم ، وتأملوا التوفيق الذي قرب الله به أمير المؤمنين عليه السلام في الأحوال كلها ، وفزع القوم اليه في المضل من الامور ^(١) .

١٤٥ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، يَقْرَأَنَّ قَدْ بَيْنَهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ ، فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطَوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ ٢ ، وَأَخْتَصَدَ مَنْ أَخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ ، وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ

(١) الإرشاد : ص ١٢٠

(٢) المثلاث - بفتح فضم - العقوبات

مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا
أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ
الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ،
وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ،
وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ ، فَالْكِتَابُ يَوْمُئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ
طَرِيدَانِ ٢ ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا
يُؤْوِيهِمَا مُوْوٍ ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي
النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ، لِأَنَّ الضَّلَالَةَ
لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى
الْفُرْقَةِ ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ ، كَانَتْهُمْ أُمَّةُ الْكِتَابِ
وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا أَسْمُهُ ،
وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ ٣ . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا

-
- (١) السلعة البائرة : الكاسدة ، وانفق منه : اروج منه .
(٢) يطردهما أهل الباطل ومع ذلك فانهما لا يفترقان
(٣) زبره : كتابته أي لا يعرفون منه الا انهم يقرؤونه ويكتبونه .

بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ ، وَسَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً ۙ
وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .

وَأِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ ، وَتَغَيَّبِ
أَجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرِدُّ عَنْهُ
الْمَعْدَرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ
وَالنَّقْمَةُ ۚ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ ، وَمَنْ اتَّخَذَ
قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ ،
وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ . وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ
أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ
يَتَوَاضِعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ
يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنْ

(١) مثلوا بهم — ان كانت بتخفيف المثلثة — فمعناها نكلوا بهم وهم
أحياء وان كانت بالتشديد فالمعنى شوها أجسامهم بعد الموت ، وقال الشيخ
محمد عبده : مثلوا : أي شنعوا ، والفريّة : الكذب
(٢) الموعود : الموت ، والقارعة : الداهية .

الْأَجْرَبِ ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السُّقْمِ ١ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ
لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَّهُ ، وَلَنْ
تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ ،
وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ . فَالْتَمِسُوا
ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عِيشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ .
هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَنَتُهُمْ
عَنْ مَنَظِقِهِمْ ، وَظَاهَرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ
الَّذِينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ،
وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

رواها قبل الرضي الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٨٦ بصورة أبسط
بما في هنا ، واختلاف يسير في بعض الكلمات .
وقد ضمن الحسن السبط سلام الله عليه كثيراً من خطبة أبيه صلوات الله
عليه هذه في بعض حكمه (٢) .

وسأتي أن الخطبة (٢٣٧) فصل من هذه الخطبة كما ستأتي الإشارة
إليها في باب الكلمات القصار في الحكمة (٩٨) .

(١) الباري : المعافى من المرض .

(٢) انظر (تحف العقول) ص : ١٦٣

١٤٦ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ
لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ .
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ ١ . وَعَمَّا قَلِيلٍ
يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ . وَاللَّهُ لَشَنِّ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ
لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا . قَدْ
قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ ٢ ؟ فَقَدْ سُنَّتْ
لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ
نَاكثٍ شُبْهَةٌ . وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعٍ اللَّذَمِ ٣ يَسْمَعُ
النَّاعِي وَيَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ .

هذه الخطبة رواها قبل الرضي أبو مخنف في كتاب (الجمل) على ما
حكاه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ١ ص ٧٨ ، ورواها بعد الرضي
المفيد في (الارشاد) ص ١٤٢ بصورة تختلف مع رواية الشريف الرضي .

- (١) ضمير التثنية راجع الى طلحة والزبير ، ويمتنان : يتوسلان ،
ويمدان : يتوصلان والضب : الحقد .
- (٢) المحتسبون : طالبوا الحسبة وهي الاجر
- (٣) الضلة : الضلالة ، ومستمع اللذم : التضعع ، وقد مر المعنى في
الخطبة (٦)

١٤٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ،
وَالْأَجَلَ مَسَاقُ النَّفْسِ . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ ، كَمْ
أُطْرِدَتْ الْأَيَّامُ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكُونٍ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ
إِلَّا إِخْفَاءَهُ ، هَيْهَاتَ . عَلِمْتُ مَخْزُونٌ ، أَمَّا وَصِيَّتِي :
فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا
هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا ٢ .
حَمَلْتُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ
رَبُّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَوِيمٌ ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ . أَنَا بِالْأَمْسِ
صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا مَفَارِقُكُمْ ،
غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ .

إِنْ تَشُبَّتِ الْوُطَاةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ ، وَإِنْ تَدَحَضِ

(١) اي الامر الذي تساق اليه وتنتهي عنده .

(٢) اي برئتم من الذم ما لم تشردوا اي تنفروا وتميلوا عن الحق .
وذم مرفوع بالفاعلية

الْقَدَمُ ١ فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَبَ رِيَّاحٌ ،
وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتْلَفَقُهَا ، وَعَفَا
فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا ٢ ، وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمُ
بَدَنِي أَيَّاماً ، وَسَتُعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً ٣ : سَاكِنَةٌ بَعْدَ
حَرَكَ ، وَصَامِتَةٌ بَعْدَ نَطُوقٍ ، لِيَعْظَكُمْ هُدُوءِي ، وَخَفُوتُ
إِطْرَاقِي ٤ ، وَسُكُونُ أَطْرَاقِي ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ
مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ ، وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ ، وَدَاعِيَكُمُ
وَدَاعُ أَمْرِي ٥ مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي ٥ ، غَدَا تَرَوْنَ أَيَّامِي ،
وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ
مَكَانِي ، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي .

سيأتي الكلام على مصادر هذا الكلام في باب (الكتب) برقم ٢٣ إن شاء الله تعالى .

-
- (١) يريد بثبات الوطأة : معاناته من جرحه ، وتدحض : تزل .
(٢) الأفياء جمع فيء وهو الظل ، والمتلفق : المنضم بعضه الى بعض ، وعفا : درس وذهب ، ومخطها : ما خطته في الارض ، وضمير متلفقها للغمام ، وضمير مخطها للرياح .
(٣) اي خالية من الروح
(٤) خفوت : سكون ، واطراقه : ارخام عينيه ، واطرافه : يداه ، ورأسه ، ورجلاه .
(٥) وداعيكم اي وداعي لكم ، وتروى « ودعتكم » ومرصد : منتظر ، والتلاق : لقاء الله .

١٤٨ - وَمِنْ خُطْبَتَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يومي فيها الى ذكر الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشَمَلاً طَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغِيِّ ، وَتَرَكَا
لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ ،
وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ
بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْهُ ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمُ
مِنْ تَبَاشِيرِ غَدَا ، يَا قَوْمِ هَذَا إِبَانُ وَرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ ٢ ،
وَدُنُو مِنْ طُلُوعِ مَا لَا تَعْرِفُونَ ، أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا
يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ
الصَّالِحِينَ لِيَحِلَّ فِيهَا رِبْقاً ٣ ، وَيَعْتَقَ رِقّاً ، وَيَصْذَعَ
شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً ٤ ، فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا
يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ ٥ وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ ، ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ
فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ ٦ . تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ

(١) تبشير الصبح : اوائله

(٢) ابان - بكسر فتشديد - وقت

(٣) الربق : الحبال المعقدة وتقدم معناها غير مرة

(٤) اي يفرق جماعة من جماعات الضلال ، ويجمع ما تفرق من

كلمة اهل الهدى والايمان .

(٥) في سترة اي استتار ، والقائف من يقفو الاثر فيعرف صاحبه .

(٦) القين الحداد ، والنصل حدة السيف والسهم والسكين ونحوها

أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْفِقُونَ
كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ ١ .

(مِنْهَا) وَطَالَ الْأَمَدُ ٢ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ،
وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ ٣ ، حَتَّى إِذَا أَخْلَوْ لِقَ الْأَجَلِ ،
وَاسْتَرَا حَقَّ قَوْمٍ إِلَى الْفِتَنِ ، وَأَسْأَلُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ ،
وَلَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يَسْتَغْظَمُوا بِذَلِكَ
أَنْفُسَهُمْ فِي الْحَقِّ ، حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ أَنْقِطَاعَ
مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ ه ، وَدَانُوا
لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعْظَمِهِمْ .

(مِنْهَا) حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

-
- (١) الغبوق : الشرب مساء والصبح : الشرب صباحا
(٢) وطال بهم . الخ هذا الفصل يقتضي أنه متصل بكلام لم يذكره
الرضي رحمه الله في وصف قوم من أهل الضلال .
(٣) الغير - بكسر ففتح - تقلبات الدهر ونوائبه .
(٤) اخلوا الاجل : قارب أمرهم الانتهاء ، واستراح . الخ اي
استراحوا لانشغال القوم ببعض ببعض بالفتن ، ورفعوا أيديهم عن تهيج
الحرب ، والكلام استعارة من القح الفحل الناقة والضماير في « يمنوا »
وما قبلها للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب .
(هـ) يريد أظهروا عقيدتهم داعين إليها قال الشيخ محمد عبده : من
الطف انواع التمثيل .

وَأَلَيْهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمْ السَّبِيلُ ،
وَاتَّكَلُّوا عَلَى الْوَلَائِجِ ١ وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا
السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمُودَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ
أَسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ٢ ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ،
وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ . قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ ٣ ،
وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : مِنْ مُنْقَطِعِ
إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقِ لِبَلَدَيْنِ مُبَايِنٍ .

روى الطبري في (المسترشد) ص ٧٤ فقرات من وآخر هذه الخطبة
باختلاف في بعض الألفاظ ، ويظهر من رواية الطبري أن هذه الخطبة طويلة
لأنه جاء في روايته فصول لم يروها الرضي ولأنه قال في أول روايته لما رواه
وقال عليه السلام أيضاً في خطبته ... الخ .

١٤٩ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَالْإِعْتِصَامِ

- (١) غالتهم : أهلكتهم ، والسبل الطرق ، والمراد بها اختلاف الآراء ،
والولائج جمع وليجة وهي البطانة يتخذها الإنسان لنفسه .
(٢) المراد من كل ما ذكر أنهم نقلوا الأمر عن أهل البيت ووضعه في
غير موضعه .
(٣) الضارب : الداخل ، والمراد بالغمرة الجهل والضلال ، وما رواه
اضطربوا .

مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ ١ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيْبُهُ وَصَفْوَتُهُ ، لَا
يُوَازِي فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ ، أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ
بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةَ ، وَالْجَهَالَةَ الْغَالِبَةَ ، وَالْجَفْوَةَ
الْجَافِيَةَ ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ
الْحَكِيمَ ، يَخَيُّونَ عَلَى فِتْرَةٍ ٣ ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ ،
ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدْ أَقْتَرَبَتْ ،
فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقِ النِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا
فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ ٣ ، وَأَعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ
جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ
رَحَاهَا ، تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ ، وَتَتَوَلَّى إِلَى فَطَاعَةٍ

-
- (١) مداحره ما يدحر بها أي يطرد ، ومزاجره ما يزجر به أي يمنع ،
وحبائله : مكائده وأشراكه ، ومخاتله : ما يختل بها أي يخدع .
(٢) لا يوازي : لا يساوي ، والجفوة الجافية : غلظ الطبع ، وبلادة
الفهم ، والفترة : انقطاع الوحي بين النبوتين .
(٣) أغراض : أهداف ، وسكرات النعمة : ما تحدثه النعمة من
الافئلة المشابهة للسكر والبوائق : الدواهي ، والقتام : الغبار والعشوة :
ركوب الامر على غير بينة .
(٤) اعوجاج الفتنة : عدولها عن المنهج ، وكنى عن ظهور المستور
الخفي بالجنين ، وكنى عن استحكام الفتنة بانتصاب قطبها ... الخ .

جَلِيَّة ١ . شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغُلَامِ ، وَآثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ ٢
تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ
مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ ، وَيَتَكَالَبُونَ
عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ ٣ ، عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ
الْمَتَّبِعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ ، فَيَتَزَايِلُونَ بِالْبَغْضَاءِ ٤ ،
وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ الْلِقَاءِ ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ
الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّخُوفِ ٥ ، فَتَرْيِغُ قُلُوبُ
بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالُ بَعْدَ سَلَامَةٍ ، وَتَخْتَلِفُ
الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا ٦ ،

-
- (١) تبدأ في مدارج .. الخ أي تبدو يسيرة ثم تصير الى فضاغة أي
شدة وشناعة .
- (٢) شباب الفلام - بكسر الشين - : لعبه ومرحه ، والسلام جمع
سلمة - بكسر اللام - وهي الحجارة أي أن هذه الفتنة حين تقوم يمرحون
فيها ويفرحون ثم تكون آثارها فيهم كآثر الحجارة في الرض والتحطم .
- (٣) تتوارثها الظلمة أي يأخذها الخلف بعهد من السلف ، وجيفة
مريحة أي منتنة قد ظهر ريحها .
- (٤) يتزايلون : ينفرقون
- (٥) طاعها : أولها ، ورجوف : مرتجفة أي مضطربة ، والقاصمة :
المحطمة : والزخوف الزاحفة ، تشبها لها بزحف الدبى على الزرع .
- (٦) وتريغ تنحرف ، ونجومها : ظهورها ، أي يضلون بعد هدى ،
ويكفرون بعد إيمان .

مِنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتُهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتُهُ ،
 يَتَكَادُمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ ١ . قَدْ أَضْطَرَبَ
 مَعْقُودُ الْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ ، تَغِيضُ فِيهَا
 الْحِكْمَةُ ٢ ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلْمَةُ ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ
 بِمَسْحَلِهَا ، وَتَرْضُضُهُمْ بِكَلْكَلِهَا ٣ ، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا
 الْوَحْدَانُ ٤ ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ . تَرْدُ بِمَرٍّ
 الْقَضَاءُ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدَّمَاءِ ٥ ، وَتَشْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ ،
 وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ، وَتُدْبِرُهَا
 الْأَرْجَاسُ ٦ ، مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ٧ ، تُقَطِّعُ
 فِيهَا الْأَرْحَامُ ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ، بَرِيهَا سَقِيمٌ ،
 وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ .

-
- (١) الكدم : العض ، والعانة : القطيع من حمر الوحش جمعها عون
 (٢) تغيض : تنقص وتغور .
 (٣) المسحل المبرد : والكلكل : الصدر .
 (٤) الوجدان : جمع واحد .
 (٥) الدم العبيط : الطري الخالص .
 (٦) الاكياس جمع كيس - كخير - : العاقل والارجاس جمع رجس
 وهو النجس .
 (٧) مرعاد : مبراق : أي ذات تهديد ووعيد اويجوز أن يريد صوت
 الاسلحة وبريقها وكاشفة عن ساق ، اي عن شدة ومشقة .

(مِنْهَا) بَيْنَ قَتِيلٍ مَظْلُومٍ ١ ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ،
يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ بِغُرُورِ الْإِيمَانِ ٢ ، فَلَا تَكُونُوا
أَنْصَابَ الْفِتَنِ ٣ وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ ، وَالْزُمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ
حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ، وَأَقْدَمُوا
عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ، وَاتَّقُوا
مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ ، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ
لُعْقَ الْحَرَامِ ٤ ، فَإِنَّكُمْ بَعِينَ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةِ ٥ ،
وَسَهْلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ .

استشهد السيد اليماني رحمه الله في (الطراز) ج ١ ص ٣٣٤ بفقرات منها
بما يختلف قليلاً مع رواية الشريف الرضي ، فروى : « تمتد في مدارج خفية »
والذي في (النهج) « تبدأ » فيقتضي ذلك أن مرجعه فيها غير الرضي .

(١) دم مظلوم : مهدر .

(٢) أي يخدعون بالاقسام ، وبما يتظاهرون به من الإيمان .

(٣) الانصاب : ما ينصب ليقصد .

(٤) لعق - بضم اللام وفتح العين - جمع لعقة وهو ما يؤخذ باللعقة

(٥) بعين من حرم المعصية : أي بمنظر من الله جل وعلا والكلام
استعارة .

١٥٠ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّلَالِ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ . وَبِمُحَدَّثِ
خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَاقِهِ . وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا
تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ ، وَلَا تَحْجِبُهُ السَّوَاتِرُ ، لِافْتِرَاقِ
الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ
وَالْمَرْبُوبِ . الْأَحَدِ لَا يَتَأَوَّلُ عَدَدِ ، وَالْخَالِقِ لَا يَمَعْنِي
حَرَكَةٌ وَنَصَبٌ ، وَالسَّمِيعِ لَا بَادَاةٌ ، وَالْبَصِيرِ لَا
يَتَفَرِّقُ آلَةٌ ٢ ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي
مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ ٣ .
بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا . وَبَانَ
الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ
فَقَدْ حَدَّهُ ٤ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ

(١) المشاعر : الحواس ، ولا تستلمه : أي لا تلمسه كما رويت بهذا
اللفظ ، والسواتر : الحجب ، والمعنى أن السواتر إنما تحجب ما كان في
جهة الصانع جل وعلا منزّه عن ذلك ويبينه الفقرات بعده .
(٢) الاداة : الآلة ، وتفرّق الآلة : تفرّق الاجفان ، وتفرّق بعضها
عن بعض .

(٣) البائن المنفصل فهو سبحانه بائن عن خلقه لا بمسافة بين الذاتين ،
واللطافة : الصغر والدقة .

(٤) المراد بوصفه : توهمه بصفات المحدثين .

أَزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ أَسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ أَيْنَ
فَقَدْ حَيَّزَهُ . وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ،
وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

(مِنْهَا) قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَا حَ لَائِحٌ
وَأَعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَأَسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِیَوْمٍ
یَوْمًا . وَأَنْتَظَرْنَا الْغَيْرَ أَنْتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ . وَإِنَّمَا
الْأَئِمَّةُ قُورَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، لَا
يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ
إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ
وَأَسْتَخَصَّكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعٍ
كَرَامَةٍ . أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ مِنْ
ظَاهِرٍ عِلْمٍ وَبَاطِنٍ حِكْمٍ ١ . لَا تَفْنِي غَرَائِبُهُ ، وَلَا
تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ ٢ ، وَمَصَابِيحُ

(١) منهجه : طريقه الواضح ، وحججه : الأدلة والامارات ، ومن :
للتفسير والمراد بظاهر العلم : ظاهر الشريعة واحكامها ، وباطن الحكم ما
يشتمل عليه القرآن الكريم من الاسرار .
(٢) موابيع النعم : الامطار التي تأتي في اول الربيع

الظلم . لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ
الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ ١ وَأَرَعَى
مَرَعَاهُ . فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي ، وَكَفَايَةُ الْمُكْتَفِي .

هذه الخطبة خطب بها عليه السلام حين أفضت الخلافة اليه ، نص على ذلك ابن أبي الحديد (٢) وفي نصه هذا دليل على أنه رآها في غير (النهج) . وقد روى الكليني في (اصول الكافي) ج ١ ص ١٣٩ منها فقرات عديدة ، كما روى الآمدي منها في (غرر الحكم) ص ٢٣٢ في حرف القاف بلفظ (قد) قوله عليه السلام : « قد طلع طالع ، ولمع لامع ، ولاح لائح ، واعتدل مائل » وفي حرف الالف بلفظ (إنما) ص ٢٣٥ قوله عليه السلام : « إنما الأئمة قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه » وفي حرف الالف بلفظ (إن) المشددة قوله سلام الله عليه : (إن القرآن ظاهره أتيق وباطنه عميق ، ولا تفنى عجائبه ، ولا تكشف الظلمات إلا به) فلاحظ هذا التفاوت لترى أن مصدر الآمدي غير مصدر الرضي .

١٥١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهُوَ فِي مَهَلَةٍ مِنْ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ ٣ ، وَيَغْدُو
مَعَ الْمُذْنِبِينَ ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

(١) أحمى : منع والضمير في أحمى الى الله تعالى وفي حماه الى القرآن او الى الاسلام ، ورعى مرعاه : أباح ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد لمن يريد رعيه .

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٤٤٤

(٣) يصف انسانا من اهل الضلال غير معين

(مِنْهَا) حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ .
وَأَسْتَخْرِجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ ١ ، أَسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا ،
وَأَسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا ٢ . فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ
طَلِبَتِهِمْ ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ . إِنِّي أَحْذَرُكُمْ
وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ٣ ، فَلَيَنْتَفِعْ أَمْرُوهُ بِنَفْسِهِ ،
فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ،
وَأَنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ
الْصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي ٤ . وَلَا
يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ يَتَعَسَّفُ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ
فِي نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ . فَأَفَقَ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ
سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ،

(١) فاعل كشف الله تعالى ، وجلابيب جمع جلباب وهو الملحفة والمعنى
كانهم كانوا من الغفلة في لباس نزع عنهم .

(٢) المدير الذي استقبلوه الشقاء والعذاب فانه كان في ظنهم
واعتقادهم مدبراً ، والمقبل الذي استدبروه : ما خولهم الله من الاموال
والاولاد والنعمة .

(٣) تروى « المزة » من الزلل .

(٤) الجدد : الطريق اللاحب ، والمهاوي جمع مهواة وهي الهوة
والمغاوي جمع مغواة ، وهي الشبهة يذهب معها الانسان الى ما يخالف الحق

وَأَنْعِمِ الْفَكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ،
 وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَاهُ وَمَا رَضِيَ
 لِنَفْسِهِ . وَضَعُ فَخْرَكَ وَأَحْطَطُ كِبْرَكَ ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ
 فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ . وَكَمَا تَزَرَعُ
 تَحْصُدُ . وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَاْمْهَدْ
 لِقَدَمِكَ ١ وَقَدِّمُ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرُ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ .
 وَالْجِدُّ الْجِدُّ أَيُّهَا الْغَافِلُ « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ٢ الَّتِي عَلَيْهَا
 يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ
 عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ
 مِنَ الدُّنْيَا لَأَقِيًّا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتَّبِ
 مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ
 عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يَعْرِ بِأَمْرِ

(١) مهّد - كمنع - بسط .

(٢) عزائم الله : موجباته : والامر المقطوع عليه لا ريب فيه ولا شبهة

فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ
فِي دِينِهِ ١ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِي
فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى
شَبْهِهِ ٢ .

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا ، وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ
عَلَى غَيْرِهَا . وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ
فِيهَا . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ ،
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ ٣ .

في بعض نسخ (نهج البلاغة) أن هذا الفصل تابع للخطبة السابقة ،
وكيف كان فقد نص ابن أبي الحديد : إن هذه الخطبة خطب بها وهو
سائر إلى البصرة^(٤) ولا ريب أنه بقوله هذا اطلع عليها في غير (نهج البلاغة)
هذا وما ذكره الرضي في هذا الموضع ملتقط من خطبة له عليه السلام رواها قبل
الرضي ابن شعبة في « تحف العقول » ص ١٠٨ ، كما روى الكليني فقرات منها
في (الكافي » ج ٥ ص ٨٢ ، وسيأتي في باب الكلمات القصار أن الحكمة
(٣٩٨) منتزعة من هذه الخطبة .

(١) يعره : يعيبه من عر يعر عرا ويستنجح : أي يطلب حاجته من
الناس بالابتداع في الدين .
(٢) أي هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام ،
والواحد منها دليل على ما يشابهه ويمثله .
(٣) مستكِينُونَ : خاضعون لله ، مشفقون من عذابه ، خائفون من
عقابه .

(٤) شرح النهج م ٢ ص ٤٤٨

١٥٢ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَنَاطَرَ قَلْبَ اللَّيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ
وَنَجْدَهُ ١ . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي
وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ
السُّنَنِ ٢ ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ ٣ . وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ،
نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ٤ ، لَا
تُؤْتِي الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا
سُمِّيَ سَارِقًا .

(مِنْهَا) : فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ ٥ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ .
إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا . فَلْيَصْدُقْ

(١) أي ان قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته التي يجري إليها والغور
ما انخفض من الأرض ، والنجد ما ارتفع منها أي يدرك باطن الامر وظاهره .
(٢) قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه
الله وهو ذكر قوم من اهل الضلال ، قد كان أخذ في ذمهم ونعى عليهم
عيوبهم .

(٣) أرز المؤمنون : انقبضوا .

(٤) الشعار : ما يلي الجسد من ثياب والكلام كناية عن قربهم من
رسول الله صلى الله عليه وآله وهم خزنة علمه وأبوابها .

(٥) الضمير لاهل البيت عليهم السلام ، والكرايم جمع كريمة قال
الشيخ محمد عبده : والمراد انزلت في مدحهم آيات كريمات والقرآن
كريم كله وهذه كرايم من كرائمه .

رَأَيْدُ أَهْلِهِ ، وَلِيُحْضِرَ عَقْلَهُ ، وَلِيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ،
فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ . فَالْناظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ
بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ؟
فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ .
فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ، فَلَا
يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ ، وَالْعَامِلُ
بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ، فَلَيَنْظُرُ نَازِرًا
أَسَائِرُهُ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ ؟ وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا
عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبِثَ
ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّي
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ،
وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ
نَبَاتًا ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ
مُخْتَلِفَةٌ ، فَمَا طَابَ سَقِيهِ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ،
وَمَا خَبِثَ سَقِيهِ خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَتْ ثَمَرَتُهُ .

(١) أي ان المؤمن اذا أساء فالله تعالى يحبه ويبغض سيئته ، والكافر
اذا احسن يبغضه ويحب حسنه .

هذا كلام متصل بكلام لم يحكمه الرضي رحمه الله (١).

وروى الآمدي من هذه الخطبة في حرف القاف بلفظ (قد) قوله عليه السلام (قد خاضوا بحار الفتن ، وأخذوا بالبدع دون السنن ، وتوغلوا الجهل ، واطرحوا العلم) وفي حرف النون : ص ٣٢٤ قوله عليه السلام : (نحن الشعار والأصحاب ، والسدنة والأبواب ، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ومن أتاها من غير أبوابها كان سارقاً لا تعدوه العقوبة) وفي حرف الهاء ص ٣٣١ قوله سلام الله عليه (هم كرائم الايمان ، وكنوز الرحمن ، إن قالوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يسبقوا) وفي حرف الألف بلفظ (إن) المشددة قوله صلوات الله عليه : (إن الناظر بالقلب العامل بالناظر يكون مبتدأ عمله أن ينظر عمله عليه أم له فإن كان له مضى فيه ، وإن كان عليه وقف عنه) كما روى قوله عليه السلام ص ٢٥٢ (لكل ظاهر باطن على مثاله ... الخ) بحذف إن ، ألا يدل هذا الاختلاف البسيط في بعض الكلمات أن الآمدي نقل ذلك عن غير « نهج البلاغة » .

وروى السيد في (الطراز) ج ١ ص ٢١٧ بعض هذا الكلام بنقصان كلمة « الأصحاب » من قوله عليه السلام « نحن الشعار والأصحاب » وكلمة « بابها » بدل « أبوابها » من قوله عليه السلام « فمن أتاها من غير أبوابها » .

١٥٣ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها بديع خلقه الخفاش (٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَتْ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٤٤٤

(٢) الخفاش واحد الخفافيش : الطائر المعروف ، كان اسمه مأخوذ من الخفش : وهو ضعف البصر خلقه .

وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ
 غَايَةِ مَلَكُوتِهِ ١ ، هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا
 تَرَى الْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا ،
 وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونُ مُمَثَّلًا ، خَلَقَ
 الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةٍ
 مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ
 وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَأَنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ ، وَمِنْ لَطَائِفِ صَنِعَتِهِ
 وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ
 الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ،
 وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ
 أَعْيُنُهَا ٢ عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا
 تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ
 الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا ، وَرَدَّعَهَا بِتَلَالُؤِ ضِيَائِهَا عَنْ

(١) انحسرت : كالت ، وردعت : كفت ، والمساغ : المسلك .

(٢) العشا - مقصورا - سوء البصر وضعفه

الْمُضِيِّ فِي سُبْحَاتِ إِشْرَاقِهَا ، وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنْ
الذَّهَابِ فِي بَلَجِ اثْتِلَاقِهَا ١ ، فَهِيَ مُسْدَلَةٌ الْجُفُونِ
بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ
بِهِ فِي التِّمَاسِ أَرْزَاقِهَا ، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ
ظُلْمَتِهِ ٢ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِنَسَقِ دُجْنَتِهِ ،
فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا ٣ ،
وَدَخَلَ مِنَ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا ٤
أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَاقِيهَا وَتَبَلَّغَتْ بِمَا أَكْتَسَبَتْ
مِنْ فِيءِ ظُلْمٍ لِيَالِيهَا ٥ . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا
نَهَارًا وَمَعَاشًا ، وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا . وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَةً

-
- (١) سُبْحَاتِ النُّورِ : درجاته وأطواره ، الاثتلاق : اللمعان . والبلج
- بالتحريك - الضوء ووضوحه .
(٢) أسداف الليل : أظلم . والدجنة الظلمة ، وغسق الدجنة شدتها
(٣) أوضاع - جمع وضع بالتحريك - وهو هنا بياض الصبح
(٤) الضباب - ككتاب - جمع ضب الحيوان المعروف . والوجار -
ككتاب - الجحر .
(٥) جمع ماق ، وهو طرف العين مما يلي الانف
(٦) تبلفت : اكتفت أو اقتاتت

مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا
 شَظَايَا الْأَذَانِ ١ ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيَشٍ وَلَا قَصَبٍ ٢ ، إِلَّا
 أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا ٣ . لَهَا جَنَاحَانِ
 لَمَّا يَرِقُّا فَيَنْشَقُّا ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا ، تَطِيرُ وَوَلَدُهَا
 لَأَصِقُ بِهَا لِأَجِيءُ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا
 أَرْتَفَعَتْ ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلُهُ
 لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ
 نَفْسِهِ ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا
 مِنْ غَيْرِهِ ٤ .

تقدم الكلام منا حول هذه الخطبة في الجزء الأول من هذا الكتاب :
 ص ١١٣ و ١٥٩ ، وروى السيد في (الطراز) ج ١ ص ٣٣٤ بعض هذا الكلام
 بابدال كلمة « مواضع العروق » بـ « مواضع العروق » .

-
- (١) شظايا جمع شظية - كعطية - الفلقة من الشيء اي كانها مؤلفة
 من شقق الاذان .
 (٢) القصب : عمود الريشة او اسفلها المتصل بالجنح
 (٣) اي رسوما ظاهرة .
 (٤) خلا : تقدمه من سواه فحاذاه .

١٥٤ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خاطب به اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ
عِزًّا وَجَلًّا فَلْيَفْعَلْ ١ . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ،
وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ ٢ .

وَأَمَّا فُلَانَةٌ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ ، وَضِغْنُ غَلَا فِي
صَدْرِهَا كَمَرَجَلِ الْقَيْنِ ٣ ، وَلَوْ دُعِيَتْ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي
مَا أَتَيْتُ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) يعتقلها على الله : يحبسها على طاعته

(٢) لأن للتكليف مرارة ، وجاء في الحديث الشريف « حفت الجنة
بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »

(٣) الرجل : القدر . والقين - بالفتح - الحداد ، قال الشيخ محمد
عبده : اي ان ضغينتها وحقدتها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فانه
يفلّي ما دام يصنع . ولو دعاها احد لتصيب من غيري غرضا من الاساءة
والعدوان مثل ما أتت اليّ - اي فعلت بي - لم تفعل ، لان حقدتها كان
على خاصة .

(منهُ) سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ ، فَبِالْإِيمَانِ
يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ . وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى
الْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ . وَبِالْعِلْمِ يَرْهَبُ
الْمَوْتُ ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ
الْآخِرَةُ ١ . وَإِنَّ الْخُلُقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ ٢ ،
مُرْقِلِينَ فِي مَضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

(مِنْهُ) قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا
إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ ٣ . لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا ، لَا يَسْتَبْدِلُونَ
بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا . وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ . وَإِنَّهُمَا لَا يَقْرَبَانِ
مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ
فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ،

(١) وبالدنيا الخ لانها مزرعة الآخرة .

(٢) المقصر - كمقعد - المحبس ، اي لا مستقر لهم دون القيامة فهم
ذاهبون اليها مرقلين اي مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه .

(٣) شخصوا : ذهبوا والاجداث : القبور ، والمصائر : جمع مصير
وهو المال

وَالرِّيُّ النَّاقِعُ ١ وَالْعَصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ ،
لَا يَعُوجُ فَيُقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ، وَلَا تُخْلَقُهُ
كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ ٢ ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ
عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين اخبرنا عن الفتنة وهل سألت
رسول الله صلى الله عليه وآله عنها فقال عليه السلام :

لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ (إَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ
يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) ٣ عَلِمْتُ أَنَّ
الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي
أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي
سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوَلَيْسَ قَدْ

(١) الري - بالفتح والكسر - مصدر روي يروي ، ونقع العطش :
أزاله .

(٢) لا يزيغ : لا يميل ، ويستعتب : يطلب منه العتبي وهي الرضا ،
ولا يخلقه : لا يبلّيه ، والرد الترداد وهذا من خصائص القرآن الكريم فانه
لا ولن يزال غضا طريا غير ملول مع ان من طبيعة النفس معادات المعادات ،
وكراهة المكورات .

(٣) العنكبوت : ٢

قُلْتُ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ ۱ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ
 لِي : « أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » ؟ فَقَالَ لِي :
 « إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا » فَقُلْتُ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ مِنْ
 مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ
 سَيَفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَحْنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ،
 وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطَوْتَهُ . وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ
 بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ
 بِالْبَيْدِ ، وَالسُّحْتَ ۲ بِالْهَدِيَّةِ . وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ : بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ أِبِمَنْزِلَةِ
 رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

ما اختاره الرضي هنا من خطبة له عليه السلام خطبها في البصرة بعد أن وضعت
 الحرب أوزارها يوم الجمل ، وفيها جوابات من سأله عن أهل الجماعة ، وأهل
 الفرقة ، وأهل السنة وأهل البدعة ، ولماذا حل له قتال أهل الجمل وقسمة ما

(١) حيزت : منعت

(٢) السحت - بضم السين وسكون الحاء ويجوز ضمها - : الحرام

في عسكرهم دون نساءهم وأموالهم وذرايرهم ، وعن معنى الأيمان والكفر ودعائهما ، وعن ميت الأحياء ، وعن المعروف والمنكر ، وأحاديث البدع وعن الفتنة ... الخ

وعند المقارنة يظهر لك أن ما نقله الرضي في هذا الموضع وما يأتي في (باب الكلمات القصار) تحت الأرقام التالية : (٣١ و ٣٢ و ٢٦٦ و ٣٧٤) من خطبة واحدة .

أما مصادر الخطبة فروى بعضها الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٣٢٦ بسنده عن يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه ، والمتقي الهندي في (كنز العمال) ج ٨/٢١٥ ، و (منتخب كنز العمال) ج ٦/٣١٥ وأشار إليها الطوسي في (تلخيص الشافي) ج ١/٣٢٦ فقال : « والذي تظاهرت به الرواية ... أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالبصرة وأجاب بمسائل شتى سئل عنها وأخبر بلاحم وأشياء تكون بالبصرة » .

وقال الحلي في (مختصر بصائر الدرجات) ص ١٩٥ : « وقفت على كتاب (خطب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام) وعليه خط السيد رضي الدين علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ما صورته : « هذا الكتاب ذكر كتابته رجلين بعد الصادق عليه السلام فيمكن أن يكون تاريخ كتابته بعد مائتين من الهجرة لأنه عليه السلام انتقل بعد سنة مائة وأربعين من الهجرة ، وروى بعض مافيه عن أبي روح فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام » ثم قال بعد ذلك : « ومن الكتاب المذكور خطبته وفيها بعد كلام طويل : يا رسول الله فبأي منازل أنزلهم إذا فعلوا ذلك ؟ قال . بمنزلة فتنة ... » الخ .

وقد جمع المجلسي شتات هذه الخطبة وأورده إيراداً واحداً في (الفتن والهن) من كتاب (بحار الأنوار) ص ٤٤٨ ط الكباني .

وسنذكر مصادر الكلمات المنتزعة من هذه الخطبة في محالها من هذا الكتاب والله ولي التوفيق .

وقال ابن أبي الحديد : « قد كان عليه السلام يتكلم في الفتنة فلذلك ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذلك قال : فعليكم بكتاب الله فلذلك قام اليه من سألته عن الفتنة ، وهذا الخبر مروى عن رسول الله ﷺ قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين » قال : فقلت : يا رسول الله إنك قد وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك . قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . أما أني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذا ؟ قلت : يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال : أجل أصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم ، فقلت : يا رسول الله لو بينت لي قليلاً ، فقال : ان امتي ستفتتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الحرام بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه . وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور . فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى . فقلت : يا رسول الله فبأي المنازل انزل هؤلاء المفتونين من بعدك أم بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة ؟ فقال : بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل . فقلت : يا رسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا ؟ قال : بل منا . فبنا فتح وبنا يختم وبنا ألف الله بسين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة . فقلت : الحمد لله على ما وهب لنا من فضله « (١) » .

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ : ٤٦٢ وانظر « شرح نهج البلاغة » لابن ميثم :

١٥٥ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِدِكْرِهِ ، وَسَبَباً
لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلاً عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ ١ .
عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِّهِ بِالْمَاضِينَ ،
لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ ،
آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ ٢ ، مُتَظَاهِرَةٌ
أَعْلَامُهُ ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدَوُ آزَاجِ
بِشْوَلِهِ ٣ ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحِيرَ فِي
الْظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ
فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ
السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمَفْرُطِينَ .

(١) الذكر : القرآن المجيد : وجعل الحمد مفتاحه له لان اوله (الحمد
لله رب العالمين) وحيث ان المراد بالحمد هنا الشكر فهو سبب للمزيد من
فضله سبحانه لقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) ، والآلاء : النعم واحداها
الى بالقصر والفتح وقد تكسر الهمزة .

(٢) متشابهة اموره : اي يشبه بعضها بعضا وتروى « متسابقة » اي
كان كلا من حوادثه ونوازله يطلب النزول قبل الآخر .

(٣) الشول : النوق التي قل لبنا ، وخف ضرعا . والزاجر
السائق ، والمعنى ان سائق الشول يعسف بها ولا يرفق كما يرفق بالعشار

أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ ،
وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلَا يُحَرِّزُ
مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ ، إِلَّا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا ١ ،
وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى .

عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا
إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طَرِيقَهُ ،
فَشَقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ
الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ ، فَقَدْ دَلَّلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَأَمَرْتُمْ
بِالظَّنِّ ، وَحُشِنْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكَبٍ
وَقُوفٍ لَا يَذْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ ، إِلَّا فَمَا يَصْنَعُ
بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ ، وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا
قَلِيلٍ يُسَلِّبُهُ ، وَتَبَقَّى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ ٢ .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَشْرَكٌ ،
وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَحْذَرُوا

(١) الحمة : أبرة العقرب ، والسهم ، والمراد سموم الخطايا .

(٢) التبعة واحدة التبعات وهي المظالم .

يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ١ ،
وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ .

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ٢ ،
وَعْيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ
أَعْمَالَكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلُمَةٌ
لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ ذُو رِتَاجٍ ، وَإِنَّ
غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ .

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لِأَحْقَاقِهِ ،
فَكَانَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ ،
وَمَخَاطَ حُفْرَتِهِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ،
وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ ، وَكَانَ الصَّيْحَةُ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةُ
قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ . قَدْ زَاَحَتْ
عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ٣ . وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ ، وَاسْتَحَقَّتْ

(١) تفحص الاعمال : تكشف ، الزلزال : الاضطراب

(٢) الرصد : الرقيب ، والمراد بها الجوارح لانها تشهد على صاحبها
بما عمله بها .

(٣) زاحت : انكشفت

بِكُمْ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ،
فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ

فسر ابن الأثير غريب هذه الخطبة في (النهاية) ج ٢/٥١٠ مادة (شول)
فقال : ومنه حديث علي : « فكأنكم والساعة تحذوكم حدو الزاجر بشوله »
وفي مادة (ربك) ج ٢/١١٩ قال ومنه حديث علي : « تحير في الظلمات
وارتبك في الهلكات » .

وجاء في (غرر الحكم) ص ٩٧ فيما ورد من كلامه عليه السلام في حرف
الألف بلفظ إنما قوله عليه السلام « إنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى بالسير
بؤمرون » ورواية (النهج) « لا يدرون متى يؤمرون بالسير » .

١٥٦ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطَوَّلَ هَجْعَةً مِنَ
الْأُمَمِ وَأَنْتَقَاضٍ مِنَ الْمُبَرَمِ ١ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْديقِ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ
فَاسْتَنْطَقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أَخْبَرُكُمْ عَنْهُ ، أَلَا إِنَّ
فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ
دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

(١) الهجعة المرة من الهجوع وهو النوم ليلا ، والمراد به نوم الغفلة في
ظلمات الجهل ، والمبرم : المقتول

(مِنْهَا) فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا
وَأَدْخَلَهُ الظَّلَامَةُ تَرْحَةً ١ ، وَأَوَّلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمَئِذٍ
لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ .
أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ٢ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ .
وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ مَن ظَلَمَ مَا كَلَّا بِمَا كَلَّ ، وَمَشْرَبًا
بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمَقْرِ ،
وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَدِثَارِ السَّيْفِ ٣ . وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا
الْخَطِيئَاتِ ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ ٤ . فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقْسِمُ ،
لَتَنْخَمَنَّهَا أُمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النُّخَامَةَ ، ثُمَّ لَا
تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّرَ الْجَدِيدَانِ .

• يظهر أن هذه الخطبة هي التي مرت برقم (٨٦) وإنما أعادها الرضي رحمه الله
هنا لاختلاف وجه الرواية ، والزيادة فيها ، وقد ذكرنا مصادرهما هناك
فراجع (٥) ، ونضيف الى ذلك أن ابن الأثير فسر غريب هذه الخطبة في

(١) الترحة : الحزن

(٢) أصفيتم : خصصتم ، وصفايا المغنم شيء يصطفيه الرئيس من
الغنيمة لنفسه .

(٣) جعل شعارهم الخوف لانه باطن في القلوب ، ودثارهم السيف
لانه ظاهر في البدن وتقدم معنى الشعار والدثار غير مرة .

(٤) الزوامل جمع زاملة وهي ما يحمل عليها المتاع من الابل .

(٥) انظر هذا الجزء ص ١٣٤ .

(النهاية) في مواضع منها مادة (عذر) قال في حديث عبي (لم يبق لهم عاذر أي أثر ^(١) وفي مادة (مقر) قال : المقر شيء يشبه الصبر وليس به ومنه حديث علي « أمر من الصبر والمقر » ^(٢) ولاحظ نقصان كلمة (في الأرض) وزيادة كلمة « أمر من » لتعرف أنه أخذ ذلك عن غير (نهج البلاغة) وفي مادة (نخم) قال : النخامة البزقة التي تخرج من أقصى الحلق ، ومن مخرج الحياء المعجمة ، ومنه حديث علي : (أقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة) ^(٣) .

١٥٧ - فَخِظْتُمْ لِبُعْدِ السَّلاَمِ

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ
وَرَائِكُمْ ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي الذُّلِّ ، وَحَلَقِ الضَّيْمِ
شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ ، وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ
وَشَهْدَةً أَلْبَدْنَ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ .

الكلام على هذا الفصل في كلمة الختام .

(١) « النهاية في غريب الحديث » : ج ٣ ص ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ٥ ص ٣٤ .

(٤) أحطت بجهدي من ورائكم : أي حميتكم ، والريق جمع ربة حبل يربط به البهم . وحلق - بفتح الحاء ويجوز كسرهما - جمع حلقة - بالتسكين - وهي الدرع ، والحديدة المستديرة ، استعارة لاحاطة البلاء بهم ، والضيم : الظلم ، والإطراق : الأغضاء

١٥٨ - وَمِنْ خُطْبَةِ لُبِّ عَلِيِّ بْنِ الْإِسْلَامِ

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي
 بِعِلْمِهِ ، وَيَعْفُو بِحِلْمِهِ ، اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ
 وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى
 اَلْحَمْدُ لَكَ ، وَأَحَبُّ اَلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ اَلْحَمْدِ
 عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ .
 حَمْدًا لَا يُحْجِبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ . حَمْدًا لَا
 يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنِي مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ
 عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ
 وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظْرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ ،
 أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ ، وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَالُ ، وَأَخَذْتَ
 بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ . وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ
 لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ
 عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا
 دُونَهُ ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ .

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ
عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ١ ، وَكَيْفَ عَلَقْتَ
فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ
أَرْضَكَ ٢ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ
وَالِهًا ، وَفِكْرُهُ حَائِرًا ٣ .

(مِنْهَا) يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ . كَذَبَ
وَالْعَظِيمِ ، مَا بِاللَّهِ لَا يَتَّبِعِينَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ
مَنْ رَجَا عُرْفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ
اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولُهُ وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ
اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ
فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ . فَمَا

(١) ذرات : خلقت .

(٢) المور - بالفتح - الموج

(٣) المبهور : المنقطع نفسه من الاعياء ، والواله : الحائر من الوله
وهو ذهاب الشعور ، وتقدم معناه غير مرة .

(٤) الزعم - مثلثة العين - واكثر ما يكون فيما يشك فيه ولا يتحقق

(٥) المدخول : المغيب الناقص من الدخل - بالتحريك - العيب ،

والخوف المعلوم : ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب .

بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقْصَرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ
 أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ
 لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ
 أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبُّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنْ
 الْعِبَادِ نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا ١ .
 وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا
 فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا
 لَهَا . وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 كَافٌ لَكَ فِي الْأُسُوةِ ٢ ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا
 وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَاذِبِهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ
 أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّتْ لغيرِهِ أَكْنَافُهَا ٣ ، وَفُطِمَ عَنْ
 رِضَاعِهَا ، وَزُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا . وَإِنْ شِئْتَ ثَنَيْتُ
 بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ « رَبِّ

(١) الضمار - ككتاب - من الوعود ما كان مسوفًا به .

(٢) الاسوة : القدوة .

(٣) الاكاف : الجوانب .

إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةٌ أَلْبَقِلُ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشْدَبِ لَحْمِهِ ٢ . وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ٣ ، وَيَقُولُ لِحُجَلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشَنَ وَيَأْكُلُ الْجَشَبَ ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسَرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ

(١) القصص : ٢٤ .

(٢) الصفاق - ككتاب - جلد البطن كله . والتشدب : التفرق .
وانهضام اللحم : تحلل الاجزاء وتفرقها واظن ان اللفظة « كادت » ولكن الرواية وردت كما في المتن .

(٣) السفائف - جمع سفيفة - وصف ، من سف الخوص اذا نسجه ،
اي منسوجات الخوص .

(٤) ظلاله - جمع ظل - بمعنى السكن والماوى ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كن له .

الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ
يَحْزِنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يَذِلُّهُ ، دَابَّتْهُ
رِجَالُهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ . فَتَأَسَّ ١ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ
الْأَظْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ
تَأَسَّى ، وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى ، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ
الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ، وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ ، قَضَمَ الدُّنْيَا
قَضْمًا ٢ ، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا ، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا ٣ ،
وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا . عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَابْتَدَأَ
أَنْ يَقْبَلَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ،
وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ
يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَظَّمْنَا مَا
صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شَقَاقًا لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ
اللَّهِ ٤ . وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى

(١) تأس : أي اقتد .

(٢) القضم الاكل باطراف الاسنان .

(٣) أهضم من الهضم وهو خاو البطن من الطعام ، وكشحا مر معناه

في الخطبة الشقشقية ، واخمصهم : اخلاهم .

(٤) المحادة : المخالفة في عناد

الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ
 نَعْلَهُ ١ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ
 وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ . وَيَكُونُ السُّرُّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ
 فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ - لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ -
 غَيْبِي عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا
 وَزَخَارِفَهَا ٢ . فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ
 ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ،
 لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا ٣ ، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا وَلَا
 يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنْ
 الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ
 أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي
 الدُّنْيَا وَغُيُوبِهَا . إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَزُيِّتَ

(١) خصف النعل : خرزها

(٢) الزخارف جمع زخرف وهو الذهب

(٣) الرياش : اللباس الفاخر ، او الزينة مطلقا في الاثاث واللباس

عَنْهُ زَخَارُفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُفْتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ
 اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ
 وَالْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ
 غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ
 مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسَّى بِنَبِيِّهِ ، وَأَقْتَصَرَ أَثَرُهُ ، وَوَلَجَ
 مَوْلَاهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمِنُ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا
 عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا لِلْسَّاعَةِ وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ .
 خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ
 يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ
 رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا
 نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطْلُقُ عَقِبَهُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى
 اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا ١ . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَنْبِذُهَا ؟
 فَقُلْتُ أَغْرُبُ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى ٢

(١) المدرعة : الدراعة وهي ثوب من صوف .

(٢) اغرب عنى : ابعد عنى ، والسرى بضم السين : السير ليلا وعند
 الصبح ... الخ . مثل يضرب لمن يتحمل المشقة رجاء الراحة ، وهو من
 الامثال التي تمثل بها امير المؤمنين عليه السلام .

من قوله عليه السلام : « ولقد كان في رسول الله ﷺ كافٍ لك في الاسوة » الى « عند الصباح يحمد القوم السرى » رواه الزمخشري في باب اليأس والقناعة من « ربيع الأبرار » باختلاف بعض الألفاظ .

١٥٩ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ ١ وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ ، وَالْمِنْهَاجِ
الْبَادِي ٢ وَالْكِتَابِ الْهَادِي . أُسْرَتُهُ ٣ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ
خَيْرُ شَجَرَةٍ . أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ ٤ .
مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهَجْرَتُهُ بِطَبِيبَةَ ٥ . عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَأَمْتَدَّ
بِهَا صَوْتُهِ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ،
وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ ٦ . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ ،

(١) البادي : الظاهر .

(٢) أسرته : أهل بيته

(٣) معتدلة : غير معوجة ، ومتهدلة : سهلة التناول .

(٤) طيبة وطابة اسم من اسماء المدينة المنورة سماها بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسماها يزيد بن معاوية خبيثة وسماها مسرف بن عقبة نثنة مراغمة لقوله صلى الله عليه وآله .

(٥) متلافية لما فسد من الشرائع قبل الاسلام .

وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ
الْمَفْصُولَةَ ١ . فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ
شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كَبَوُّتُهُ ٢ ، وَيَكُونُ
مَأْبَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ . وَاتَّوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوَدِّيَ
إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَإِنَّهَا النِّجَاةُ
غَدًا ، وَالْمُنْجَاةُ أَبَدًا ، رَهَبٌ فَاذْبَلْ ، وَرَغَبٌ فَاسْبِغْ ٣ ،
وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقَطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَأَنْتِقَالَهَا ،
فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا ،
أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ،
فَغَضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ
أَيَّقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَتَصَرَّفَ حَالَاتِهَا ، فَاحْذَرُوهَا

(١) المفصلة : ما فصله وبينه من احكام دينه .

(٢) الكبوة : السقطة

(٣) اسبغ اي احاط بجميع وجوه الترغيب

حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ ١ ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ ، وَاعْتَبِرُوا
بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَزَايَلَتْ
أَوْصَالُهُمْ ٢ ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ
شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَأَنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ، فَبَدَّلُوا
بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا ،
لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا
يَتَجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ ،
الْمَانِعِ لَشَهْوَتِهِ ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ ،
وَالْعِلْمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدُّ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ ٣ .
ستأتي الإشارة إلى هذه الخطبة في نهاية الكتاب والله الموفق .

١٦٠ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ لِلنَّبِيِّ الْكَافِرِ

لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم
أحق به ؟ فقال :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيعِينَ ٣ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ

-
- (١) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص . والمجد : المجتهد .
والكادح : المبالغ في سعيه
(٢) تزايلت : تفرقت . والواصل : المفاصل أو مجتمع العظام
(٣) الوضين تقدم معناه في ص ٢٠٩ من هذا الجزء ، والسدد :
الاستقامة أي يتكلم في غير صواب .

سَدَدٌ ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةٌ الصُّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ١ ، وَقَدْ
 اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ . أَمَّا الْأَسْتَبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ
 وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا ، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ نَوَاطًا ٢ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ
 قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ٣ ، وَالْحَكَمُ ،
 اللَّهُ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ (وَدَعُ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي
 حَجَرَاتِهِ ٤) وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ،
 فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غُرُوَّ وَاللَّهِ

(١) الذمامة والذمام - بكسر الدال - : الحرمة

(٢) النوط : التعلق والالتصاق .

(٣) الأثره - بفتح التين - : الاستبداد . وشحت : بخلت ، وسخت
 هنا أعرضت .

(٤) صيح بالبناء للمفعول أي صاحوا ، والحجرات جمع حجرة -
 بالفتح الناحية ، والبيت الذي تمثل أمير المؤمنين عليه السلام في صدره
 لامرئ القيس بن حجر الكندي وعجزه (وهات حديثا ما حديث الرواحل ،
 نزل في جوار خالد بن سدوس النبهاني فأغارت عليه بنو جذيلة فنهبوا أبله
 فتبعهم خالد على رواحل امرئ القيس وقال لهم : أغرتم على ابل جاري ،
 فقالوا : ما هو لك بجار فقال : بلى والله وهذه رواحله ، فانزلوه عنها ،
 وذهبوا بالجميع فقال امرؤ القيس هذا البيت في مطلع أبيات أخرى .

(٥) أي دع عنك ما مضى وهلم ما نحن فيه الآن من أمر معاوية ، والخطب
 الحادث الجديد .

فَبِمَا لَهُ خَطْبًا ، يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ الْأَوْدَ ١ ،
حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَارِهِ
مِنْ يَنْبُوعِهِ ٢ ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَرْبًا وَبَيْئًا ٣ .
فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحَنُ الْبَلَوَى أَحْمِلُهُمْ مِنْ
الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنْ الْآخَرَى « فَلَا تَذْهَبِ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » ٤

رواه قبل الشريف الرضي الصدوق في كتابيه (الأمالي) ص ٣٦٨ في
المجلس التاسع والثمانين ، وفي (العلل) في الباب ١١٩ في العلة التي من أجلها
ترك الناس علماً رواه في الكتابين عن أبي أحمد العسكري كما رواه الطبري في
(المسترشد) ص ٦٤ ، والمفيد في (الإرشاد) ص ١٧٢ ، وفي (المسترشد)
و (الارشاد) أن السائل ابن دودان وأنه استفهم عن ذلك بهذا اللفظ :
« وأنتم الأعلون نسباً ، والاشدون نوطاً برسول الله ﷺ ، وفهماً للكتاب » وجواب
أمير المؤمنين المروي في (النهج) أن السؤال يقتضي أن يكون كذلك .

وقال ابن أبي الحديد : « سألت يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة
وقت قراءتي عليه هذا الكلام ، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب

(١) لا غرو : لا عجب ، ويستفرغ العجب : يستنفذه ويفنيه ، والاولد
الاعوجاج .

(٢) الفوار من ينبوع : الثقب الذي يغور منه الماء بشدة .

(٣) جدحوا : مزجوا ، وبئنا أي ذا وباء ، وهو المرض .

(٤) محض الحق : خالصة ، وان تكن الاخرى ان مت أو قتلت والفئة

على ما هي عليه فلا تمت اسفا عليهم . والآية في سورة فاطر برقم ٨

العلوية منصفاً ، وافر العقل ، فقلت له : من يعني عليه السلام بقوله : شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ؟ ومن القوم الذين عناهم الاسدي بقوله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ وهل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى ؟ فقال : يوم السقيفة ، فقلت : إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله ﷺ ودفع النص ، فقال : وأنا فلا تسامحني نفسي أبداً أن أنسب الرسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين ، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمّر عليها وهو حي ليس ببعيد عنها فكيف لا يؤمّر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث ، ثم قال : ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله ﷺ كان كامل العقل ، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة ، سديد الرأي ، أقام ملة ، وشرّع شريعة ، فاستجدت ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره ، وهذا الرجل العاقل الكامل ، يعرف طباع العرب وغرائزهم ، وطلبهم بالشارات والذحول ولو بعد الازمان المتطاولة ، ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثأرهم منه فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به ، وإن لم يكونوا رهطه الأذنين ، والإسلام لم يحل من طبعهم ، ولا غير هذه السجية المركوزة في أخلاقهم ، والغرائز بجالها فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل الكامل وتر العرب وعلى الخصوص قريشاً وساعده على سفك الدماء وازهاق الأنفس ، وتقلد الضفائن ابن عمه الأدنى وصهره وهو يعلم أنه سيموت كما مات الناس ويتركه بعده وعنده ابنته ، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما ، ومحبة لهما ويعدل عنه ، ولا ينص عليه ، ولا يستخلفه فيحقن دمه ودم أهله باستخلافه ؟ ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنه إذا تركه وترك بنيته وأهله سوقة ورعية فقد عرض دماءهم للاراقة بعده بل يكون

عليه السلام هو الذي قتلهم ، وأشاط بدمائهم لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميمهم ، وإنما يكونون مضغة للأكل ، وفريسة للمفترس ، يتخطفهم الناس وتبلغ فيهم الأغراض ، فأما إذا جعل السلطان فيهم والأمر اليهم يكون قد عصمهم ، وحقن دماهم بالرئاسة التي يعولون بها ، ويرتدع الناس عنهم لأجلها ومثل هذا معلوم بالتجربة ؟ ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ، ووترهم ، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ثم أهمل ولده وذريته من بعده وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم وواحداً منهم وجعل بنيهِ سوقة كبعض العامة لكان ينوه بعده قليلاً بقاؤهم ، سريعاً هلاكهم ، ولو ثب عليهم الناس ذو الأحقاد والترات من كل جهة يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد ؟ ولو أنه عين ولداً من أولاده للملك ، وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده لحقنت دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من الناس عليهم لناموس الملك ، وأبهة السلطنة ، وقوة الرئاسة ، وحرمة الامارة ، أفترى ذهب عن رسول الله ﷺ هذا المعنى ؟ أم أحب أن تستأصل ذريته وأهله من بعده ؟ وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة إلى قلبه ؟ أتقول : إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس ؟ وأن يجعل علياً المكرم المعظم عنده الذي كانت حاله معلومة معه كأبي هريرة الدوسي ، وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الامراء في دمه وعرضه ونفسه وولده ، فلا يستطيع الامتناع وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول ، تتلظى أكباد أصحابها عليه ، ويدوا أن يشربوا دمه بأفواههم ، ويأكلوا لحمه بأسنانهم ، قد قتل أبناءهم واخوانهم وآبائهم وأعمامهم ، والعهد لم يطل ، والقروح لم تنقرف ، والجروح لم تندمل ؟ فقلت له : لقد أحسنت فيما قلت إلا أن لفظه عليه السلام يدل على أنه لم يكن نص عليه ، ألا تراه يقول : ونحن الأعلون نسباً ، والأشدون بالرسول نوطاً فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ، فلو كان عليه نص لقال : عوض ذلك وأنا المنصوص علي ، المخطوب باسمي ؟

فقال رحمه الله : إنما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ، ألا ترى أنه سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ، فهو إنما سأل عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللحمة والعثرة ، ولم يكن الاسدي يتصور النص ولا يعتقده ، ولا يخطر بباله ، لأنه لو كان هذا في نفسه لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام وقد نص عليك رسول الله ﷺ ؟ ولم يقل هذا وإنما قال له كلاماً عاماً لبني هاشم كافة كيف دفعكم قومكم عن هذا ، وأنتم أحق به ؟ أي باعتبار الهاشمية والقربى ، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الاسدي بعينه تهيئاً للجواب ، فقال إنما فعلوا ذلك مع أننا أقرب إلى رسول الله ﷺ من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ، ولو قال له : أنا المنصوص عليّ ، والخطوب باسمي في حياة رسول الله ﷺ لما كان قد أجابه ، لأنه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا ؟ وهل نص رسول الله ﷺ بالخلافة على أحد أم لا ؟ وإنما قال له : لم دفعكم قومكم عن هذا الامر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم ؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلأئه ، أيضاً فلو أخذ يصرح له بالنص ، ويعرفه تفاصيل باطن الامر لنفر عنه واتهمه ، ولم يقبل قوله ، ولم ينجذب إلى تصديقه ، فكان أولى الامور في حكم السياسة ، وتدبير الناس ، أن يجيب بما لا نفرة منه ، ولا مطعن عليه فيه « (١) » .

أما المصاهرة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام فقد قال بعض الشارحين : أن زينب بنت جحش زوجة النبي ﷺ كانت أسدية وقال الشيخ سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي في (شرح نهج البلاغة) : كان أمير المؤمنين عليه السلام قد تزوج في بني أسد ، وأنكر ابن أبي الحديد ذلك وقال : لم يصب - أي الراوندي - فان علياً عليه السلام لم يتزوج في بني أسد البتة ، ثم عدد أولاده عليه السلام وامهاتهم ، ثم قال بعد ذلك :

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٤٧٧ .

وليس فيهم أحد من أسدية ، ولا بلغنا أنه تزوج في بني أسد ولم يولد له ولكن الراوندي يقول ما يخطر له ولا يحقق (١) ، ورد الشيخ ميثم البحراني على ابن أبي الحديد بقوله : نقل القطب الراوندي أن علياً عليه السلام كان متزوجاً من بني أسد وأنكره ابن أبي الحديد معتمداً على أنه لم يبلغنا ذلك والانكار لا معنى له إذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقاً ويلزم أن لا يصل إلى غيرنا (٢) .

١٦١ - وَمِنْ خُطْبَةِ ابْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ
الْوَهَادِ ، وَمُخْصِبِ النَّجَادِ ٣ ، لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ ،
وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَالْبَاقِي بِلَا
أَجَلٍ ، نَخَرَتْ لَهُ الْجِبَاهُ ، وَوَحَدَتْهُ الشِّفَاهُ ، حَدَّ
الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهَاءِ ، لَا
تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ
وَالْأَدْوَاتِ ، لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى ، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٢ : ص ٤٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٣) المهاد - هنا - : الأرض ، وأصله الفرائس ، والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن ، ومسبلها : مجرى السيل فيها ، والنجاد جمع نجدة ، ومخصبها : مروضها وجاعلها ذوات خصب .
{ الإبانة - هنا - التمييز الفصل .

بِحَتِّي ، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّا ١ ، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ
فِيمَا ، لَا شَبَحٌ فَيَتَقَصَّى ٢ ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُخَوِّي ،
لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا
بِافْتِرَاقٍ ٣ ، لَا يَخْفِي عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لِحِظَةٍ ،
وَلَا كُرُورٌ لَفْظَةٍ ، وَلَا أَزْدِلَافٌ رُبُوعَةٍ ٤ ، وَلَا انْبِسَاطٌ
خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ ٥ ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ
الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ٦ ، وَتَعْقِبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ
وَالْكُرُورِ ٧ ، وَتَقْلُبُ الْأَزْمَنَةَ وَالْدُّهُورَ . مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ
مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ ٨ ،

- (١) أي ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أي شيء ظهر
(٢) أي ليس بجسم فيتقصى أي يطلب اقصاه ، ويحوى يستولى عليه
الحجاب لأن الحجاب من لوازم الاجسام التي تنزه قدسه عنها .
(٣) لأن هذا من خصائص الاجسام
(٤) شخوص لحظة : أي امتداد بصر ، وكروور اللفظة تردديها ،
وازدلاف الربوة تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .
(٥) انبساط الخطوة : مقدارها ، والداج : المظلم ، والغسق : الليل ،
وساج : ساكن
(٦) يتفيا عليه أي يتقلب ذاهبا وجائيا في حالتي اخذه في الضوء الى
التبدر ، وأخذه في النقص الى المحاق .
(٧) المراد بالافول والكروور : الغروب والشروق
(٨) خبر عن ضمير الذات المقدسة أي هو سبحانه موجود قبل كل
غاية ومدة الخ .

وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحُلُهُ ١ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ
صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِينِ ٢ ،
وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِينِ . فَأَلْحَدٌ لِحَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ
مَنْسُوبٌ . لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَرْزَلِيَّةٍ ، وَلَا
أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ
مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ أَمْتِنَاعٌ ٣ ،
وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ أَنْتِفَاعٌ . عَلِمَهُ بِالْأَمَوَاتِ الْمَاضِينَ
كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعَلِمَهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ
الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

(مِنْهَا) أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ
فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ . بُدِثَتْ
مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ٤ ، وَوُضِعَتْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى

(١) نحله أي أعطاه هذه الصفات ونسبها إليه ، وهي تحديده بالاقدار
جمع قدر ، - بتسكين الدال - وهو حال الشيء من الطول والعرض ،
والصغر والكبر ، والاقطار جمع قطر وهو البعد .
(٢) التأثُّل : التأصل ، يقال بيت أثيل ومجد أثيل أي أصيل قديم .
(٣) أي لا يمنع عليه ممكن . فمتى أراد إيجاد شيء أوجده .
(٤) السوي : التام الخلقة ، والمرعي : المحفوظ ، والسلالة من
الشيء ما أنسل وظلمات الارحام ومضاعفات الاستار مستقر النطفة والرحم

قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ
جَنِينًا لَا تَحِيرُ دُعَاءً وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً ١ . ثُمَّ أُخْرِجَتْ
مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ
مَنَافِعِهَا . فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ٢ ،
وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَإِرَادَتِكَ . هِيَ هَاتِ
إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ
صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَمَنْ تَنَاوَلَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ
أَبْعَدُ .

هذه الخطبة روى بعضها أبو نعيم في (حلية الاولياء) ج ١ ص ٧٢ ورواها
الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) إلى قوله عليه السلام « كعلمه بما في
الارض السفلى »^(٣) وروى منها الزمخشري في الجزء الاول من (ربيع الابرار)
في باب الملائكة (مخطوطة مكتبة الاوقاف ببغداد) من قوله عليه السلام :
« تمور في بطن امك جنينا » الى قوله عليه السلام : « مواضع طلبك » وفي
رواية الزمخشري « وحررك عند الحاجة » مكان « وعرفك عند الحاجة » .

(١) تمور : تتحرك ، ولا تحير من قولهم ما احرار جوابا اي لم يستطع .

(٢) الاجترار : الابتصاص .

(٣) انظر (بحار الانوار) ج : ٧٧ ص : ٣٠٦ .

١٦٢ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه^(١) على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ٢
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ ،
وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا
سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخَبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ
فَنُبَلِّغَكَهُ . وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا
سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا
صَحَبْنَا . وَمَا أَبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا أَبْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى
بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَيْجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا ٣ . وَقَدْ نَلْتَ
مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ

(١) نقموا عليه - بفتح القاف وكسرها - : عتبوا ، والعتبى : الرضا
اي طلبوا منه ما يرضيهم عنه .

(٢) استفسروني جعلوني سفيرا اي وسيطا بينهم وبينك

(٣) الوشيحة في الاصل عروق الشجر ثم استعملت في اشتباك القرابة

وَاللَّهُ مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى ، وَلَا تُعَلِّمُ مِنْ جَهْلِ ، وَإِنَّ
الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةً ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ
أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدًى ،
فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ . وَإِنَّ السُّنَنَ
لَنِيرَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ
شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ
سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ ، وَأَحْيَى بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ . وَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ « يُؤْتَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ
فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ
يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا » وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ
هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ
الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيَبْثُ الْفِتْنَ عَلَيْهَا ، فَلَا
يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ . يَمْوِجُونَ فِيهَا مَوْجًا ،

(۱) ربطه فاربط ، أي شده وجبسه

وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا ١ . فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيْقَةً ٢
يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقْضِي الْعُمُرَ .

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كَلِّمِ النَّاسَ فِي
أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا
غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

سفارته عليه السلام هذه مروية قبل الرضي في (أنساب الأشراف)
للبلاذري ج ٥ ص ٦٠ ، و (تاريخ الطبري) ج ٥ ص ٩٦ في حوادث سنة ٣٤ ،
وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه المالكي ج ٤ ص ٣٠٨ ط دار التأليف والترجمة
والنشر ، عن ابن دأب ، ورواها المدائني عن ابن دأب أيضاً كما في كتاب
(الجمل) للعفيد : ص ١٠٠ قال : روى المدائني عن علي بن صالح قال : ذكر
ابن دأب قال : لما غاب الناس على عثمان ما عابوا كلموا علياً فيه فدخل عليه ،
وقال : إن الناس ورائي .. الخ .

وابجمال القصة : أن نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ كتب بعضهم الى
بعض إن أقدموا فان الجهاد بالمدينة لا بالروم ، واستطال الناس على عثمان وقالوا

(١) المرج : الخلط

(٢) السيقه — كضيقة — ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان
كاتباً ومشيراً لعثمان

منه ، ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه إلا نفيهم زيد بن ثابت ^(١) وأبو أسيد الساعدي ^(٢) وكعب بن مالك ^(٣) ، وحسان بن ثابت ^(٤) فاجتمع الناس فكلّموا علياً عليه السلام وسألوه أن يكلم عثمان فدخل عليه وقال : إن الناس ورائي ، إلى آخر ما نقله الرضي ، فقال عثمان وقد علمت أنك لتقولن ما قلت ، أما والله لو كنت مكافئ ما عنفتك ولا عتبت عليك ، ولم

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي كان عمره يوم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة إحدى عشرة سنة ، وردّه النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وأول مشاهدته الخندق ، وحمل راية بني مالك بن النجار يوم تبوك ، وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب بعده إلى أبي بكر وعمر وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعمر (رض) وكان عمر يستخلفه على المدينة ، وكان عثمان يستخلفه أيضاً ، وكان على بيت المال في عهده ، وكان من أفكّه الناس مع خاصته ، وأزمتهم إذا كان في القوم ، وروى ابن الأثير في (أسد القابة) أن عثمان سمع مولى لزيد يغني ، فقال عثمان : من هذا ؟ فقال : زيد مولاي وهيب ففرض له عثمان ألفاً ، وكان زيد عثمانياً ولم يشهد مع علي عليه السلام شيئاً من حروبه ، توفي بالمدينة وصلى عليه مروان بن الحكم واختلفوا في سنة موته ما بين سنة ٤٥ - ٥٥ .

(٢) أبو أسيد (بالتصغير) الساعدي اشتهر بكنيته اسمه مالك بن ربيعة أنصاري خزرجي من بني ساعدة ، شهد بدراً واحداً فما بعدها ، وكانت معه راية بني ساعدة يوم الفتح ، كان قصيراً أبيض الرأس واللحية كثير الشعر ، ذهب بصره ومات سنة ستين وعمره نحواً من ثمانين .

(٣) كعب بن مالك أنصاري خزرجي من بني سلمة ، شهد العقبة وبائع بها ، وتخلف عن بدر وشهد أحداً فما بعدها وتخلف في تبوك وهو أحد (الثلاثة الذين خلفوا) وكان من شعراء المسلمين انضم إلى معاوية بعد مقتل عثمان ولم يسمع له خبر في صفين وذهب بصره ومات بالشام في خلافة معاوية على اختلاف في سنة وفاته .

(٤) حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وآله .

آت منكراً ، إنما وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيهاً
 بمن كان عمر يوليه ، انشدك الله يا علي ألا تعلم أن المغيرة بن شعبه ليس هناك
 قال : بلى ، قال : أفلا تعلم أن عمر ولده ؟ قال : بلى ، قال : فلم تلومني ان وليت ابن
 عامر^(١) في رحمه وقربائه ؟ فقال علي عليه السلام : إن كان عمر يطاءً على صماخ من
 يوليه ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة ، وأنت فلا تفعل ضعفت
 ورققت على أقربائك ، فقال عثمان : أفلا تعلم أن عمر ولي معاوية فقد وليته ؟
 قال علي : انشدك الله ألا تعلم إن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ^(٢) غلامه
 له ؟ قال : بلى ، قال : فإن معاوية يقطع الامور دونك ويقول للناس هذا
 بأمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه ، ثم قام علي فخرج عثمان على أثره
 فجلس على المنبر فخطب الناس وقال : أما بعد ، فإن لكل شيء آفة ،
 ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الامة ، وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون
 يرونكم ما تحبون ، ويسرون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم ويقولون ،

(١) هو عبد الله بن عامر بن كريز العيشمي ابن خال عثمان ، لان ام
 عثمان أروى بنت كريز ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ،
 استعمله عثمان على البصرة سنة ٢٩ بعد أبي موسى الأشعري وكان عمره
 يوم ذاك ٢٤ سنة ، ثم ولده بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص فافتتح
 خراسان كلها وأطراف فارس وفي ولايته قتل كسرى يزديجرد وحج بعد هذه
 الفتوح ، وأحرم بالعمرة من نيسابور ، وقدم على عثمان بالمدينة وقال له
 عثمان صل قرابتك ففرق في قومه شيئاً عظيماً من الاموال والكسوات ، وعاد
 الى عمله الى ان قتل عثمان فلما سمع بقتله ، حمل ما في بيت المال وسار الى
 مكة فوافى بها طلحة والزبير وعائشة وهم يريدون الشام . قال لهم : ان
 الشام قد كفاكم معاوية امرها فأتوا البصرة فان لي بها صنائع ، وهي ارض
 اموال ، وبها عدد الرجال ، فساروا الى البصرة وسار معهم ، وشهد مشهدهم
 فلما انهزموا سار الى دمشق فاقام بها فلما تم الامر لمعاوية ولده البصرة ثلاث
 سنوات ، وتوفي سنة ٥٨ وأوصى الى عبد الله بن الزبير .

(٢) يرفأ حاجب عمر ادرك الجاهلية معدود في التابعين وحج مع عمر
 في خلافة أبي بكر .

أمثال النعام يتبع أول ناعق ، أحب مواردھا إليها البعيد ، لا يشربون إلا نفصاً^(١) ولا يردون إلا عكراً ، أما والله لقد عبت عليّ ما أقررت لابن الخطاب بثله ولكنه وطأكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتهم وكرهتم ، ولنت لكم وأوطأتكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليّ ، أما والله لآنا أقرب ناصراً وأعز نفراً ، وأكثر عدداً وأحرى إن قلت : هلم أن يجاب صوتي ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وكشرت لكم عن نايي ، وأخرجتكم مني خلقاً لم أكن احسنه ، ومنطقاً لم أكن أنطق به ، فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم ، وعيبكم على ولائكم ، فما الذي تفقدون من حقكم ؟ والله ما قصرت شيئاً عن بلوغ من كان قبلي ، وما وجدتكم تختلفون عليه فما بالكم ؟ فقال مروان بن الحكم فقال : وإن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف ، فقال عثمان : أسكت لأسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقت في هذا ؟ ألم أتقدم اليك أن لا تنطق ؟ فسكت مروان ونزل عثمان^(٢) .

١٦٣ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

أَبْتَدَعُهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ ٣ ، وَسَاكِنٍ
وَذِي حَرَكَاتٍ . فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ

(١) النفس محركة : صرف الابل عن الورد قبل اتمام شربها .
(٢) تاريخ الطبري : ج ٥ ص ٩٦ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
٢٢ ص ٤٨٢ ، البيان والتبيين : ج ١ ص ٢٠ ، (اعجاز القرآن) : ص ١١٨ .
(٣) الموات : ما لا حياة فيه كالارض والجبال ، والحيوان المخلوقات الحية .

صَنَعَتْهُ وَعَظِيمٍ قُدْرَتِهِ مَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً
 بِهِ ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ . وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى
 وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلَفِ صُورٍ ١ الْأَطْيَارِ الَّتِي
 أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا ، وَرَوَاسِي
 أَعْلَامِهَا ٢ . مِنْ ذَاتِ أَجْنَحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ
 مُتَبَايِنَةٍ ، مُصْرَفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ٣ وَمَرْفُوفَةٍ
 بِأَجْنَحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ ٤ ، وَالْفَضَاءِ
 الْمُنْفَرِجِ . كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ
 ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حَقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ . وَمَنَعَ
 بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ خَلَقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفًا ،
 وَجَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيفًا ٥ . وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي

(١) نعتت صاحبت ، وذرا : خلق .

(٢) أخاديد الأرض : شقوقها جمع اخدود ، والخروق جمع خرق :
 الأرض الواسعة ، تتخرق فيها الرياح ، الفجاج جمع فج : الطريق بين
 الجبلين والرواسي : الجبال .

(٣) مصرفة في زمام التسخير ، أي مسخرة تحت القدرة الإلهية .

(٤) مرفوفة بأجنحتها أي تبسطها وتقبطها عند الطيران ، والمخارق
 جمع مخرق وهي الفلاة وشبه الجو بالفلاة للسعة فيهما .

(٥) الحقائق - ككتاب - جمع حق - بالضم - مجمع المفصلين ،
 واحتجاب المفاصل : استتارها باللحم والجلد . والعبالة : الضخامة ،
 والخفوف : سرعة الحركة ، والدفيف للطائر : طيرانه فوق الأرض .

الأَصَابِيغُ ١ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ صَنَعَتِهِ . فَمِنْهَا
مَغْمُوسٌ فِي قَالْبٍ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ
فِيهِ . وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ ٢ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ
مَا صَبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ
فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ،
بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصْبَهُ ، وَذَنْبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا
دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيَّهِ ٣ ، وَسَمَّا بِهِ مُطْلَأً عَلَى
رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُوتِيَّةٌ . يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ ،
وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ ٤ . يُفْضِي كإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ ، وَيَوُرُّ

-
- (١) نسقها : رتبها ، وأصابع جمع أصباغ ، وأصباغ جمع صبغ
(٢) المغموس الاول : هو ذو اللون الواحد ، والمغموس الثاني ذي
اللونين كأن يكون لونه أحمر وعنقه خضراء ، والقالب : مثال تفرغ فيه
الجواهر لتأتي على قدره
(٣) التَنْضِيدُ : النظم والترتيب ، وأشرج قصبه : داخل بين آحادها
ونظمها على اختلافها في الطول والقصر ، إذا درج أي مشى إلى انشاء
ليسافدها نشر ذلك الذنب .
(٤) سما به : أي ارتفع ، ويختال : يعجب ، ويميس : يتبختر ،
والزيفان - هنا - حركة ذنب الطاووس يمينا وشمالا .

بِمَلَاقِحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضَّرَابِ ١ . أُحِيلُكَ
 مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةٍ ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ
 إِسْنَادُهُ ٢ . وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ
 تَسْفَحُهَا مَدَامَعُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتِي جُفُونُهُ وَأَنَّ أَثْنَاهُ
 تَطْعَمُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحٍ فَحْلٍ سِوَى
 الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعِمَةِ
 الْغُرَابِ . تَخَالُ قَصْبَهُ مَدَارِي مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا
 مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْعَقِيَانِ ٣ وَفَلَذَ

(١) يفضى : اي يسافد انشاه كما تسافد الديكة جمع ديك ، ويؤر :
 كيشد اي يأتي انشاه ، بملاحقة : اي مسافدة ، والمفتلمة : الهائجة ،
 والضراب : لقاح الفحل بانشاه .

(٢) اي انه لم يقل ذلك عن اسناد ضعيف بل عن عيان ومشاهدة
 رد عليه السلام بذلك على من زعم ان الذكر من الطواويس تدمع عينه فتقف
 الدمعة بين اجفانه فتأتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة ، ثم قال
 وحتى لو صح هذا الزعم فما هو بأعجب من مطاعمة الغراب لان العرب
 يزعمون : ان لقاح الغرابان من مطاعمة الذكر والانثى منهما وانتقال جزء من
 الماء الذي في قانسته اليها من منقاره .

(٣) القصب جمع قصبة وهي عمود الريشة ، والمداري جمع مدراة
 وهي ما يصنع من خشب أو حديد كاسنان المشط وأطول منه يسرح به
 الشعر المتلبد . والدارات : هالات القمر ، والعقيان الذهب الخالص .

الزبرجد . فَإِنْ شَبَّهَتْهُ بِمَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ قُلْتُ جَنِيُّ
جَنِيٍّ مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَبِيعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتُهُ بِالْمَلَابِسِ
فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلِيِّ ، أَوْ مُونِقِ عَصَبِ الْيَمَنِ ١ . وَإِنْ
شَاكَلَتْهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِقَتْ
بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ ٢ . يَمْشِي مَشْيَ الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ ٣
وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحِيهِ فَيُقَهِّقُهُ ضَاحِكًا لِحِمَالِ سِرْبَالِهِ
وَأَصَابِيغِ وَشَاحِهِ ٤ ، فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا
مُعُولًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْ أَسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ
تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ هـ

(١) الجنى : المجتنى ، وموشى الحلل : المنقوش المنمنم ، والعصب
- بالفتح - ضروب من البرود منقوش
(٢) اللجين : الفضة ، ونطقت : جعلت كالنطق لها ، والمكلل : المزين
بالجواهر .

(٣) المرح : المعجب ، والمختال : الزاهي

(٤) السربال : اللباس مطلقا ، أو الدرع خاصة ولوشاح - بالكسر -
شيء ينسج من اديم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها
ولفظ الضحك والقهقهة والسربال والوشاح مستعار .

(هـ) زقا : صاح ، ومعولا من أعولت الفرس : اذا صوتت ومنه العويل
وأحمش الساق ، دقيقه ، والديك الخلاسي - بكسر السين - المتولد بين
الديك الهندي والدجاجة الفارسية .

وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صَيْصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ ١ . وَلَهُ
فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةٌ خَضِرَاءُ مُوشَاةٌ ٢ . وَمَخْرَجٌ
عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيْقِ . وَمَغْرُزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ
الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ ٣ ، أَوْ كَحَرِيرَةِ مُلْبَسَةِ مَرْءَةٍ ذَاتِ
صِقَالٍ وَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمٍ ٤ . إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ
لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاصِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ
بِهِ . وَمَعَ فَتْقٍ سَمِعَهُ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ
الْأَقْحُوَانِ أَبْيَضٍ يَقْقُ . فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادٍ مَا هُنَالِكَ
يَأْتَلِقُ ٥ . وَقَلٌّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ ٦ ، وَعَلَاهُ

-
- (١) نجمت : نبتت ، وظنبوب الساق - كعرقوب - عظمة الاسفل ،
والصيصية : شوكة تكون في رجل الديك وبعض الطيور .
(٢) القنزعة - بضم القاف والزاي بينهما سكون : الخصلة من الشعر
تترك على رأس الصبي ، وموشاة : منقوشة .
(٣) مغرزاها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهيا الى مكان البطن ،
والوسمة : خضاب معروف .
(٤) الصقال : الجلاء ، وملتفع : ملتحف ، والمعجر - كمنبر - ثوب
تعتجر به المرأة فتمر طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها
حتى ترده الى الطرف الاول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وهو معنى التلغ
ههنا ، والاسحم : الاسود .
(٥) الاقحوان : البابونج ، واليقق - بالتحريك - شديد البياض ،
ويقالق : يلمع .
(٦) القسط : النصيب .

بِكثْرَةٍ صَقَالَهُ وَبَرِّيقَهُ وَبَصِيصٍ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ ١ .
 فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمُبْثُوثَةِ لَمْ تَرْبِّهَا ٢ أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا
 شُمُوسٌ قَيْظٍ . وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيْشِهِ ، وَيَعْرِى مِنْ
 لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرِي ٣ ، وَيَنْبُتُ تَبَاعاً ، فَيَنْحَتُ
 مِنْ قَصْبِهِ أَنْحَتَاتٍ أَوْ رَاقٍ الْأَغْصَانِ ، ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَامِياً
 حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ . لَا يُخَالِفُ سَالِفَ
 أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ ٤ . وَإِذَا تَصَفَّحْتَ
 شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتَكُ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً
 خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً ٥ . فَكَيْفَ
 تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ ٦ ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ

(١) البصيص : البريق .

(٢) تربها : تربيتها وتجمعها .

(٣) يتحسر : ينكشف ، وتترى شيئا فشيئا .

(٤) أي تساقط ريشه ثم نمت مرة أخرى تعود كل ريشة ملونه بلون الريشة الأولى وفي مكانها فلا يتخالف الاوائل والاواخر .

(٥) العسجد : الذهب

(٦) عمائق جمع عميقة ، والقرائح جمع قريخة : الخاطر .

الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ . وَأَقْلُ
أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةُ أَنْ
تَصِفَهُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ ١ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ
جَلَاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتُهُ مَحْدُوداً مُكُوناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً .
وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ
تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ . وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ ٢ وَالْهَمْجَةَ
إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَتَانِ وَالْأَفِيلَةِ . وَوَأَيُّ عَلَى
نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَيْخٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا
وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ ٣ .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ
نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسُكَ ٤ عَنْ بَدَائِعِ
مَا أَخْرَجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا وَزَخَارِفِ

(١) بهر : غلب ، وجلاه : اظهره .

(٢) الذرة : النملة الصغيرة ، والهمجة واحدة الهمج وهو ذباب صفار
كالبعوض يتطاير على وجوه الغنم والجمر واعينها .

(٣) وأى : وعد

(٤) عزفت : كرهت وزهدت

مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلَتْ بِأَلْفِكْرِ فِي أَصْطَفَاقِ أَشْجَارِهَا
 غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمَسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ،
 وَفِي تَعْلِيْقِ كَبَائِسِ اللَّوْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيْجِهَا
 وَأَفْنَانِهَا ٢ ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ
 أَكْمَامِهَا ٣ . تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ ٤ فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةٍ
 مُجْتَنِيْهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَالِهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا
 بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ ٥ ، قَوْمٌ لَمْ
 تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتِمَادِي بِهِمْ ٦ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ ،
 وَأَمْنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ
 بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُونِقَةِ ٧

-
- (١) اصطفاق الاشجار : تضارب اوراقها بالنسيم ، وتروى اصطفاف
 - بالفاء - اي انتظامها صفا
 (٢) الافنان جمع فنن الفصن
 (٣) غلّف - بالضم - جمع غلاف ، واكمام جمع كم ، وعاء الطلع ،
 وغطاء النور
 (٤) تجنى - بالجيم - تقتطف من غير تكلف .
 (٥) العسل المصفق : المصفى تحويلا من اناء الى اناء ، والمروقة: المصفاة
 بالراووق وهو المصفاة
 (٦) يقال : تمادى بالامر اذا لج فيه وتوسع
 (٧) المونقة : المعجبة

لَزَهَقْتَ نَفْسَكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَلْتَ مِنْ مَجْلِسِي
هَذَا إِلَى مَجَاوِرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلَنَا اللَّهُ
وَأَيَّكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال الرضي رحمه الله تعالى : تفسير بعض ما في هذه الخطبة من
الغريب، قوله عليه السلام : « ويؤر بملاقحة » : الار كناية عن النكاح،
يقال : أر المرأة يؤرها أي نكحها ، وقوله : « كأنه قلع داري عنجه
نوتي » : القلع : شراع السفينة، وداري : منسوب الى دارين، وهي بلدة
على البحر يجلب منها الطيب . وعنجه أي عطفه . يقال عنجت الناقة -
كنصرت - أعنجه عنجاً اذا عطفها . والنوتي : الملاح . وقوله : « ضفتي
جفونه » : أراد جانبي جفونه . والضفتان الجانبان . وقوله : « وفلذ
الزبرجد » الفلذ : جمع فلذة ، وهي القطعة . وقوله : « كبائس اللؤلؤ
الرطب » الكباسة : العذق^(١) والعساليح الغصون ، واحدها عسلوج .

(١) العذق للنخلة كالعنقود للعنب وما قامت عليه من العرجون

روى الزمخشري^(١) في الجزء الأول من (ربيع الأبرار) صفته عليه السلام للجنة من (فلو رميت ببصرك) الى (وأمنوا نقلة الأسفار) وفسر ابن الاثير في « النهاية » غريبها ، ففي الجزء الاول ص ٢٧ قال : في خطبة علي بن أبي طالب (يفضي كافضاء الديكة ، ويؤثر بملاقحة) . وتأمل قوله : في خطبة علي ، وقال في الجزء الثاني ص ١٤٠ مادة (دور) ومنه كلام علي (كأنه قلع داري) وقال في الجزء الثالث ص ٢٣٨ مادة (عسلج) ومنه حديث علي (تعليق اللؤلؤ الرطب في عساليجها) وفسر الجميع بنحو ما فسر الرضي وفي نقصان كلمة (كبائس) دليل على أن ابن الاثير نقل ذلك عن غير (نهج البلاغة) .

هذا وقد تقدم منا كلام على هذه الخطبة في الجزء الاول من هذا الكتاب ص ١٨٩ فراجع إن شئت .

(١) الزمخشري - نسبة الى زمخشر قرية من قرى خوارزم - وهو جدار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن محمد من اكابر علماء المعتزلة صاحب المؤلفات المعروفة كـ (اساس البلاغة) و (الفائق) و (أطواق الذهب) و (الانموذج) و (الكشف) و (ربيع الأبرار) وقد اطلعت على نسخ مخطوطة من (ربيع الأبرار) في النجف وبغداد والمدينة المنورة ومكة المكرمة ودمشق وقد نقل في هذا الكتاب كثيرا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بصور تدل بكل وضوح على أنها لم تنقل عن (نهج البلاغة) وقال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ٢ ص ٤٨٨ عن الزمخشري : « مذهبه في الاعتزال ونصرة اصحابنا - اي المعتزلة - معلوم ، وكذلك في انحرافه عن الشيعة ، وتسخيفه لمقالاتهم » توفي الزمخشري بجزانیه بعد رجوعه من مكة سنة ٥٣٨ .

١٦٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِيَتَّسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ١ ، وَلِيَرَأَوْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ . وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ . كَقَيْضٍ بَيْضٍ فِي أَدَاخٍ ٢ يَكُونُ كَسْرُهَا وَزَرًّا . وَيُخْرِجُ حَضَانَهَا شَرًّا .
(مِنْهَا) أَفْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمِ ، وَتَشْتَتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ .
فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُضَنِ أَيْنَمَا مَالَ مَالٌ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا كَرُّكَامِ السَّحَابِ ٣ . ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ

(١) يتأس : يقتدي لان الكبير احزم واكثر تجربة .

(٢) قَيْضُ الْبَيْضِ : كَسْرُهُ ، وَالْأَدَاخُ - فِي الْأَصْلِ - الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَضَعُ النِّعَامُ فِيهَا بَيْضَهُ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْحُوها بِأَرْجُلِهَا أَيْ تَوْسِعُهَا ثُمَّ سَمِيَ بِذَلِكَ أَعْيَاشُ الْقَطَا وَالْحَيَاتِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَارَّ يَمُرُّ عَلَى الْبَيْضِ فَيَرَاهُ فِي الْإِدَاخِ فَيُظَنُّهُ بَيْضٌ قَطَا فَيَتَجَنَّبُ كَسْرَهُ وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ بَيْضُ الْإِفَاعِي لَا يَخْرُجُ حَضَانَهُ إِلَّا شَرًّا فَشَبَّهَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُفَاةَ الْجَاهِلِيَّةِ بِذَلِكَ لَا يَحِلُّ إِذَا هُمْ لِحَرَمَةِ ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ أَهْمَلُوا وَتَرَكُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا شَيَاطِينَ .

(٣) الْقَزَعُ - مُحَرَّكَةٌ - الْقَطْعُ الْمَتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ جَمْعُ قَزْعَةٍ - بِالتَّحْرِيكِ - وَالرُّكَامُ : السَّحَابُ الْمَتْرَاكُمُ ، وَالْمُسْتَشَارُ : مَوْضِعُ انْبِعَاطِهِمْ ثَائِرِينَ ، وَسِيلُ الْجَنَّتَيْنِ : سِيلُ الْعَرَمِ

مُسْتَشَارِهِمْ كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ
قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصٌ
طَوْدٌ ، وَلَا حَدَابُ أَرْضٍ ١ . يُزَعِزُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ
أَوْدِيَّتِهِ ٢ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ
مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمْكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ
وَأَيْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالْتِمَكِينِ
كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ ٣ .

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ، وَلَمْ
تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مِنْ لَيْسَ
مِثْلِكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَ مِنْ قَوِي عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي لَيُضَعِّفَنَّ لَكُمْ أَلَّتِيهِ مِنْ بَعْدِي
أَضْعَافًا ٤ بِمَا خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمْ

(١) القارة كالقراءة : ما اطمئن من الارض ، والاكمة - محرقة غليظ
من الارض يرتفع عما حواليه ، والسنن - هنا - الجري ، والطود : الجبل
العظيم ، والرص : الانضمام والتلاصق ، والحداب جمع حدب - بالتحريك -
ما غلظ من الارض في ارتفاع .

(٢) يزعرهم : يفرقهم ، وبطون الاودية : كناية عن مسالك الاختفاء .

(٣) الالية - بالفتح - الية الشاة .

(٤) اي لتزدان لكم الحيرة اضعاف ما هي لكم الان .

الْأَذْنَى وَوَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمْ
الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَا جَ الرَّسُولِ ، وَكُفَيْتُمْ
مَوْوَنَةَ الْإِعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمْ الثَّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ
الْأَعْنَاقِ ١ .

رواهما قبل الشريف الرضي سليم بن قيس في كتابه ص ٨٩ كما رواهما
الكليني في (روضة الكافي) ص ٦٢ ويظهر من روايته لها ورواية المفيد في
(الارشاد) ص ٣٧٣ أن المختار هنا وما مر برقم (٨٦) (٢) من خطبة واحدة
في مقام واحد وسيأتي ذكر مصدر لها في باب الكتب برقم (٤٧) .

١٦٥ - وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في أوائل خلافته

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .
فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَأَصْدُقُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ
تَقْصِدُوا ٣ . الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ ، أَدُّوْهَا إِلَى اللَّهِ تَوَدَّكُمْ
إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ

(١) الفادح من فدحه الدين إذا أثقله .

(٢) انظر هذا الجزء ص ١٣٤

(٣) اصدقوا : اعرضوا ، والسمت الجادة ، وتقصدوا : تعدلوا
والقصود : العدل .

حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ ١ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا ٢ . فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَلَا يَحِلُّ أَذْيُ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ . بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ ٣ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلَحُّقُوا ، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ . اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

. هذه الخطبة رواها الطبري في (التاريخ) ج ٥ ص ١٥٧ في حوادث سنة ٣٥ ، وقد مر جزء منها برقم (٢١) .

(١) غير مدخول : لا عيب فيه ولا نقص

(٢) أي جعل حقوق المسلمين مرتبطة بالاخلاص والتوحيد ، ومعاقدها : مواضعها من الدم .

(٣) سمي الموت أمر العامة لأنه يعم جميع الأحياء ثم سماه خاصة أحدكم لأن له مع كل واحد منهم خصوصية زائدة على العموم .

١٦٦ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد ما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب^(١) على عثمان؟ فقال عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ^(٢) ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ . وَهَذَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ . وَالتَفْتُ إِلَيْهِمْ أَغْرَابُكُمْ ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا^(٣) . وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ . إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ . وَإِنَّ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً^(٤) . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ الْحَقُوقُ

(١) أجلب عليه : أعان عليه .

(٢) شوكتهم : شدتهم ، أي لم تنكسر سورتهم

(٣) عبدانكم - بضم العين - عبيدكم ، والتفت إليهم ، انضمت إليهم ، واختلطت بهم ، وهم خلالكم : أي بينكم ، ويسومونكم : يكلفونكم

(٤) مادة : عون ومدد

مُسْمِحَةً فَاهْدَأُوا عَنِّي ١ ، وَأَنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي .
وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تَضَعُضِعُ قُوَّةً ، وَتَسْقِطُ مَنَّةً ، وَتُورِثُ
وَهْنًا وَذَلَّةً ٢ . وَسَامِسْكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ
أَجِدْ بُدْأً فَاخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ ٣ .

هذا الكلام رواه الطبري في (التاريخ) ج ٥ ص ١٥٨ في حوادث
سنة ٣٥ .

١٦٧ - وَمَنْ خَطْبَيْتُ لِبَعْضِ السَّيِّئَاتِ

عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ،
لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ . وَإِنَّ الْأُمُتَدَّعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ

(١) سمحة : من اسمح اي ذل وانقاد .

(٢) المنة - بضم الميم - كقنة : القوة ، والوهن والضعف .

(٣) اي سامسك نفسي عن محاربة الناكثين ما امنني والا فاخر الدواء
الكي : يريد القتال ، ويقال آخر الطب الكي : وهو مثل مشهور من الامثال
التي تمثل بها امير المؤمنين في كلامه وللعلامة الاستاذ الشيخ عبد الهادي
الفضلي موضوع قيم بعنوان (الامثال في نهج البلاغة) ذكر فيه ما تمثل به
عليه السلام من كلام غيره .

هَنَ الْمُهْلَكَاتُ ١ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا . وَإِنْ فِي سُلْطَانِ
 اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلُومَةٍ
 وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا ٢ . وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ
 سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَارِزَ
 الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ ٣ .

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي ٤ ، وَسَأَصْبِرُ
 مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيَالَةِ
 هَذَا الرَّأْيِ هَ أَنْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا
 هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ

(١) أمر قائم : أي مستقيم ليس بلدي عوج ، المشبهات - بفتح الباء -
 أي التي تشبه السنن وليس منها .

(٢) غير ملومة أي مخلصين غير ملومين عليها بالنفاق . ولا مستكره
 بها : أي ليست عن استكراه

(٣) يارز : ينقبض وينضم

(٤) تمالأوا : اجتمعوا وتعاونوا ، والسخطة - بالفتح - الكراهة وعدم
 الرضا

(٥) فيالة الراي : ضعفه ، وكذلك فيولته ، ورجل فيل الراي :
 ضعيفه .

الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقِيَامُ
بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ ١ .

روى الطبري هذه الخطبة في (التاريخ) ج ٦ ص ١٦٣ الى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :
« حتى يأزر الأمر الى غيركم » .

١٦٨ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب
عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول
الشبهة من نفوسهم فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على
الحق ، ثم قال له بايع ، فقال: اني رسول قوم ولا احدث حدثاً حتى
ارجع اليهم . فقال عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي
لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَالِ
وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ ٢ مَا كُنْتَ

(١) النعش : الرفع

(٢) مساقط الغيث : المواضع التي يقع فيها ، والكلا : النبت اذا
طال وأمكن ان يرمى وأول ما يظهر يسمى الرطب فاذا طال قليلا فهو الخلا
فاذا طال شيئا آخر فهو الكلا ، فاذا يبس فهو الحشيش ، والمعاطش
والمجاذب موضع العطش والجذب .

صَانِعاً ؟ قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالَفَهُمْ إِلَى الْكَلَالِ وَالْمَاءِ .
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَاْمُدُّ إِذَا يَدَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ
مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنَعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالرَّجُلُ يُعَرَفُ بِكَلِيبِ الْجَرْمِيِّ .

هذا الكلام رواه الواقدي بسنده عن عامر بن كليب عن أبيه ، قال :
لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلاً حتى قدم طلحة والزبير البصرة ، ثم ما لبثنا
بعد ذلك إلا يسيراً حتى أقبل علي بن أبي طالب بذي قار ، فقال شيخان
من الحبي : اذهب معنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو إليه ، فلما أتينا
ذا قار قدمنا على أذكى العرب ، فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول
هو أعلم به مني ، وأطوع فيهم ، فقال : من سيد بني راسب ؟ فقلت : فلان
فقال : فمن سيد بني قدامة ؟ قلت : فلان لرجل آخر ، فقال : أنت مبلغها
كتابين مني ؟ قلت : نعم ، قال : أفلا تبايعني ؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا
معي وتوقفت عن بيعته ، فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم ،
يقولون : بايع بايع ، فقال : دعوا الرجل ، فقلت : إنما بعثني قومي رائداً
وسانهي اليهم ما رأيت ، فإن بايعوا بايعت ، وإن اعتزلوا اعتزلت ، فقال :
أرأيت لو أن قومك بعثوك رائداً ... الخ^(١)

ورواه الطبري في (التاريخ) ج ٥ ص ١٩٢ في حوادث سنة ٣٦ والزمخشري
في (ربيع الأبرار) في باب الجوابات المسكتة ورشقات الكلام ، وكليب بن

(١) الجمل للمفيد : ص ١٥٦ عن كتاب (الجمل) للواقدي .

شهاب الجرمي من أكبر التابغين بالكوفة ، وقيل : إن له ولأبيه صحبة ^(١) .
وقال ابن أبي الحديد : لا شيء أطف ولا أوقع ولا أوضح من المثال الذي
ضربه عليه وهو حجة لازمة لا مدفع لها ^(٢) .

١٦٩ - قَوْلُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ ٣ ،
الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ . وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ
سَبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ٤ . وَرَبَّ
هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ ، وَمَدْرَجًا لِلْهَوَامِّ

(١) الاصابة في حرفي الكاف والشين

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٤٩٤

(٣) قال الشيخ محمد عبده : « الجو ما بين الارض والاجرام العالية ،
وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه ، ولا يعد جنسه ، وهو بحر
تسبح فيه الكائنات الجوية ولكنها مكفوفة عن الارض لا تسقط عليها حتى
يريد الله احداث امر فيها ، ومغيضا من غاض الماء اذا نقص ، كان هذا
الجو منبع الضياء والظلام ، وهو مغيضا كما يفيض الماء في البئر ، والكلام
الاتي صريح في ان الكواكب السيارة تختلف اي يختلف بعضها في الجو فهو
مجال سيرها وميدان حركتها ، فعلى هذا يكون معنى المكفوف : المنوع

(٤) السبط : الامة ، ولا يسأمون : لا يملون

وَالْأَنْعَامِ ١ ، وَمَا لَا يُحْصِي مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى ،
وَرَبَّ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي الَّتِي جَعَلَتْهَا لِلْأَرْضِ أُوتَاداً ،
وَلَدَخَلِقِ اعْتِمَاداً ، إِنَّ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُونَا فَجَنَّبْنَا
الْبَغْيَ ، وَسَدَدْنَا لِلْحَقِّ . وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا
الشَّهَادَةَ وَأَعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ . أَيُّنَ الْمَانِعِ لِلدَّمَارِ
وَالْفَائِرِ عِنْدَ نَزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ . أَلْعَارِ
وَرَاءَكُمْ . وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ ٢ .

من رواية هذا الدعاء قبل الرضي :

- ١ - نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ٢٣٢ بسنده عن زيد بن وهب عنه عليه السلام ونقله عنه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ١ ص ٤٨٠ .
- ٢ - الحسين بن سعيد الاهوازي في كتاب (الدعاء والذكر) - على ما حكاه ابن طاووس في (مهج الدعوات) - باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان من دعاء أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم صفين : اللهم رب هذا السقف المرفوع ... الخ .

- ٣ - الطبري في (التاريخ) ج ٦ ص ٨ في حوادث سنة ٣٧ عن أبي مخنف بسنده عن زيد بن وهب الجهني أن علياً خرج اليهم غداة يوم الاربعاء فاستقبلهم فقال : اللهم رب السقف المرفوع .. الخ .

(١) قرار الانام : موضع استقرارهم ، ومدرج الهوام محل دروجهم وحرركاتهم ، والهوام : المخوف من الحشرات والاحناش .
(٢) الدمار : ما يحامى عنه ، الفائر : الفيور ، والحقائق : الامور الشديدة .

١٧٠ - وَمَنْ خُطِبَ إِلَيْهِ عَلَى الْمِنْبَرِ لَمْ يَلْمِزْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءُ سَمَاءٍ ، وَلَا
أَرْضٌ أَرْضاً .

(مِنْهَا) وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا أَبْنَا أَبِي
طَالِبٍ لَحْرِيصٌ ، فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ،
وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ
تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ ١ . فَلَمَّا
قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا
يُجِيبُنِي بِهِ ٢ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ،
فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا
عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي . ثُمَّ قَالُوا: إِلَّا أَنْ فِي الْحَقِّ أَنْ

(١) ضرب الوجه كناية عن الرد والمنع

(٢) قرعته بالحجة : صدمته بها ، وفسر ابن أبي الحديد قوله عليه
السلام : هب . . الخ كأنما استيقظ من نومه غافلاً ذاهلاً ، وقال الشيخ
محمد عبده : هب من هبيب التيس اي صياحه اي كان يتكلم بالمهمل مع
سرعة حمل عليها الغضب كأنه مخبول .

تَأْخُذُهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ ١ .

منها في ذكر أصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
كَمَا تُجْرُ الْأَمَةُ عِنْدَ شَرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ،
فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا ، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا
مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ
طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَانِ بَيْتِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا . فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا ٢ ،
وَطَائِفَةً غَدْرًا . فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا
رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلَّ لِي
قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ
يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ . دَعَا مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنْ
الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ .

(١) اي انهم اعترفوا بانه في الحق ان يأخذ الامر ثم اعطوه لغيره وقالوا
في الحق ان تتركه ، فتناقض حكمهم في الحقيقة في القضيتين
(٢) القتل صبرا : هو ان يقاد المقتول للقتل .

قد مر في الخطبة المرقمة (١٢٥) والتي أول ما ذكر الرضوي منها قوله عليه السلام : « والله ما أنكروا علي منكراً » الخ أن هذا الكلام من جملة كتاب كتبه سلام الله عليه في أواخر أيام خلافته ، استعرض فيه الأحداث التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ إلى حين كتابة ذلك الكتاب وأمر أن يقرأ على الناس ، وذكرنا مصادره السابقة (نهج البلاغة) هناك ؛ والذي قال للامام عليه السلام (إنك على هذا الأمر لحريص) هو عبد الرحمن بن عوف قال ذلك يوم الشورى ذكر ذلك الطبري في « المسترشد » ص ٨٠ .

وقال ابن أبي الحديد : والذي قال له : (إنك على هذا الأمر لحريص ، سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه : (أنت مني بمنزلة هرون من موسى) وهذا عجب فقال لهم : بل أنتم أحرص وأبعد ... الكلام المذكور ، وقد رواه الناس كافة وقالت الامامية : هذا الكلام قاله يوم السقيفة والذي قال له : إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح والرواية الأولى أظهر وأشهر اه (١) .

وليت ابن أبي الحديد ذكر لنا قائل ذلك من الامامية حتى نكون على بينة من الامر ، وقد ذكرنا رواية صاحب (المسترشد) وهو من علماء الامامية أن الكلام يوم الشورى والقائل عبد الرحمن بن عوف .

أما قوله عليه السلام (اللهم اني استعينك على قریش) فسيأتي الكلام على مصادره تحت رقم ٢١٥ وفي معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام « فخرجوا يجرون حرمة رسول الله ﷺ » قال غلام شاب من بني سعد لطلحة والزبير أرى امكما معكما ، فهل جئتما بنسائكما ؟ قالوا : لا ، قال : فما أنا منكما في شيء واعتزل ، وقال السعدي في ذلك :

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٤٩٥

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم
أمرت بجر ذيلها في بيتها
هوت تشق اليد بالايحاف^(١)
بالنبيل والخطي والأسياف^(٢)
هتكت بطلحة والزير ستورها
هذا المخبر عنهم والسكافي^(٣)

١٧١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمِينٌ وَخِيه ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ
نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ،
وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتَبَ ،
فَإِنْ أَبِي قَتِيلَ . وَلَعَمْرِي لَشُنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ
حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ
أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ
يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ .

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ،

(١) تشق : تقطع ، والايحاف : الاسراع في السير .
(٢) الغرض : الهدف ، والخطي : الرمح منسوب الى خط
(٣) تاريخ الطبري : ج ٥ ص ١٧١ حوادث سنة : ٣٦
(٤) الشغب : تهيج الشر ، واستعتب : يكلف بان يطلب العتبي اي
الرضا عنه .

وَأَخَّرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ .

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَّا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ ،
وَحَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ . وَقَدْ فَتَحَ بَابُ الْحَرْبِ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا
أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ ، وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ . فَاْمْضُوا
لِمَا تُوْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ . وَلَا تَعْجَلُوا
فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ
غَيْرًا ٢٠ .

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ
فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ،
وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ .
أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا . وَهِيَ

(١) أهل القبلة من يشهد الشهادتين ويصلى الى القبلة ، ولم يكن
المسلمون يعرفون قبل حرب الجمل حكم قتال أهل القبلة ، وإنما تعلموا
فقه ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال الشافعي : أولا علي لما عرف
شئى من احكام أهل البغي . وأهل البصر : أهل النظر

(٢) غيرا أي تغييرا .

وَأِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرْتُكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا
لِتَحْذِيرِهَا ، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا . وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى
الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا .
وَلَا يَخْنِنُ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَّةِ عَلَى مَا زُويَ عَنْهُ مِنْهَا ١ .
وَأَسْتَتِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ،
وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا أَسْتَحْفَظْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا
يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ
دِينِكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ
حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا
وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهِمَّ إِنَّا لَوِائِلُ الصَّبْرِ .

روى الفصل الاخير من هذه الخطبة وهو قوله عليه السلام : (ألا وإن
هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها ... » الخ قبل الرضي ابن شعبة في « تحف
العقول » ص ١٣٠ ، كما أورد أبو جعفر الاسكافي المتوفى سنة ٢٤٠ بعض هذا
الكلام في رسالته « نقض العثمانية » (٢) .

(١) الخنن ضرب من البكاء يردد به الصوت في الانف ، وزوي
عنه : نحي عنه

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد م ٢ ص ١٧١ - ١٧٣

١٧٢ - وَفِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى طلحة بن عبيد الله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ ،
وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ ، وَاللَّهُ مَا اسْتَعْجَلَ
مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ ١ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ
بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظْنُونُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ
منهُ ٢ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلبَسَ
الْأَمْرَ ٣ وَيَقَعَ الشُّكُّ . وَوَاللَّهُ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ
وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَعِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا - كَمَا
كَانَ يَزْعُمُ - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازَرَ قَاتِلِيهِ ؛ أَوْ
يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ ، وَلَعِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ

(١) متجردا : متفرغا كأنه سيف تجرد من غمده

(٢) الضمير في عليه يعود الى دم عثمان اي على سفكه .

(٣) المفاظة : الإيهام ، واجلب : حرض ، ولبس الامر : خلطه ، يقال :
في الامر لبسة : أي شبهة .

(٤) يوازر: يعين ، قال ابن أبي الحديد : فان قلت: كيف قال: فما فعل
واحدة من ثلاث وقد فعل واحدة منها لانه وازر قاتليه حيث كان محصورا؟
قلت مراده ان يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ، ويمنعهم ممن يروم
دماءهم . والمناذرة : المراماة ، والمراد المعارضة .

أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهِنِينَ عَنْهُ ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ ١ . وَلَشِنْ
كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً ٢ وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ
وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ ، وَلَمْ
تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

هذه الخطبة تتصل بالخطبتين (٢٢) و (١٣٥) وقد أثرنا إلى ذلك هناك (٣)
ونزيد على ذلك أن الطوسي رواها في (الأمالي) ج ١ ص ١٧٢ بسنده
المتصل بإسماعيل بن الرجا الزبيدي ، قال : لما رجعت رسل أمير المؤمنين
عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنون بالحرب قام فحمد الله
وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال : يا أيها الناس إني قد راقبت هؤلاء
القوم كما يرفعون أو يرفعون ، وقد وبختهم بنكثهم ، وعرفتهم بغيهم ،
فليسوا يستجيبون ، ألا وقد بعثوا إلي أن أبرز إلى الطعان ، وأصبر للجلاد ،
فإنما منتك نفسك من أبناء الأباطيل ، هبلتهم الهبول قد كنت وما أهدد
بالحرب . الخطبة بزيادة على رواية الرضي ، واختلاف في بعض الألفاظ .

وقريباً منه ما رواه الخوارزمي في (المناقب) ص ١١٧ .

وفسر ابن الأثير غريب هذه الخطبة بكلا قسميه في مواطن من (النهاية)
منها في ج ١ ص ١٧١ وفي ج ٢ ص ١٦٧ مادة (ذمر) قال : ومنه حديث علي :

(١) نهنه عن الأمر : كفه وزجره ، والمعدرين فيه : المعتذرين عنه .

(٢) يركد جانباً : يسكن في جانب .

(٣) انظر ج ١ ص ٣٧٤ و ج ٢ ص ٣٠٧

« ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه » أي حضهم وشجعهم . وفي ج ٥/٦٦ مادة (نصف) قال : ومنه حديث علي « ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً » أي إنصافاً ، وفي ج ٥ ص ٢٤٠ ، قال : ومنه حديث علي « هبلتهم الهبول » أي شككتهم الشكول ، وهي - بفتح الهاء - من النساء التي لا يبقى لها ولد ، وفي ج ١ ص ٢٨٢ مادة (جلب) ، قال : وفي حديث علي رضي الله عنه « أراد أن يغالط بما أجلب فيه » يقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألّبوا ، وأجلبه : أعانه ، وأجلب عليه إذا صاح به واستحثه .

١٧٣ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَالتَّارِكُونَ
الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ ١ . مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى
غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ، كَأَنَّكُمْ نَعَمَّ أَرَا حَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرَعِي
وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ ٢ . إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدِي لَا
تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا ٣

-
- (١) غافلون : عما يراد بهم ، غير مغفول عنهم ، لان اعمالهم محفوظة ، تاركون ما يراد منهم ، والمأخوذ مرفوعة لانها صفة للتاركين ، ومعنى الاخذ منهم ، انتقاص اعمارهم ، وانتقاص قواهم .
(٢) النعم : الابل أو هي والغنم ، وأراح بها ذهب بها ، والسائم : الراعي ، ووبي أي ذو وباء ، ودوي : ذو داء .
(٣) المدى - بالضم والقصر - جمع مدية - مثلثة الميم - وهي الشفرة سميت بذلك لانها تقطع مدى حياة المقتول بها كما سميت السكين سكيناً لانها تسكن حركته .

وَشَبَّعَهَا أَمْرَهَا ١. وَاللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ
بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ
أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ ٢ .
وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطَقُ إِلَّا
صَادِقًا . وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ
يَهْلِكُ وَمَنْجِي مَنْ يَنْجُو ، وَمَالِ هَذَا الْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَى
شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضِي بِهِ
إِلَيَّ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهُ مَا أَحْكُمُ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ
إِلَيْهَا ، وَلَا أَنَّهَا كُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَآتَاهَا قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

(١) أي لا تنظر الى عاقبة امرها ، فلا تعد شيئا لما بعد يومها واذا
شبت ظنت ان لا شيء بعد الشبع ، قال الشيخ محمد عبده : هذا كلام
كانه ثوب فصل على اهل هذا الزمان .

(٢) مفضيه : مفض به أي مخرجه الى من يؤمن الكفر منه .

قال ابن أبي الحديد : وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة : « كَأَنِّي بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ مَنْصُوبًا هَهُنَا ، وَيَحْمُومُ إِنِ فُضِّلَتْهُ لَيْسَتْ فِي نَفْسِهِ ، بَلْ فِي مَوْضِعِهِ وَأُسْتُهُ ، يَكُتُّ هَهُنَا بَرَهَةً ، ثُمَّ هَهُنَا بَرَهَةً — وَأَشَارَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ — ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَأْوَاهُ ، وَامْ مَثْوَاهُ » قال : ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به^(١) .

وفيا ذكر دليل واضح على أن الخطبة مروية في غير (نهج البلاغة) وأنها أكثر مما نقله الرضي .

وروى الآمدي في (الفرر) ص ١٩١ في حرف اللام بلفظ « لو » من قوله عليه السلام : « لو شئت أن أخبر كل رجل منكم » . . الخ باختلاف يسير .

١٧٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ ، وَأَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ . فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ ٢ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ مِنْهَا لَتَتَّبِعُوا هَذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ الْجَنَّةَ

(١) شرح النهج م ٢ ص ٥٠٨

(٢) أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ : أَوْضَحَ عِذْرَهُ فِي عِقَابِكُمْ إِذَا خَالَفْتُمْ أَوْامِرَهُ وَالْعِذْرُ هُنَا مُجَازٌ فِي سَبَبِ الْعِقَابِ ، وَالْجَلِيَّةُ : الْيَقِينُ .

حَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حَفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ « وَأَعْلَمُوا
أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ ١ ، وَمَا مِنْ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا
نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ٢ ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ
النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْرَعًا ٣ . وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنزَعُ إِلَى
مَعْصِيَةِ فِي هَوَى . وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ
وَلَا يُحْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا
عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا ٤ . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ
وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ ،
وَطَوَّوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ ٥ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ،

(١) لان النفس للهوى اطوع منها للعقل .

(٢) نزاع عن الشيء اقلع واليه تاق .

(٣) منزع اي نزوعا بمعنى الكف عن المعاصي .

(٤) الظنون، في الاصل البئر التي لا يدري افيها ماء ام لا، فالؤمن متهم
لنفسه يظن فيها التقصير في كل وقت ، زاريا اي عابثا لها ، مستزيذا لها
اي طالبا الاكثار من عمل الخير .

(٥) التقويض : قلع اعمدة الخيمة واطنابها ، والمراد انهم على استعداد
للسفر ، وطووا مدة الحياة كما يطوى المسافر منازل سفره .

وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ .
 وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ
 نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى .
 وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ١ ،
 وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ
 وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ ٢ ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ
 الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغِيُّ وَالضَّلَالُ . فَاسْأَلُوا
 اللَّهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ٣
 إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ
 مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ . وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَّعَ فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَلَيْهِ ٤ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ »

(١) الفاقة : الفقر والحاجة .

(٢) اللأواء : الشدة .

(٣) أي تقربوا الى الله تعالى بالقرآن ، ولا تتقربوا به الى العباد
 بان تجعلوه وسيلة لنيل ما عندهم .

(٤) يقال : محل به - بتثليث الميم - عند السلطان كاده بتبيين سيئاته

(٥) الحرث : الكسب ، وحرثة القرآن : المتاجرون الله به .

وَعَاقِبَةُ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ « فَكُونُوا مِنْ حَرْثِهِ
وَاتَّبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَاسْتَغِشُوا فِيهِ
أَهْوَاءَكُمْ ١ .

الْعَمَلُ الْعَمَلُ ٢ ، ثُمَّ النَّهَايَةُ النَّهَايَةُ . وَالِاسْتِقَامَةُ
الِاسْتِقَامَةُ ، ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ ، وَالْوَرَعُ الْوَرَعُ . إِنَّ
لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا
فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ ٣ ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى
غَايَتِهِ ، وَآخِرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ
حَقِّهِ ، وَبَيِّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ ٤ .

(١) اي اتهموا كل رأي لكم يخالف القرآن بالخطأ ، وظنوا بكل هوى
لكم يخالفه الفس

(٢) النصب في العمل والمعطوفات عليه على الاغراء وحقيقته فعل مقدر
اي الزموا ، وكرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدر ، والاولى ان
يكون اللفظ الاول هو القائم مقام الفعل لانه في رتبته .

(٣) يعنى بالعلم نفسه عليه السلام .

(٤) الخروج من الحق اداؤه لصاحبه ، وحق الله في فرائضه ووظائفه :
الاخلاص بها لوجهه سبحانه .

أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ ١ .
 أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءُ الْمَاضِي
 قَدْ تَوَرَّدَ . وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَحُجَّتُهُ ٢ ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ
 عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٣ » وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ فَاسْتَقِيمُوا
 عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَا جِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ
 الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ . ثُمَّ لَا تَمُرُّوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا
 فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ
 عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ
 وَتَصْرِيفَهَا . وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا ، وَلِيُخْزِنِ الرَّجُلُ

(١) الشهيد : الشاهد ، والحجيج : المخاصم وقد اختلف الشارحون
 في معنى قوله هذا وفسره كل واحد بتفسير لا يحتمل المقام نقلها فليراجعها
 من شاء

(٢) توردد - كنزل - : أي ورد شيئاً بعد شيء وعده الله ، وعده
 للذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، وحجته قولهم : (ربنا الله)

(٣) فصلت : ٣١

(٤) لا تمرقوا منها : لا تخرجوا منها ، ولا تخالفوا : لا تعدلوا

(٥) تهزيع الاخلاق : تحطيمها ، وتصريف الاخلاق : تقليبها ينهي عن
 النفاق والتلون وهو معنى الامر بجعل اللسان واحداً .

لِسَانُهُ ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَاللَّهُ مَا
أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَدْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ ،
وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ . وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ
مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ
تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ
شَرًّا وَارَاهُ . وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا
يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ
قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنْ
اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةِ مِنْ
دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمٌ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ
فَلْيَفْعَلْ .

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَ
عَامًا أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ . وَإِنَّ مَا
أَحَدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ،

(١) اي المؤمن في كل الاحوال والازمان على طريقة واحدة لا يحدد عنها

وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ . فَقَدْ
 جَرَّبْتُمْ الْأُمُورَ وَضَرَسْتُمُوهَا ١ ، وَوَعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ
 قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتْ الْأَمْثَالُ لَكُمْ ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ
 الْوَاضِحِ ، فَلَا يَصُمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ ، وَلَا يَعْمَى
 عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ
 وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ ٢ . وَآتَاهُ التَّقْصِيرُ
 مِنْ أَمَامِهِ ٣ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ ٤ .
 وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعُ شَرْعَةٍ ، وَمُبْتَدِعُ بِدْعَةٍ
 لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بَرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ .
 وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ،
 فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْأَمِينِ وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ
 وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءَ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ

(١) ضرستموها : جربتموها .

(٢) البلاء : الامتحان

(٣) حيث انه لم ينتفع بالبلاء والتجارب ، ولم تؤثر فيه الموعظة صار
 التقصير دائما امامة حيث ما توجه وانى ذهب .

(٤) اي انه لتقصيره ونقصانه صار يتخيل فيما انكره وجهله انه
 عارف بحقيقته ويطرا عليه خيال آخر فينكر ما كان يعرفه ويعكم بصحته

ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ ، فَإِذَا
رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا
عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ :
« يَا ابْنَ آدَمَ أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ
قَاصِدٌ » .

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا
يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ . فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا
يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ
أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ
عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ ٢ . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ
الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا . الْقَصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ
هُوَ جَرْحًا بِأُمْدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ ، وَلَكِنَّهُ مَا
يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ . فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ ،

(١) الجواد القاصد : السهل السير لا سريع فيتعب بسرعة ، ولا بطيء
يفوت الغرض ببطئه .

(٢) الهنات - بفتح الهاء - جمع هنة - بفتح هاء - وهي الخصلة
من الخصال .

فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيهَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيهَا
تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ ١ . وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا
بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِنْ مَضْيَ وَلَا مِنْ بَقِي .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ
النَّاسِ ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَاشْتَغَلَ
بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ
فِي شُغْلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .

قال ابن أبي الحديد والشيخ كال الدين البحراني في شرحيهما على (نهج البلاغة)
إن هذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويغ بعد قتل عثمان (٢)
ولو لم يكونا قد اطلعا عليها في غير (نهج البلاغة) لما ذكرا ذلك لأن الرضي
لم يشر اليه .

وروى الزنجشيري بعض هذه الخطبة في الجزء الأول من (ربيع الأبرار)
ص ٢١٩ (مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) في باب الجوابات المسكتة
ورشقات اللسان ، والسكوت وقلة الاسترسال من قوله عليه السلام : (وليخزن

(١) أي ان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلاً ، خير لكم
من الافتراق في الباطل المحبوب عندكم كترك الجهاد .
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٢ ص ٥١٢ وشرح النهج لابن
ميثم ج ٣ ص ٣٥٨

الرجل لسانه) إلى (ماذا له وماذا عليه) ولكنه رواها هكذا (اختزن رجل لسانه) ورواية الرضي (وليخزن الرجل) و (إن قلب الكافر) ورواية الرضي (قلب المنافق) وليس في رواية الزمخشري كلمة (تنفعه) وفي ذلك ما يدل أن له مصدراً غير « النهج » .

وروى الزمخشري أيضاً في نفس الباب من هذه الخطبة قوله عليه السلام : (ولقد قال رسول الله ﷺ ...) الخ .

وأما قوله عليه السلام : (ألا وإن الظلم ثلاثة) فإنه مروي قبل « نهج البلاغة » في الكتب الآتية :

- ١ - (اصول الكافي) ج ٢/٤٣ ؛ بلفظ « الذنوب ثلاثة » .
- ٢ - (المحاسن) للبرقي ص ٦ في (كتاب الأشكال والقرائن) .
- ٣ - (الأمالي) للصدوق ص ١٥٣ رواه عن الإمام الباقر عليه السلام .
- ٤ - تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٦٢ .

١٧٥ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى الحكيم

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَا أَلْسِنَتَهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبِعَهُ . فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكََا

(١) يجعجان : يجلسان نفوسهما وآرائهما عند القرآن .

الْحَقُّ وَهَمَّا يُبْصِرَانِهِ . وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَالْأَعْوَجَاجُ
دَابَّهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ
وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِيهِمَا ١ وَجَوْرَ حُكْمِيهِمَا ، وَالشُّقَّةُ
فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا ٢ حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَآتَيَا
بِمَا لَا يَعْرِفُ مِنْ مَعَكُوسِ الْحُكْمِ .

كلامه هذا كان مع الخوارج ، رواه الطبري في « التاريخ » ج ٥ ص ٤٨ في
حوادث سنة ٣٧ عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو سلمة الزهري وكانت
امه بنت أنس بن مالك ، أن علياً قال لأهل النهر : يا هؤلاء إن أنفسكم
قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها
كاره ، وأنبأتكم أن سألكموها مكيدة ودهناً فأبيتهم عليّ إباء المخالفين ،
وعدلتهم عني عدول النكداء العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ،
وأنتم والله معاشر أخفاء الهام ، سفهاء الاحلام ، فلم آت لا أباً لكم حراماً والله
ما خبلتكم عن امورك ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ولا أوطأتكم
عشوة ، ولا دنيت لكم الضراء وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً فأجمع
رأيي ملتكم ... الخ ما رواه الرضي مع اختلاف في بعض الألفاظ .

١٧٦ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ

(١) الداب : العادة وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق والفاعل
استثناؤهما .

(٢) اي نحن على ثقة من امرنا وان خالفنا سبيل الحق اي عدلا عنه .

مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ
 الْمَاءِ ١ ، وَلَا نَجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي
 الْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ، وَلَا مَقِيلُ الدَّرِّ
 فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ٢ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَخَفِيَّ
 طَرَفِ الْأَحْدَاقِ ٣ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ
 بِهِ ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْهُودٍ
 تَكْوِينُهُ ٤ . شَهَادَةٌ مِنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ وَصَفَتْ دَخْلَتُهُ ،
 وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ
 حَقَائِقِهِ ٥ وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ . وَالْمُصْطَفَى
 لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ . وَالْمَوْضُوحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى ٧ .

(١) لا يعزب : لا يخفى .

(٢) سوافي الريح : ما تحمله من ذرات التراب ، ودبيب النمل : حركته
 عليه بفاية الخفاء ، والصفا - مقصور - الحجر الاملس الضخم ، والدَر :
 صفار النمل ، ومقيله : موضع استراحته ومبितه .

(٣) الاحداق : جمع حدقة وهي العين ، وطرف الحدقة : حركة جفنها

(٤) عدل به : جعل له مثيلا وعديلا ، وتكوينه : خلقه للخلق .

(٥) دخلته : باطنه .

(٦) المجتبى : المصطفى ، والعيمة - بالكسر - المختار من المال .

(٧) اشراط الهدى : اعلامه .

وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبٌ أَلْعَمَى ١ .
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا ،
 وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا .
 وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ
 عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا ٢ ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ
 لِلْعَبِيدِ . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ وَتَزُولُ
 عَنْهُمْ النَّعْمُ فَزَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ
 مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ٣ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ
 فَاسِدٍ . وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ ٤ .
 وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلَّتُمْ فِيهَا مِثْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا
 عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَكِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ
 لَسُعْدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ
 عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

-
- (١) الغريب : الاسود شديد السواد . الاخلاص الركون ، ولا تنفس : لا
 تعن بمعنى تحرص ، ونافس فيها : اعدّها من النفائس .
 (٢) غض العيش : نضارته واجترحوها : اكتسبوها .
 (٣) الوله : الحيرة عند الخوف والوجد ، والشارد : الداهب
 (٤) في فترة : أي في جاهلية لقلبة الضلال والجهل .

نص ابن أبي الحديد على أن هذه الخطبة خطب بها ~~بعض~~ بعد قتل عثمان في أول خلافته عليه السلام ، قال : وقد تقدم ذكر بعضها^(١) ، وهذا التعيين يدلنا على أنه اطلع عليها في غير (نهج البلاغة) .

وقد روى ابن شاذان الليثي في (عيون الحكم والمواعظ) الفصل الأول من هذه الخطبة الى قوله عليه السلام (وثقلت موازينه)^(٢) .

وروى الصدوق في « الخصال » ج ٢/١٦٣ من هذه الخطبة قوله عليه السلام : « فما زالت نعمة . . . الخ » .

وروى الزنجشيري في الجزء الاول من (ربيع الابرار) ص ١٦٢ مخطوطة الأوقاف في باب تبدل الأحوال من قوله عليه السلام : (وأيم الله ما كان قوم قط في غض نعمه) الى (وأصلح لهم كل فاسد) وروى مكان (غض نعمة) (خفض نعمة) وفي هذا ما يفيد أنه أخذها عن غير (نهج البلاغة) .
وفسر ابن الأثير في « النهاية » غريب هذه الخطبة ففي الجزء الثالث ص ٢٨٢ مادة (عقل) قال : وفي حديث علي (المختص بعقائل كراماته) جمع عقيلة وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة ثم استعمل في الكريم النفيس من كل شيء من الذوات والمعاني .

١٧٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ سَأَلَهُ ذُعْلَبُ الْيَمَانِيِّ^٣ ، فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٥٢٤ .

(٢) انظر « بحار الانوار » : ج ٧٧ ص ٣٠٧ .

(٣) في مجمع البحرين للطريحي (ذعلب) قال : ذعاب - بكسر اللام وفتح اللام - اسم رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ذو لسان فصيح بليغ في الخطب شجاع القلب ، وهو الذي قال لأمير المؤمنين رأيت ربك ...

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى ١ ؟ فَقَالَ :
وَكَيْفَ تَرَاهُ ؟ فَقَالَ :

لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُذَرِكُهُ
الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ
مَلَامِسٍ ٢ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ ٣ ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ،
مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ
بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ٤ ، بَصِيرٌ لَا
يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ ، تَعْنُو
الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ٤ ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

(١) قال ابن أبي الحديد : قوله : فأعبد ما لا أرى ؟ مقام رفيع جدا لا يصلح أن يقوله غيره عليه السلام .

(٢) لانه تعالى شأنه : ليس بجسم وإنما قربه من الأشياء علمه بها .

(٣) لا تطلق عليه البينونة لانه سبحانه وتعالى ليس بجسم وبعده منها عبارة عن عدم اجتماعه معها .

(٤) الروية : الفكرة ، وبلا همة : بلا اهتمام بالامر بحيث لو لم يفعل لجرّ نقصا وأوجب هما وحزنا وهو سبحانه منزّه عن ذلك ، والجارحة : العضو ، واللطيف : الدقيق وهو تبارك وتعالى لطيف لا بهذا الاعتبار ، الجفاء : الغلظة والخشونة ، والحاسة : حاسة البصر وهي العين وتعنو : تذلل وتجب : تخفق .

كلامه عليه السلام مع ذعلب مروى في غير واحد من الاصول المتبعة عند الامامية قبل صدور « نهج البلاغة » بطرق عديدة ، ووجوه مختلفة من حيث الزيادة والنقصان ، علماً بأن ما نقله الرضي هنا هو مختار ما روى هناك ، فمن رواه الكليني في « اصول الكافي » ج ١ ص ١٣٨ ، في باب جوامع التوحيد ، وفي باب إبطال الرؤيا ج ١ ص ٩٨ ، ورواه الصدوق في « التوحيد » بصور مختلفة في ص ٩٦ و ٣٢٠ و ٣٢٤ و « الأماي » ص ٢٠٥ في المجلس الخامس والخمسين ، ورواه المفيد في « الارشاد » ص ١٣١ وفي « الاختصاص » ص ٢٣٦ ورواه من علماء أهل السنة سبط ابن الجوزي الحنفي في (التذكرة) ص ١٥٧ عن عطية العوفي عن ابن عباس عنه عليه السلام .

١٧٨ - وَمَنْ خِطَبْتُمْ لِي عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم اصحابه

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى
أَبْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ ،
وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمِهَلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإِنْ
حُورِبْتُمْ خَرْتُمْ . وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ .
وَإِنْ أَجِبْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ ١ ، لَا أَبَا لَغَيْرِكُمْ ٢ .

(١) اهلتم : خليت وتركتم ، ، وخرتم : ضعفت ، وتروى « جرت »
- بالجيم - اي عدلت ، واجتتم : الجتم ، قال تعالى : (فاجأها المخاض ،
مريم : ٢٢) والمشاقة - هنا - الحرب ونكصتم : احجمتم .
(٢) لا ابا لغيركم : دعاء عليهم بفقد الاب ، فتلفظ عليه السلام فوجهه
الى غيرهم .

مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ . أَلَمْوتُ
 أَوْ أَلْذِلَّ لَكُمْ ١ . فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِي -
 لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِيُصْحَبَتِكُمْ قَالَ ، وَبِكُمْ
 غَيْرُ كَثِيرٍ ٢ . لِلَّهِ أَنْتُمْ ٣ . أَمَا دِينَ يُجْمَعُكُمْ ؟ وَلَا حَمِيَّةٌ
 تَشْحَذُكُمْ ٤ ؟ أَوَلَيْسَ عَجَبًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَ
 الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ ٥ . وَأَنَا
 أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ ٦ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ -
 إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرِّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ
 عَلَيَّ . إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضِي فَتَرْضَوْنَهُ ،

-
- (١) دعا عليهم بالموت ثم استدرك فدعا عليهم بما هو أشد وهو الدل
 وكان المتنبي اخذ هذا المعنى فقال .
 ضل من يغبط الدليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
 (٢) قال : مبغض ، وغير كثير أي في قلة من الاعوان ، والواو في وانا
 ووبكم للحال .
 (٣) اللام في لله للتعجب ولم تأت لام التعجب في غير هذا اللفظ كما
 ان تاء القسم لم تأت بغير اسم الله تبارك وتعالى
 (٤) الحمية : الانفة ، وتشحذكم : هنا بمعنى تشيركم .
 (٥) الجفأة جمع جاف وهو السليظ ، والطغام - بفتح الطاء المهملة -
 الاراذل والاباش والمعونة ما يعطى كل واحد من الجند زائدا على العطاء
 المفروض ، والارزاق المعينة .
 (٦) التريكة بيضة النعام تتركها في مجثمها والمراد خلف الاسلام ،
 وبقيّة السلف .

وَلَا سَخِطُ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ١ وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ
الْمَوْتُ . قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ ٢ ، وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَاجَ ،
وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ
كَانَ الْإِعْمَى يَلْحَظُ ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ . وَأَقْرَبُ
بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَمُؤَدَّبُهُمْ أَبُو
النَّابِغَةِ ٣ .

خطب عليه السلام بهذه الخطبة لما استنهض أصحابه لنجدة محمد بن أبي
بكر رضي الله عنه بمصر فلم يستجيبوا له ، وقد رواها قبل الرضي إبراهيم
ابن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) بسنده عن المدائني بسنده عن حبيب
ابن عبد الله قال : والله إني لعند علي جالس إذ جاءه عبد الله بن قيس ،
وكعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبي بكر يستصرخه قبل الوقعة ، فقام
علي فنَادَى في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليه ، وذكر رسول الله صلى الله عليه ، ثم قال : أما بعد ، فهذا
صريخ محمد بن أبي بكر ، وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن
النايفة عدو الله وعدو من والاه ، وولي من عادى الله ، فلا يكون أهل

(١) اي انكم في خلافي على كل حال مني سواء ترضيكم او تسخطكم .
(٢) دارستكم الكتاب : اي تلوته عليكم تلاوة تعليم وتفهم ، وفاتحتكم
الحجاج اي حاجتكم ، وعرفتكم ما انكرتم : بينت لكم ما تجهلون ، وساغ
الشراب : سهل مدخله في الحلق ، ومج الشراب رماه من فمه غير مستسيف
له .

(٣) واقرب بهم اي ما اقربهم قال تعالى : (اسمع بهم وابصر ، مريم :
٣٨) وابن النابغة عمرو بن العاص .

الضلال إلى باطلهم ، والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً على باطلهم وضلاتهم منكم على حقكم ، فكأنكم بهم وقد بدأوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا اليهم بالمواساة والنصر .

عباد الله ، إن مصر أعظم من الشام ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم ، وكبت لعدوكم ، اخرجوا إلى هذه الجزعة - قال : والجزعة بين الحيرة والكوفة - لتتوافى هناك كلنا غداً إن شاء الله .

قال : فلما كان الغد خرج يمشي فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كثيب حزين فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر ، وقدر من فعل ... الخطبة بأخصر من رواية الرضي رحمه الله .

وروى ابن جرير الطبري في « التاريخ » ج ٦ ص ٦٠ في حوادث سنة ٣٨ مثله .

وفسر ابن الاثير من غريب هذه الخطبة قوله عليه السلام (تريكة الاسلام) في مادة (ترك) ج ١ ص ١٨٨ قال : ومنه حديث علي رضي الله عنه (وأنتم تريكة الاسلام وبقية الناس) .

١٧٩ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم احوال قوم من جنود الكوفة قد هموا بالحقاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد الرجل إليه قال له :

« أَمِنُوا فَقَظْنُوا أَمْ جَبَنُوا فَظَعْنُوا ؟ » ١ .

فقال الرجل : بل ظعنوا يا امير المؤمنين ، فقال عليه السلام :
 بعداً لهم كما بعدت ثمود ، أما لو أشرعت
 الأسنة إليهم ٢ ، وصبت السيوف على هاماتهم ، لقد
 ندموا على ما كان منهم ، إن الشيطان اليوم قد
 استغلهم ٣ ، وهو غداً متبرئ منهم ، ومتخل عنهم ،
 فحسبهم بخروجهم من الهدى ٤ ، وأرتكاسهم في
 الضلال والعمى ، وصدهم عن الحق ، وجماعهم في
 التيه ٥ .

القوم المذكورون هنا هم الخريت بن راشد الناجي وأصحابه من بني ناجية
 وقد أشرنا إلى قصتهم عند كلامنا على مصادر قوله عليه السلام (قبح الله
 مصقلة) في الخطبة رقم (٤٤) وقد روى ابراهيم بن هلال الثقفى في كتاب
 (الغارات) ما ملخصه : أن الخريت هذا قد شهد مع علي عليه السلام
 صفين فجاء الى علي بعد التحكيم في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتى قام

-
- (١) أمنوا : اطمأنوا . وقظنوا اقاموا ، وظعنوا رحلوا
 (٢) أشرعت : سددت وصوبت نحوهم ، والهامت الرؤوس .
 (٣) استغلهم : دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة .
 (٤) حسبهم : كافيههم ، والارتكاس : الانقلاب والانتكاس .
 (٥) صدهم : اعراضهم . والجموح وهو ان يغلب الفرس
 وركبه . والمراد تعاصيهم في التيه اي الضلال .

بين يديه ، فقال : والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، وإني غداً لمفارق لك ، فقال له : شككتك امك إذا تنقض عهدك ، وتعصي ربك ، ولا تضر إلا نفسك ، أخبرني لم تفعل ذلك ، قال : لأنك حكمت في الكتاب ، وضعفت عن الحق إذا جد الجد ، وركنت الى القوم الذين ظلموا ، فأنا عليك راد وعليهم ناقم ، ولكم جميعاً مباين ، فقال له عليه السلام : ويحك هلم ادارسك اناظرك في السنن ، وافاتحك اموراً من الحق أنا أعلم بها منك ، فلعلمك تعرف ما أنت الآن له منك ، وتبصر ما أنت عنه عم وبه جاهل ، فقال الخريت : فإني غاد عليك غداً ، فقال له عليه السلام : أغد ولا يستهوينك الشيطان ، ولا يقتحم بك رأى السوء ، ولا يستخفك الجملاء الذين لا يعلمون ، فوالله إن استرشدتني ، واستفحصتني ، وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد ، فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله ، فاجتمع اليه من قومه ، فقال لهم : إني رأيت أن افارق هذا الرجل ، وقد فارقت على أن أرجع اليه من غد ، ولا أرى إلا المفارقة ، فقال له أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتبه ، فإن أذاك بأمر تعرفه قبلت منه ، وإن كانت الاخرى فما أقدرك على فراقه ، فقال لهم : نعم ما رأيتم ، وكان هناك رجل من الأزد من أصحاب أمير المؤمنين يقال له عبد الله بن قعين ، قد سمع ما دار بينهم فدخل عليهم ونصحهم وحذرهم الخلاف فسمعه مدرك بن الريان الناجي وكان من كبرائهم فجزاه خيراً ، فاطمأن الى قوله ولم يخبر أمير المؤمنين إلا في اليوم الثاني ، فأمره بالرجوع اليهم ليعلم ما فعلوا ، فذهب إلى منازلهم ودار عليها فإذا ليس فيها داع ولا مجيب فعاد إلى أمير المؤمنين فلما رآه قال : أقطنوا فأقاموا ؟ أم جبنوا فظعنوا ... إلى قوله عليه السلام : « ومخل عنهم » بزيادة ألفاظ لم تذكر في « نهج البلاغة » (١) .

وكذلك رواية الطبري في « التاريخ » ج ٦ ص ٦٥ في حوادث سنة ٣٨ .

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد م : ١ ص ٢٦٥

١٨٠ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روي عن نوف البكالي قال : خطبنا هذه الخطبة بالكوفة امير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن بيرة المخزومي ، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكان جبينه ثفنة^(١) بعير . فقال عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنِيرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ٢ ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلَشُكْرِهِ آدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا . وَنَسْتَعِينُ بِهِ أَسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَآتِقٍ بِدَفْعِهِ ،

(١) المدرعة : الجبة ، ولا تكون الا من صوف ، والثفنة - بفتح فكسر - ما يلاقي الارض من البعير عند البروك فيكون به غلظ من ذلك وكذلك كان جبينه المبارك من كثرة السجود وكذلك كان حفيده الامام زين العابدين عليه السلام ، قال دعبل (وحمزة السجاد ذي الثفنت) .
(٢) مصائر الامور جمع مصير وهو المرجع ، ونوامي جمع نام بمعنى زائد .

مُغْتَرِفٌ لَهُ بِالطَّوْلِ ١ ، مُذْعِنٌ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ .
 وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ رَّجَاهُ مُوقِنًا ، وَأَنَابٌ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ،
 وَخَنَعَ إِلَهُ مُذْعِنًا ٢ ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوحِّدًا ، وَعَظَّمَهُ
 مُمَجِّدًا ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا ، لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ
 فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونْ مَوْرُوثًا
 هَالِكًا ٣ . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ
 زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ ؛ بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ
 عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ
 خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ مُوْطِدَاتٍ بِلَا عَمْدَةٍ ، قَائِمَاتٍ
 بِلَا سَنْدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ
 مُتْلَكِّمَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ ٤ . وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ

(١) الطول - بالفتح - الفضل .

(٢) أناب : أقبل ، وخنع : خضع .

(٣) يكون شريكه في العز بل أقدم منه عزاً ، ولما كان سر الولادة حفظ النوع فلو كان لله تعالى أن يلد لكان فانياً يبقى نوعه في أشخاص أولاده فيكون موروثاً هالكا .

(٤) يتعاوره : يتداوله ويختلف عليه .

(٥) موطدات : مهمدات مثبتات في مداراتها على ثقل اجرامها .

(٦) التلكؤ : التوقف والتباطؤ .

وَأَذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَّا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلَا
 مَسْكناً لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَضْعداً لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ
 الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا
 الْحَيَّرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءُ
 نُورِهَا أَذْلَهُمَا سِجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ١ . وَلَا اسْتَطَاعَتْ
 جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ
 مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ ٢ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ
 سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ
 الْمُتَطَاطِئَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ السَّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ ٣ .
 وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاسَتْ
 عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ٤ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ

-
- (١) الادلهام : شدة الظلمة ، وسجف - بفتح الجيم - جمع سجف - بسكون الجيم - وهو الستر .
 (٢) الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب الضافي الذي يجعل فوق الثياب ، والتلألؤ : اللمعان .
 (٣) الفسق : الظلمة ، والداجي : المظلم ، والساجي : الساكن والمتطاطئات : المنخفضات ، واليفاع : الأرض ، والسفع المتجاورات ههنا : الجبال والسفع جمع سفعة : وهي السوداء المشربة بحمرة .
 (٤) التجلجل : صوت الرعد ، وتلاشت : اضمحلت من شيء اذا اتضع بعد رفعة أي انه يلمع فيضيء اقطارا مخصوصة ثم يتلاشى عنها .

مَسْقَطُهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهِيْطَالُ السَّمَاءِ ١ وَيَعْلَمُ مَسْقَطُ
الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الدَّرَّةِ وَمَجْرَهَا ٢ ، وَمَا يَكْفِي
الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْإُنْثَى فِي بَطْنِهَا .
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ
سَّمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ . لَا يُدْرِكُ بِهِمْ .
وَلَا يُقَدَّرُ بِهِمْ . وَلَا يَشْغُلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ
وَلَا يُبْصِرُ بَعَيْنٌ ، وَلَا يُحَدِّثُ بِلَايِنٍ ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ
وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ
بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ
عَظِيمًا . بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ ٣ .

(١) العواصف جمع عاصفة وهي الريح الشديدة ، والانواء : منازل
القمر ، وإضافة العواصف إليها من باب إضافة الشيء لمصاحبه عادة ،
والانهطال : الانصباب .

(٢) الدرة : النملة الصغيرة ، ومجرها موضع سحبها وجرها .

(٣) النائل : العطاء ، والايين المكان ، والازواج : الامثال القرناء ، ولا
يخلق بعلاج : اي لا يحتاج في ايجاد ما يخلقه الى معالجة ومزاولة بل يقول
له (كن فيكون) ، ولا يدرك ما يدركه بالحواس وهي المشاعر الخمسة :
السمع والبصر والشم والذائقه واللامسه ، واللهوات جمع لهاة وهي اللحمه
المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْ صِفَ رَبِّكَ ١ فَصِفْ جِبْرَائِيلَ
وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجَرَاتِ الْقُدُسِ
مُرْجَحِينَ ٢ مُتَوَلِّهِةً عُقُولَهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا
يُذَرِّكُ بِالصِّفَاتِ ذُووُ الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقُضِي
إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ
كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ ٣
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ
سُلْمًا ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ
أَبْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ٤ ،

(١) المتكلف : المتعرض لما لا يعنيه .

(٢) مرجحين جمع مرجح - كمشعر - المائل لثقله يمينا وشمالا
كناية عن خضوعهم لله جل جلاله ، والواله : المتحير والمتخوف .

(٣) أسبغ : أوسع ، والرياش اللباس الفاخر .

(٤) الطعمة - ههنا - رزقه المقسوم له

وَأَسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِي الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ .
وَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً ،
وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ
لَعِبْرَةً . أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ . أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ
وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ . أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرِّسِّ الَّذِينَ
قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ . وَأَحْيَا سُنْنَ
الْجَبَّارِينَ . وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ وَهَزَمُوا
الْأَلُوفَ . وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ .
(مِنْهَا) قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا ٢ . وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ

(١) مدائن الرس : اثنتا عشرة مدينة في بلاد آذربيجان ، وكانوا
يعبدون من دون الله شجرة صنوبر اسمها (شاه درخت) نابتة على شفير
عين تسمى (دوشاب) فبعث الله اليهم نبيا نهاهم عن عبادة تلك الشجرة
ودعاهم الى عبادة الله تعالى فحفروا له حفرة عميقة القوه بها حيا وجلسوا
يسمعون انينه وشكواه الى الله سبحانه حتى مات فعاقبهم الله عز وجل
بارسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت ابدانهم وقفلت عليهم الارض مواد من
الكبريت متقدة فذابت اجسادهم وهلكوا جميعا وانقلب مدائنهم وفي اصحاب
الرس اخبار واختلاف في تعيين مكانهم تطلب من مظانها من كتب التفسير
والتاريخ .

(٢) الجنة : الدرع او ما يستتر به مطلقا ولفظ الجنة مستعار في
الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة ، والعمل بأوامر الله تعالى ، ووجه
الاستعارة انه بذلك العمل يأمن من اصابة سهام الهوى كما يأمن لابس
الجنة من اذى السهام .

أَدْبَاهَا مِنْ الْأَقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا ،
وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ الَّتِي
يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا أَغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ ، وَضَرَبَ
بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ ١ . بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا
حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ
(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ ٢ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ
الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ . وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ
إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ . وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا .
وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا . لِلَّهِ أَنْتُمْ !
أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمْ
السَّبِيلَ ٣ ؟ .

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَأَقْبَلَ

(١) جران البعير مقدم عنقه ، والعسيب : طرف ذنبه والقي كناية
عن التعب والاعياء ، والضمير في ضرب للإسلام .

(٢) بشت : نشرت .

(٣) حدوتكم : سقتكم يريد حثتكم ، وتستوسقوا : اي تنتظموا
وتجتمعوا ، ويطأ بكم الطريق : يحملكم على الجادة المستقيمة .

مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا ، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ،
وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا
يَفْنِي . مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ
بِصَفِينٍ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ ؟ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ
وَيَشْرَبُونَ الرَّنِقَ ١ . قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ ،
وَأَحْلَاهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ . أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ
رَكَبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارُ ٢ ؟ وَأَيْنَ
أَبْنُ التَّيَّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ
إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَةِ ، وَأَبْرَدَ بِرُؤُسِهِمْ
إِلَى الْفَجْرَةِ ٣ . (قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ
الْكَرِيمَةِ فَطَالَ الْبُكَاءَ ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ٤ ،

(١) الرنق - بفتح النون وكسرهما وسكونها - الكدر .

(٢) عمار هو عمار بن ياسر وابن التيهان - بتشديد الياء - هو ابو الهيثم مالك بن التيهان ، وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت من اكابر الصحابة قتلوا بين يدي امير المؤمنين عليه السلام بصفين .

(٣) نظراؤهم : امثالهم ، وتعاهدوا على المنية : جعلوا بينهم عقدا وتروى « تعاهدوا » وابرد برؤسهم : حملت رؤسهم مع البريد .

(٤) أوه - مفتوحة الهمزة ، ساكنة الواو ، مكسورة الهاء - : كلمة

شكوى .

وَتَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَاوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ .
دَعُّوا لِلْجِهَادِ فَاجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ (ثُمَّ
نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ) : الْجِهَادُ الْجِهَادُ عِبَادَ اللَّهِ ، أَلَا
وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرُّوْحَ إِلَى اللَّهِ
فَلْيَخْرُجْ .

قَالَ نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَشْرَةِ
آلَافٍ ، وَلَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ،
وَلَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ
عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ ، فَمَا
دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ
اللَّهُ ، فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيَهَا
تَخْتِطِفُهَا الذُّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

هذه الخطبة هي آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين قائماً^(١) روى منها
الزمخشري في باب التفاضل والتفاوت من « ربيع الأبرار » ومهد لها كتمهيد
الرضي لها إلى قوله : فأطال البكاء ، ثم نقل الفصل الأخير منها ابتداء من
قوله عليه السلام (أوه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكوه) .

(١) شرح نهج البلاغة للحيدري م ٢ ص ٥٤

وروى ابن شاكسر الليثي في « عيون الحكم والمواعظ » من قوله عليه السلام « لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا » الى قوله عليه السلام « فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور »^(١) .

وفسر ابن الأثير غريب هذه الخطبة في الجزء الثاني من « النهاية » ففي ص ١٤٥ قال في حديث علي (لم يمنع ضوءها إدهام سجع الليل المظلم) الإدهام مصدر أدهم أي إسود ، والإدهيام مصدر إدهام كالأحمرار والاحمرار في أحمر وإحماره . لاحظ أن رواية الرضي (ادلهام) لتعلم أنه لم ينقل ذلك عن « نهج البلاغة » .

وفي الجزء الثاني أيضاً ص ١٩٨ مادة (رجحن) قال في حديث علي (في حجرات القدس مرجحين) أرجحن الشيء إذا مال من ثقله وتحرك . ولم يذكر أحد من هؤلاء أنه أخذ عن « نهج البلاغة » ويؤيد ذلك الاختلاف البسيط في بعض الحروف والكلمات .

ونوف البكالي تقدم ذكره في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٩ .
وجعدة بن هبيرة الخزومي ابن اخت أمير المؤمنين عليه السلام أمه ام هاني بنت أبي طالب ، وكان شجاعاً فارساً فقيهاً ولي خراسان أمير المؤمنين عليه السلام وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله ﷺ يوم الفتح مع أمه ام هاني وهو القائل :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً
ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى عليّ بخاله
كخالي علي ذي الندى وعقيل^(٢)

(١) انظر « بحار الانوار » ج ٧٧ ص ٣١٠ .
(٢) انظر الجزء الاول من (الاصابة) والجزء الاول من (اسد الغابة) في حرف الجيم بترجمته و (شرح النهج) لابن أبي الحديد م ٢ ص ٥٢٩ .
ويبأى : يزهو ويفخر .

ويظهر من الأخبار عدالته ووثاقته لأن أمير المؤمنين عليه السلام استنابه للصلاة بالناس أيام انشغال الحسنين عليهما السلام بتمريضه أيام مصيبتيه (١) .

١٨١- وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصِبَةٍ ٢ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ٣ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ رَسُولَهُ ٤ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غَطَائِهَا ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا ، وَلِيُضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَيِّنُوا لَهُمْ عِيُوبَهَا ، وَلِيَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِبِهَا وَأَسْقَامِهَا ٥ ، وَحَالَاتِهَا وَحَرَائِمِهَا . وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ

(١) راجع سفينة البحار مادة (جعدة)

(٢) وصفه سبحانه بأنه معروف بالادلة ، لا من طريق الرؤية ، والمنصبية - بالفتح - التعب .

(٣) استعبد الذين يدمون في الدنيا أنهم أربابا بعزه وقهره .

(٤) وبعث إلى الجن والانس الخ ... مأخوذ من الكتاب العزيز (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، الانعام : ١٣٠)

(٥) غطاء الدنيا : عيوبها المستورة ، وامثالها كالامثال الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه ... الآية ، يونس : ٢٤) والهجوم : الدخول بفتة ، والمصاح - جمع مصحة - بفتح الصاد وكسرهما - تعاقب الصحة والمرض على البدن .

مِنْهُمْ وَالْعَصَا مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ
إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ ١ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .

(مِنْهَا) فَأَتَى الْقُرْآنُ أَمْرًا زَاجِرًا ، وَصَامَتُ نَاطِقُ ٢ ،
حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ ، وَأَرْتَهَنَ
عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ ٣ . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ
نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ
أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ ، فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ
نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ
يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا ،
وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزَجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَرِضَاهُ فِيمَا
بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ .

(١) اي احمده كما استحمد اليهم : فعل ما يوجب عليهم حمده .

(٢) جعل القرآن أمرا زاجرا حيث ان الله تبارك وتعالى أمر به
وزجر فاسد الامر والزجر اليه كما يقال : سيف قاتل ، وانما القاتل
الضارب به ، وصامت من حيث انه حروف : ناطق من حيث يتضمن الامر
والنهي واطلاق لفظ الناطق عليه من باب المجاز .

(٣) الضمير في اخذ لله تعالى وفي ميثاقه للقران ، هو ميثاقه ايجادهم
للعمل بالكتاب وجعل نفوسهم رهنا على الوفاء بذلك لا تخلص الا به .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضِي عَنْكُمْ بَشِيءٌ سَخَطُهُ عَلَى مَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَشِيءٌ رَضِيَهُ مِمَّنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ
بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ
مُؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَأَفْتَرَضَ مِنْ
الْأَسْنَتِكُمْ الذِّكْرَ ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى
رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ ١ . فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ
بِعَيْنِهِ ٢ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . وَإِنْ
أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ . قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ
حَفَظَةً كَرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا ، وَلَا يُشْبِتُونَ بَاطِلًا .
وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ أَلْفِتَيْنِ
وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ ، وَيُخْلِدْهُ فِيمَا أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ ،
وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ . فِي دَارٍ أَصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ،
ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزَوَارُهَا مَلَائِكَتُهُ ،

(١) لفظة حاجته مجاز لانه تعالى غني غير محتاج والمراد غاية ما يريد

سبحانه منكم .

(٢) بعينه أي لا يخفى عليه شيء منكم ولفظ العين مجاز في العلم

وَرَفَقَاوُهَا رُسُلُهُ ، فَبَادِرُوا أَلْمَعَادَ . وَسَابِقُوا أَلْآجَالَ .
 فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ
 الْأَجَلُ ١ ، وَيَسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ
 فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ٢ . وَأَنْتُمْ
 بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ
 أَوْذَنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ ٣ فِيهَا بِالزَّادِ .
 وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى
 النَّارِ ، فَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَبْتُمُوهَا فِي
 مَصَائِبِ الدُّنْيَا . أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ
 تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ ٤
 فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ

(١) يرهقهم : يفاجمهم

(٢) اي انكم في حالة يمكنكم فيها العمل وهي الحالة التي ندم المهملون
 قبلكم على فواتها وسألوا الرجعة اليها اشارة لقوله تعالى (حتى اذا حضر
 احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ... الآية ،
 المؤمنون : ١٠٠)

(٣) بنو سبيل : اي ارباب طريق مسافرون ، واوذنتم : اعلمتم .

(٤) الرمضاء : الارض الشديدة الحرارة ، والرمض - بالتحريك -
 شدة وقع الشمس على الارض .

وَقَرَيْنَ شَيْطَانٍ ١ ؟ أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى
النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُصْبِهِ ٢ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ
بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجَرَتِهِ ؟

أَيُّهَا الْيَقْنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ ٣ ، كَيْفَ
أَنْتَ إِذَا التَّحَمْتَ أَطْوَأَ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ! وَنَشِبَتْ
الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ . فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ
الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَةِ قَبْلَ السَّقَمِ . وَفِي
الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تَغْلِقَ رَهَائِنُهَا . أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا
بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ،

(١) ضجيع حجر يومي الى قوله تعالى : (وقودها الناس والحجارة ،
البقرة : ٢٤) ويومي بقوله : قرين شيطان الى قوله سبحانه : (قال قرينه
ربنا ما اطفئته ، ق : ٢٧)

(٢) حطم بعضها بعضا : كسره أو أكله والحطمة اسم من أسماء النار،
ومنه سمي الرجل كثير الاكل حطمة .

(٣) اليقن الكبير : الشيخ الكبير ، ولهزه : خالطه ، والقدير : الشيب

(٤) التحمت بها : التفت عليها ، والتسقت بها ، ونشبت : علق ،
والجوامع جمع جامعة وهي الفل تجمع اليدنين الى العنق ، والسواعد جمع
ساعد وهو الذراع .

وَاخْذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ وَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا
تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا ۖ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ « إِنْ تَنْصُرُوا
اللَّهُ يَنْصَرِكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٢ » وَقَالَ تَعَالَى « مَنْ ذَا
الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ
كَرِيمٌ ٣ » فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ
مِنْ قُلٍّ ٤ ، أَسْتَنْصِرْكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَأَسْتَقْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ ٥
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . فَبَادَرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ
جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ . رَافِقَ بِهِمْ رَسُولَهُ ، وَأَزَارَهُمْ
مَلَائِكَتُهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ
أَبَدًا ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا ٦ » ذَلِكَ

(١) أي خذوا من راحتها فاتبعوها في عمل ما ينفع أنفسكم في الآخرة
والضمير في بها للأجساد وفي عنها للأنفس .

(٢) سورة محمد : ٧

(٣) الحديد : ١١

(٤) القل : الاقلال .

(٥) يبلوكم : يختبركم .

(٦) حسييس النار صوتها ، واللغوب : الاعياء ، والنصب : التعب

فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ « ١
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ،
وَهُوَ حَسْبِي وَنَعَمَ الْوَكِيلُ .

هذه الخطبة من خطبه الجليّة روى منها الزمخشري في (ربيع الابرار)
ج ١ ص ٥٣ (مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) في باب النار وأنواعها
من قوله عليه السلام : واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار) ..
الخ وفسر غريبها ابن الأثير في مواضع من (النهاية في غريب الحديث) منها في
الجزء الخامس ص ٢٩٩ قال في كلام علي رضي الله عنه : « أيها اليفن الكبير
الذي قد لذهز القتير) : اليفن - بالتحريك - الشيخ الكبير ، والقتير :
الشيب . وروى منها السيد البحراني في (البرهان) ج ١ ص ٩ عن غير (نهج
البلاغة » ..

وقال ابن أبي الحديد بعد فراغه من شرح هذه الخطبة : « قلت : وقد
شغل الناس في المواعظ بكلام كاتب يحدث بآبني الشحماء العسقلاني
وأنا أورد ههنا خطبة من مواعظه هي أحسن ما وجدته له ليعلم الفرق بين
الكلام الأصيل والمولد » ثم نقل تلك الخطبة وأنا أنقل لك فقرات منها :
« أيها الناس ، فكروا أنفسكم من حلقات الآمال المتعبة ؛ وخففوا ظهوركم من
الأصاال المستعقبة ... ولا تملوا طعونكم إلى زبارج الدنيا المحببة ... أين الامم
السالفة المتشعبة والجبابرة الماضية المتعلبة ، والملوك المعظمة المرجبة ... طرقت
والله خيامهم غير منتبهة ... وهكذا » .

ثم قال ابن أبي الحديد بعد ذلك : « هذه أحسن خطبة خطبها هذا

(١) الجمعة : ٤ .

الكاتب وهي كما ترى ظاهرة التكلف ، بينة التوليد ، تخطب على نفسها وانما ذكرت هذا لأن كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من (نهج البلاغة) كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه الى الرضي ، وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية عيونهم ، فضلوا عن النهج الواضح ، وركبوا بينات الطريق ضلالاً ، وقلة معرفة بأساليب الكلام . . . وقد تقدم بقية كلامه هذا فيما سبق من هذا الكتاب (١) .

١٨٢ - قَوْلُ كَلَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ لِلْبُرْجِ بْنِ مِسْهَرٍ الطَّائِيّ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ
يَسْمَعُهُ : «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» ، وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ
أُسْكُتَ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ
فَكُنْتُ فِيهِ ضَبِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيّاً صَوْتُكَ ، حَتَّى
إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ .

(١) انظر الجزء الاول : ص ١٨٣ تحت عنوان (رأي ابن ابي الحديد في نهج البلاغة) .

(٢) قبحك الله : نحاك وأبعدك عن الخير ، أو كسر شوكتك ، يقال: قبحت الجوزة : كسرتها ، والاثرم : منزوع الشية ، والضئيل : الدقيق النحيف ، كناية عن الضعف ، ونعر الباطل صاح والمراد أهل الباطل ، نجم : ظهر بلا قدم ولا شرف على حين غفلة كما ينبت قرن الماعز .

البرج بن مسهر - بكسر الميم وفتح الهاء - شاعر مشهور من شعراء
الخوارج والكلام الذي نقله الرضي هنا رواه أبو هلال العسكري المتوفى سنة
٣٩٥ أي قبل صدور (نهج البلاغة) بخمس سنوات في كتاب (الصناعتين)
ص ٢٨٥ وفيه (ففر) بالفاء مكان (نمر) بالنون .

١٨٣ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ
الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ،
الِدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى
وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبَهَ لَهُ ٢ . الَّذِي صَدَقَ
فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي
خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ
الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِّيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى
قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا أَضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ .

(١) لا تدركه الشواهد: أي لا يدرك من طريق المشاهدة وأصل الشاهد
بالحقوق مأخوذ من المشاهدة ولهذا يقال: عرفت الأمر من شاهد الحال،
وقال ابن أبي الحديد: الشواهد: الحواس، والمشاهد: المجالس
والنوادي.

(٢) اشتباههم: شبه بعضهم لبعض.

وَاحِدٌ لَا يَبْعَدُ ، وَدَائِمٌ لَا يَأْمَدُ ١ ، وَقَائِمٌ لَا يَبْعَمِدُ .
تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا يَمْشَاعِرُهُ . وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا
يَمْحَاضِرُهُ ٢ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ،
وَبِهَا أَمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا ٣ لَيْسَ بِبِذِي كِبَرٍ
أَمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسِّمًا ، وَلَا بِبِذِي عِظَمٍ
تَنَاهَتْ بِهِ أَنْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسِّدًا . بَلْ كَبُرَ شَأْنًا ،
وَعَظُمَ سُلْطَانًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ ،
وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَرْسَلَهُ بِوَجُوبِ
الْحُجَجِ ٤ ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ وَإِضْاحِ الْمَنْهَجِ ، فَبَلَغَ
الرَّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ ذَالًا عَلَيْهَا .
وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ . وَجَعَلَ أَمْرَاسَ

(١) الامد : الفاية

(٢) المشاعرة : انفعال احدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء

منه عليها ، والمرائي جمع مرئي وهو الشيء الذي يدرك بالبصر .

(٣) الاوهام - هنا - : العقول والمعنى انه بعدما تجلى للاوهام بآثاره

فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته فحاكمها الى نفسها فرجعت عن البحث .
معترفة بالعجز عن الوصول اليه .

(٤) اي ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم اليه من الحق ،

والفلج ، النصر .

الْإِسْلَامَ مَتِينَةً ١ وَعَرَى الْإِيمَانَ وَثِيقَةً .
 (مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانَ) : وَلَوْ
 فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى
 الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنْ الْقُلُوبُ
 عَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ ٢ . أَلَّا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ
 مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ
 لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشْرَ ٣ . أَنْظُرُوا
 إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ
 تُنَالُ بِدَلْحَظِ الْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ ، كَيْفَ
 دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ
 إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا
 لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدْرِهَا ٤ ، مَكْفُولَةٌ

(١) الامراس جمع مرس — بفتحتين — وهو الحبل .

(٢) مدخولة : معيبة .

(٣) فلق : شق ، والبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد الانسان .

(٤) وصبت : أي انصبت على رزقها انصبابا ، والصدر : الرجوع
 بعد الورد .

بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا ١ لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ ، وَلَا
يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ . وَلَوْ فِي الصِّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ
الْجَامِسِ ٢ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلُومِهَا
وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا ٣ وَمَا فِي
الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا ،
وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا . فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى
قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ، لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا
فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنِّهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي
مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى
أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ
شَيْءٍ ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ
وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا
سَوَاءٌ ، وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ . فَاَنْظُرْ
إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ

(١) بوفقها - بالكسر - أي بما يوافقها من الرزق ويلانم طبعها .

(٢) الجامس : اليابس .

(٣) الشراسيف : اطراف الاضلاع المشرفة على البطن .

وَاخْتِلَافَ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبَحَارِ ،
وَكثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ ١ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ
اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ
الْمُقَدَّرَ وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ
زَارِعٌ ، وَلَا لاختلافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا
إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا أَدَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا . وَهَلْ
يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَنٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ . وَإِنْ
شِئْتَ قُلْتُ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ .
وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ٢ . وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ
الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ
الْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا
تَقْبِضُ ٣ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

(١) القلال : جمع قلة وهي رأس الجبل .

(٢) أي جعلهما مضيئين كما تضيء السراج ، ويقال : حدقة قمرء

أي مضيئة .

(٣) تقرض - بكسر الراء - تقطع ، والمنجل - كمنبر - آلة من حديد
معروفة قبل أراد عليه السلام رجلها لاعوجاجها ولأن لهما أسنان كأسنان
المنجل .

ذَبَّهَا ١ . وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرثُ فِي
نَزَوَاتِهَا ٢ ، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا
يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدَقَّةً .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَيَعْبُدُوهُ خَدّاً وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ
بِالطَّاعَةِ سُلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً .
فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ . أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ ،
وَأَرَسِيَ قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ . وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ،
وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا . فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ ،
وَهَذَا حَمَامٌ ، وَهَذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ،
وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيمَهَا
وَعَدَّدَ قِسْمَهَا ، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ
نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا .

(١) ذبها : دفعها .

(٢) النزوات : الوثبات .

روى هذه الخطبة الطبرسي في « الاحتجاج » ج ١/ ٣٠٥ بأخصر من رواية الرضي باختلاف نشير اليه لتقطع أنه لم ينقلها عن « نهج البلاغة » فروى « أفلا ينظرون » ورواية « النهج » « ألا ينظرون » وفي ورودها لصدورها « وفي « النهج » (لصدورها) وفيه (من خلقتها) وفي « النهج » (من خلقتها) وفيه (على خلقتها قادر) وفي « النهج » (في خلقتها قادر) وفيه (والرياح والماء) وفي « النهج » (والرياح) وفيه (وتفجر هذه البحار والأنهار) وفي « النهج » (وتفجر هذه البحار) وفيه (فالويل لمن أنكر المقدر أو جحد المدبر) و « النهج » (لمن جحد المقدر ، وأنكر المدبر) وفيه (ولو أجمعوا بجمعهم) وفي « النهج » (ولو أجلبوا) وفيه (ويعفر له خذاً ووجهاً) وفي « النهج » (ويعذوله) وهكذا .

وقد روى الزمخشري في باب دواب البر والبحر وما وضع الله فيها من المعائب من « ربيع الأبرار » (مخطوطة مكتبة الحرم بمكة المكرمة) من قوله عليه السلام : (ألا ينظرون) الى (ولم يعنه على خلقتها قادر) .
ونقل أول هذه الخطبة باختلاف وزيادة على رواية الرضي السيد أبو طالب يحيى بن الحسين بن هرون الحسيني المتوفى عام ٤٢٤ في أماليه : ص ١٩٢

١٨٤ - فَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التوحيد

وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ،
وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ

وَتَوَهَّمَهُ ١ . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وَكُلُّ قَائِمٍ
فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا يَاضْطِرَابِ آلَةٍ ، مُقَدَّرٌ لَا
يَجُولُ فِكْرَةً ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ،
وَلَا تَرْفُدُهُ الْأَدَوَاتُ ٢ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَالْعَدَمَ
وَجُودُهُ ، وَالْإِبْتِدَاءَ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنَّ
لَا مَشْعَرَ لَهُ ٣ . وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنَّ لَا ضِدَّ
لَهُ . وَبِمُقَارَنْتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنَّ لَا قَرِينَ لَهُ . ضَادُّ
النُّورِ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ،
وَالْحُرُورَ بِالصَّرْدِ ٤ . مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا . مُقَارِنٌ
بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا . مُفَرَّقٌ بَيْنَ
مُتَدَانِيَّاتِهَا لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحَسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا
تَحَدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ آلَاةُ إِلَى نَظَائِرِهَا .
مَنْعَتُهَا مِنْذُ الْقِدَمِيَّةِ ، وَحَمَتُهَا قَدْ الْأَزَلِيَّةِ ، وَجَنَّبَتْهَا

(١) لا صمده اي ما نزهه .

(٢) ترفده : تعينه .

(٣) المشاعر : الحواس

(٤) الصرد - محركا - البرد ، وهي كلمة فارسية معربة اصلها سرد

لَوْلَا التَّكْمِلَةُ ١ . بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا أُمْتَنَعَ
عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ .
وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ
أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثُهُ . إِذَا لَتَفَاوَتَتْ
ذَاتُهُ ٢ ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَا مُتَنَعٍ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ .
وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامَهُ . وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ
لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ،
وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ . وَخَرَجَ
بِسُلْطَانِ الْأَمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ
الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَفُولُ ٣ .
وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونْ مَوْلُودًا ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا ٤ .

(١) لولا قامت مقام الفاعل للافعال قبلها ، والمعنى : ان
الادوات والالات والمراد اربابها منعتها منذ القدم لان لفظة منذ وضعت لابتداء
الزمان والقديم لا ابتداء له وحمتها اي قد حالت بينها وبين الازلية لان قد
وضعت للتقريب من الحال وهذا القرب مانع من الازلية وكذلك لولا جنبتها
وحمتها من التكملة اي الكمال لان لولا وضعت لامتناع الشيء بوجود غيره
فتقول : ما اكرمه لولا انه فقير وبذلك يمتنع الكمال المطلق .

(٢) اي لاختلفت ذاته باختلاف الاعراض عليها .

(٣) من اقل النجم اذا غاب .

(٤) اي تحد بدايته بيوم ولادته .

جَلَّ عَنْ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ، وَطَهَّرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا
تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدَرُهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفُطُنُ فَتَصَوِّرُهُ .
وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُ فَتَحْسُهُ وَلَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ .
لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ
الْأَيَّامُ وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ . وَلَا
يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ ١ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ .
وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ .
وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ .
وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَخْوِيهِ ، فَتَقْلُهُ أَوْ تُهْوِيهِ ٢ ، أَوْ أَنَّ
شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ
بِوَالِجٍ ٣ ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ ،
وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ
وَلَا يَتَحَفَّظُ ٤ ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ

(١) أي لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا

(٢) تقله : تحمله ، وتهويه تضعه .

(٣) الولوج : الدخول

(٤) أي يحرص غيره ، وليس بمتحرز .

غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقُولُ
لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ «كُنْ فَيَكُونُ». لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا
بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ . وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ .
وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا
لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا .

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ
الْمُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ ١ ، وَلَا
لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ،
وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِئُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ
مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ
خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ ،
وَأَرَسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَرَائِمٍ ، وَرَفَعَهَا
بِغَيْرِ دَعَائِمٍ . وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْأَعْوِجَاجِ ٢ . وَمَنْعَهَا
مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ ٣ . أَرَسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ

(١) أي فرق

(٢) عطف تفسير على الاود

(٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة ، والانفراج : الانشقاق .

أَسَدَادَهَا ، وَأَسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا ١ . فَلَمْ يَهِنْ
مَا بَنَاهُ ٢ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ
وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا
طَلِبُهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ
مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ . خَضَعَتْ
الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ
الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ،
وَلَا كُفُوَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ . هُوَ
الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا
وَأَخْتِرَاعِهَا . وَكَيْفَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا
وَبَهَائِمِهَا . وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا ، وَأَصْنَافِ

(١) الاسداد جمع سدّ والمراد به ههنا الجبل ، وخدّ : شق

(٢) لم يهين : لم يضعف .

أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا ١ ، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا ٢ عَلَى
إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيْجَادِهَا . وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ
ذَلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ
خَاسِئَةً حَسِيرَةً ٣ عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ
إِنْشَائِهَا . مُذْعَنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا .

وَلِإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ
مَعَهُ . كَمَا كَانَ قَبْلَ أَيْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا .
بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ
ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ .
فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ
الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ أَيْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ
أَمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا . وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ

(١) المراح - بالضم - اسم مفعول من أراح الابل إذا ردها
الى مأواها ، والسائم الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه ،
والاسناخ جمع سنخ وهو الاصل .

(٢) المتبلدة : الاغبياء ، والاكياس : العقلاء

(٣) الخاسيء : الدليل ، والحسير : المعيا

دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَادَهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ،
وَلَمْ يُوَدِّهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَّاهُ ١ . وَلَمْ يَكُونَهَا
لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا
لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدِّ مُكَاتِّرٍ ، وَلَا لِلِاخْتِرَازِ بِهَا
مِنْ ضِدِّ مُشَاوِرٍ ٢ . وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ،
وَلَا لِمُكَاتَّرَةِ شَرِيكِ فِي شَرِكِهِ ، وَلَا لَوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ
فَارَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا
لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّفِهَا وَتَذْبِيرِهَا ، وَلَا
لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ . وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا
يَمْلَهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا . لَكِنَّهُ
سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتَقَنَهَا
بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يَعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ
إِلَيْهَا ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لَانْصِرَافٍ
مِنْ حَالٍ وَخَشَةٍ إِلَى حَالٍ أَسْتَشْنَسِ ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ

(١) لم يتكاده : لم يشق عليه ، يؤده : يثقله ، وبرأ : خالق
(٢) الند - بالكسر - المثل ، والمكاترة : المغالبة بالكثرة ، والمشاوِر
المواثب المهاجم .

وَعَمِّي إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَأَلْتَمَاسٍ ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ
إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ . وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

قال السيد المرتضى رضي الله عنه : اعلم إن اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه ، وأنها تتضمن من ذلك ما لا مزيد عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه إنما هو تصنيف لتلك الجمل ، وشرح لتلك الاصول ، وروي عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك لا يكاد يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلب من مظانه أصاب منه الكثير الفزير ، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ، ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئاً مما روي عنه في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يصف الله تعالى : « بمضادته بين الأشياء علم لا ضد له ، وبمقارنته بين الامور علم أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ... » الخ^(١) وذكر فقرات مما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك.

ورواها الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٩٩ باختلاف بعض الحروف تعرف منه أنها نقلت من غير « النهج » .

وروى الكليني في (الكافي) ج ١ ص ١٣٨ بعض ما رواه الرضي هنا من قوله عليه السلام : « فاعل لا باضطراب آلة » الى قوله عليه سلام الله : « متدانياتها » . ويبدو من روايته أن هذه الخطبة والخطبة المارة برقم ١٧٧ من خطبة واحدة في مقام واحد ومناسبة خاصة .

(١) امالي المرتضى : ١٠٣/١

ورواية الطبرسي في « الاحتجاج » : ج ١ ص ٢١٩ من قوله عليه السلام (لا يشمل مجد) الى آخر الخطبة كرواية الرضي إلا في بعض الحروف والكلمات ، وسأشير إليها لتعلم انفراده بمصدر لها . فرواية الرضي لهذه الجملة هكذا (لا يجري عليه السكون والحركة) ورواية الطبرسي (لا تجري عليه الحركة والسكون) ورواية الرضي (وهو الباطن لها بعلمه) وتنقص رواية الطبرسي لفظة (هو) وفي « النهج » (ولا يعجزه) وفي « الاحتجاج » بنقصان حرف العطف ، وفيه (ذلت مستكينة) وفي « الاحتجاج » (ظلت) وفيه (وأصناف أسناخها) وفي « الاحتجاج » (أشباحها) وفي « الاحتجاج » (وأنه يعود سبحانه) بينما في « النهج » (وأن الله سبحانه) وفيه (دام بقاءها) وفي « الاحتجاج » (لدام بقاءها) وفي « النهج » (ما خلقه وبراه) وفي « الاحتجاج » (ما براه وخلقها) وفيه (من ضد مشاور) وفي « الاحتجاج » (مساور) وفي « النهج » (سرعة إفنائها) وفي « الاحتجاج » (نزعة إفنائها) فتأمل .

ومما هو جدير بالذكر أن من هذه الخطبة إلى آخر باب الخطب تختلف نسخة ابن أبي الحديد والقطب الكيدري والشيخ ميشم البحراني عن سائر نسخ « نهج البلاغة » في ترتيب الخطب وهذا لا يهم بعد الاتفاق على أن كل واحدة من هذه النسخ تشتمل على ما اشتملت عليه الأخرى ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سلف من هذا الكتاب تحت عنوان (مشكلة الإضافات) وذكرنا أن السبب في ذلك من سهو النساخ ^(١) ، كما أشار إلى ذلك الشيخ كال الدين ميشم البحراني فإنه قال في أول شرحه لخطبة همام . وذكر أنه وافق شراح « النهج » كابن أبي الحديد والكيدري لغلبة الظن باعتمادهم على النسخة الصحيحة ^(٢) أما أنا

(١) انظر الجزء الاول ص ١٩٨ ط ثانية

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » للشيخ ميشم البحراني ج ٣ ص ٤١٣

فقد اعتمدت في الترتيب على نسخة مطبوعة الاستقامة بتعليق الشيخ محمد عبده لكثرة تداولها بين الناس . واتفقت في الأرقام مع العلامة الجليل السيد جواد المصطفوي في (الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة) فإنه أضبط ^(١).

١٨٥ - وَمِنْ خُطْبَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا يَا بَنِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ
مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ
مِنْ إِذْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ ، وَأَسْتِعْمَالِ
صِغَارِكُمْ . ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ
أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ٢ . ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى
أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ٣ . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ
شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ٤ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ
أَضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ ٥ . ذَلِكَ إِذَا
عَضَّكُمْ أَلْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ ٦ . مَا

(١) انظر ق : ٢ من (الكاشف) من ص ٤ الى ص ٦٤

(٢) لفساد المكاسب واختلاطها ، وغلبت الحرام على الحلال .

(٣) لأن المعطي يومئذ إما من مال حرام أو يقصد به الرياء والسمعة
أو لغير ذلك من موانع القبول ، أما المعطى فإنه يأخذ مضطراً فينفقه في وجهه

(٤) النعمة - بفتح النون - غصارة العيش

(٥) الإحراج : التضييق .

(٦) القتب : الأكاف ، والفارب : ما بين العنق والسنام .

أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ .

أَيُّهَا النَّاسُ أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا
الْإِثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ١ ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ
فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ
فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ ٢ . وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا ٣ ، وَخَلُّوا قَصْدَ
السَّبِيلِ لَهَا . فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ
فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ
بِهِ مَنْ وَلَجَهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا
آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا

هذه الخطبة رواها أبو الحسن المدائني في كتاب « صفين » قال : خطب
علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان فذكر طرفاً من الملاحم ، قال :
« إذا كثرت فيكم الأخلاط ، واستولت الأنباط ، ودنا خراب العراق ،
وذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار ، فاذا غلت فيها الأسعار ، وشيد
فيها البنيان ، وحكم فيها الفساق ، واشتد فيها البلاء ، وتفاخر الفوغاء ، دنا

-
- (١) الانتقال : المآثم ، والقاء الازمة كناية عن ترك القبيح
(٢) تصدعو : اي تفرقوا ، وفور نار الفتنة : احتدامها
(٣) اميطوا : تنحوا ، والسنن الطريق .

خسف البیداء ، وطاب الهرب والجلاء ، وستكون قبل الجلاء امور يشيب
منها الصغير ، ويعطب الكبير ، ويخرس الفصيح ، ويبهت اللبيب ، يعاجلون
في السيف صلتاً وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يرحون ، فيالها من
مصيبة حينئذ من البلاء العقيم ، والبكاء الطويل ، والويل والعويل ، وشدة
الصريخ ، ذلك أمر الله وهو كائن وفناء مريح ، فيابن خيرة الآباء متى
تلتظر البشير بنصر قريب ، من رب رحيم ، ألا فويل للمتكبرين ، عند
حصائد الحاصدين ، وقتل الفاسقين ، عصاة ذي العرش العظيم .
ألا بأبي وامى من عدة^(١) ... الخطبة ، مع اختلاف بعض الالفاظ وزيادة
على رواية الرضي .

وفي آخر ما نقل : قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة الى
جانبه : أشهد انه كاذب على الله وعلى رسوله ، قال الكوفي : وما يدريك ؟
قال : فوالله ما نزل عن المنبر حتى فلج الرجل فحمل الى منزله في شق
محمل فمات من ليلته^(٢) .
ونقل الزنجشيري في باب المال والكسب من « ربيع الأبرار » جزءاً من
هذه الخطبة .

(١) الضمير في هم يعود الى خيرة الآباء كما لا يخفى وهم الائمة سلام
الله عليهم وابن خيرة الآباء هو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه .
(٢) شرح النهج للحديدي م ٢ ص ٤٩ ، وقد اشار ابن ابن الحديد
الى هذه الخطبة ايضاً في المجلد الثاني : ص ٢١٤ وأشار الى أن ما نقله
الرضي هنا ملقط من كلام طويل .

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| كتاب وتاريخ | ٥ |
| من خطبة له عليه السلام في تعظيم الله سبحانه وتصفير الدنيا وذكر | |
| مصدرها | ٩ |
| دعاء له عليه السلام عند المسير الى الشام وبيان مصدره | ١١ |
| من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة | ١٣ |
| ابتلاء الجيابة الذين ارادوا بها سوء : زياد ، الحجاج ، خالد القسري | ١٣ |
| من خطبة له عليه السلام عند المسير لحرب اهل الشام وبيان مدركها | ١٥ |
| من خطبه عليه السلام في تمجيد الله تعالى | ١٧ |
| من كلام له عليه السلام كيف تقع الفتن | ١٨ |
| من خطبة له (ع) لما غلب اصحاب معاوية على الماء والكلام على مصدرها | ٢٠ |
| من خطبة له عليه السلام في الدنيا والقول في مصدرها | ٢١ |
| من كلام له عليه السلام في ذكر الاضحية | ٢٣ |
| ومن خطبة له عليه السلام في تراحم الناس عليه عند البيعة | ٢٤ |
| ومن كلام له عليه السلام في استهاتته بالموت | ٢٦ |
| من كلام له عليه السلام في وصف حربهم في عهد النبي (ص) | ٢٨ |
| الكلام في مصادره | ٢٩ |
| من كلام له عليه السلام في انه سيظهر من يأمرهم بسبه والبراءة منه | ٣٠ |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٣١ | بيان مصادره |
| ٣٢ | كلمة للمجلسي في حكم البراءة منه عليه السلام والعياذ بالله |
| ٣٥ | من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج والقول فيه |
| ٣٧ | قوله عليه السلام لا يفلت من الخوارج عشرة... الخ والقول في مصادره |
| ٣٩ | تعليق لابن ابي الحديد على هذا القول |
| ٤٢ | من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة |
| ٤٣ | تصميم ابن ملجم على قتله عليه السلام وشعره في جنازة ابجر |
| ٤٤ | من خطبة له عليه السلام في انه لا يسلم من الدنيا الا فيها |
| ٤٥ | خطبة له عليه السلام في لزوم الاستعداد لما بعد الموت والكلام عليها |
| ٤٨ | من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله ، والقول فيها |
| ٥١ | من كلام له عليه السلام يحرض اصحابه يوم صفين وبيان مصادره |
| ٥٣ | ابان بن عثمان الاحمر (ح) |
| ٥٣ | ابان بن تغلب (ح) |
| ٥٧ | من كلام له عليه السلام في معنى الانصار |
| ٥٨ | وصية رسول الله صلى الله عليه واله بالانصار |
| ٥٨ | قولهم : (منا أمير ومنكم أمير) وبعض ما جرى يوم السقيفة |
| ٦٠ | كلامه لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فقتل |
| ٦٠ | اجمال القصة |
| ٦١ | هاشم المرقال (ح) |
| ٦٣ | من كلام له عليه السلام في التذمر من اصحابه |
| ٦٤ | كلامه عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه |
| ٦٦ | ومن خطبة له عليه السلام في ذم اصحابه |
| | من خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى |
| ٦٨ | الله عليه واله وبيان مصادرها |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٧١ | من كلام له عليه السلام قاله في مروان بالبصرة |
| ٧٦ | من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بقتل عثمان |
| ٧٧ | من خطبة له عليه السلام في الوعظ . والكلام عليها |
| ٧٩ | من كلام له عليه السلام في بني أمية وجسمهم حقه عليه السلام |
| ٨٠ | من كلمات كان عليه السلام يدعو بها |
| ٨١ | من كلام له عليه السلام في التنجيم والقول فيه |
| ٨٥ | توثيق الذهبي لعمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام (ح) |
| ٨٥ | طعن الذهبي في عمر بن سعد بن أبي الصيد لتشييعه (ح) |
| ٨٥ | حديث نبوي في النساء (ح) |
| ٨٦ | من خطبة له عليه السلام في ذم النساء وبيان مصدرها |
| ٨٨ | من كلام له عليه السلام : الزهادة قصر الأمل |
| ٨٩ | من كلام له عليه السلام في صفة الدنيا |
| ٩١ | الخطبة الغراء |
| ١٠٧ | كلمة لجعفر البرمكي في فقرات من الخطبة |
| ١٠٧ | كلمة لابن أبي الحديد حول الخطبة |
| ١١٠ | السبب في هذه الخطبة |
| ١١١ | من كلام له عليه السلام في عمرو بن العاص |
| ١١٢ | طرف من أحوال النابغة أم عمرو بن العاص |
| ١١٤ | كتاب المثالب لابن الكلبي (ح) |
| ١١٥ | كلمة للمؤلف في إضراب أبي لهب من ادعاء عمرو بن العاص (ح) |
| | تعليق لابن أبي الحديد على ما نسبته ابن العاص لعلي عليه السلام |
| ١١٦ | من الدعابة |
| ١١٩ | مصادر كلامه عليه السلام في ابن العاص |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١١٩ | محمّد بن عسران المزرباني (ح) |
| ١٢٠ | ابن عقده (ح) |
| ١٢٠ | الزبير بن بكار (ح) |
| ١٢١ | من خطبة له عليه السلام في الوعظ ، والقول فيها |
| | من خطبة له عليه السلام في الحث على العسل للاخرة ، وذكر نعمة |
| ١٢٣ | الدين ، وذم الرياء والكذب ، والقول في مدرّكها |
| | من خطبة له عليه السلام في صفات من يحبه الله ، وبيان حاله |
| ١٢٧ | عليه السلام مع الناس |
| ١٣٣ | ما نقله ابن ابي الحديد من هذه الخطبة زائداً على ما في النهج |
| ١٣٣ | تعقيب ابن ابي الحديد على الزيادة التي ذكرها |
| ١٣٤ | كان يوسف بن عمر الثقفي مضرب المثل في قصر القامة |
| ١٣٤ | من خطبة له عليه السلام في وصف الامة عند خطبها |
| ١٣٦ | من خطبة له عليه السلام في حال الناس قبل البعثة وبيان مصدرها |
| ١٣٩ | من خطبة له عليه السلام في تعدد شيء من صفات الله سبحانه |
| | والكلام عليها |
| ١٤١ | خطبة الاشباح |
| ١٦٨ | من روى خطبة الاشباح قبل الشريف الرضي |
| ١٦٩ | نهر معقل بالبصرة (ح) |
| ١٧٠ | عبدالله بن سلام (ح) |
| ١٧٠ | امية بن ابي الصلت (ح) |
| ١٧١ | تعليق لابن ابي الحديد على الخطبة الفراء |
| ١٧٢ | ومن خطبة له عليه السلام لما اريد على البيعة ، والكلام عليها |
| ١٧٤ | ومن خطبة له عليه السلام (انا فقأت عين الفتنة) والقول في مصدرها |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١٧٨ | الكلام في مدركها |
| ١٧٨ | كلمة مروان بن محمد في علي عليه السلام (ح) |
| ١٧٩ | لم يقل احد سلوني الا افتضح سوى علي عليه السلام |
| ١٧٩ | نادرة لبعض الوعاظ في ذلك |
| ١٨٢ | من خطبة له عليه السلام في وصف الانبياء عليهم السلام |
| ١٨٥ | مصادر الخطبة |
| ١٨٦ | من خطبة له عليه السلام في حال الناس عند البعثة |
| ١٨٧ | خطبة اخرى في ذكر النبي صلى الله عليه وآله |
| ١٨٨ | خطبة له في أخذ الله للظالم وتوبيخ أصحابه |
| ١٨٩ | تفرقوا أيدي سبأ (ح) |
| ١٩٢ | القول في مصادرها |
| ١٩٢ | من كلام له عليه السلام في بني امية |
| ١٩٤ | من كلام له عليه السلام في وصف الدنيا |
| ١٩٧ | من خطبة له في دليل السنة وفيها ذكر آل البيت (ع) |
| ١٩٨ | أبو أيوب الانصاري (ح) |
| ١٩٩ | من خطبة له عليه السلام تشتمل على بعض الملاحم |
| ٢٠٢ | من كلام له عليه السلام في وصف يوم القيامة ووصف فتنة مقبلة |
| ٢٠٣ | من خطبة له عليه السلام في التهديد ووصف الناس في بعض الازمان |
| ٢٠٦ | نعيم بن حماد (ح) |
| ٢٠٧ | من خطبة له عليه السلام في وصف الناس قبل البعثة وبعدها |
| ٢٠٩ | من خطبة له عليه السلام في نفس الموضوع وذكر اهل البيت (ع) |
| ٢١٣ | من خطبة له في شرف الاسلام ووصف النبي صلى الله عليه وآله |
| | سؤال ابن ابي الحديد لشيخه النقيب عن تبجيل الامام للنبي |
| ٢١٧ | عليهما السلام |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٢١٧ | النقيب بن يحيى بن محمد بن زيد العلوي البصري (ح) |
| ٢١٨ | تدوين كلام علي عليه السلام دون غيره من الصحابة (ح) |
| ٢١٨ | مؤتة (ح) |
| ٢٢٠ | من خطبة له عليه السلام في بعض أيام صيفين |
| ٢٢١ | من خطبة له عليه السلام في الملاحم |
| ٢٢٢ | كلمة للمسيح عليه السلام في انما يأتي الطبيب المريض (ح) |
| | من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله تعالى ووصف ملائكته وفيها |
| ٢٢٧ | ذكر النبي صلى الله عليه وآله |
| ٢٣٦ | استمجد المرخ والعفار (ح) |
| ٢٣٧ | من خطبة له عليه السلام في فرائض الاسلام |
| ٢٣٩ | من خطبة له عليه السلام في وصف الدنيا |
| ٢٤٤ | من خطبة له عليه السلام في ذكر ملك الموت |
| ٢٤٥ | من خطبة له عليه السلام في التحذير من الدنيا |
| ٣٤٨ | من خطبة له عليه السلام في الحض على التقوى |
| ٢٥٢ | من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء |
| ٢٥٧ | من خطبة له عليه السلام بما سيكون من امر الحجاج الثقفي |
| ٢٥٩ | مصادر الخطبة |
| ٢٦٠ | من كلام له عليه السلام في التوبيخ على البخل بالمال والنفس |
| ٢٦١ | كلام له عليه السلام بعد حرب الجمل |
| ٢٦١ | كلام قاله عليه السلام لما كثرت غارات أهل الشام على أطراف اعماله |
| ٢٦٣ | كلام له عليه السلام في وصف نفسه |
| ٢٦٥ | كلامه عليه السلام مع من قال له أمرتنا بالحكومة ثم نهيتنا عنها |
| ٢٦٩ | من كلامه عليه السلام مع الخوارج |
| ٢٧١ | تعليق ابن ابي الحديد على هذا الكلام |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٢٧٢ | من كلام له عليه السلام قاله لاصحابه في ساعة الحرب |
| ٢٧٦ | الخميس اسم للجيش (ح) |
| ٢٧٧ | من كلام له عليه السلام مع الخوارج لما انكروا عليه التحكيم |
| ٢٨١ | من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء |
| ٢٣٨ | من كلام له عليه السلام مع الخوارج |
| ٢٨٥ | من كلام له عليه السلام بالبصرة يومي به الى الملاحم |
| ٢٨٨ | خطبته عليه السلام في المكايل والموازن |
| ٢٩٠ | كلامه عليه السلام مع أبي ذر لما سير الى الريدة |
| ٢٩١ | في وداع أبي ذر |
| ٢٩٣ | خطبة له عليه السلام وعظية وبيان حال الامام |
| ٢٩٥ | مصادر الخطبة |
| ٢٩٦ | خطبة له عليه السلام وعظية |
| ٢٩٨ | مصادرها |
| ٢٩٨ | من خطبة له عليه السلام في وصف القرآن الكريم وحكمة خوف الموت |
| | من كلام له عليه السلام في مشورته على عمر بعدم الخروج بنفسه |
| ٣٠١ | لحرب الروم |
| ٣٠٣ | من كلام له عليه السلام في تقرير المغيرة بن الاخنس والسبب لذلك |
| ٣٠٥ | من كلام له عليه السلام في أن يبعثه لم تكن فلتة |
| ٣٠٧ | كلامه عليه السلام في طلحة والزبير |
| ٣١٠ | من خطبه عليه السلام يومي بها الى الملاحم |
| ٣١٢ | كلام له عليه السلام في وقت الشورى |
| ٣١٣ | من كلامه عليه السلام في النهي عن عيب الناس |
| ٣١٤ | كلامه عليه السلام في ان بين الحق والباطل اربع اصابع |
| ٣١٦ | كلامه عليه السلام في وضع المعروف في غير موضعه |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٣١٧ | من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء |
| | من خطبة له عليه السلام في بعثة الانبياء ووصف اهل البيت وصفة |
| ٣٢٠ | قوم آخرين |
| ٣٢٤ | كلامه عليه السلام في شأن الدنيا مع الناس وفي السنن والبدع |
| ٣٢٤ | مشورته على عمر في حرب الفرس |
| ٣٢٥ | كلمات لبعض الصحابة في ذلك |
| ٣٢٨ | خطبة له في البعثة ووصف المنحرفين من العراق |
| ٣٣٢ | من كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير كل مع صاحبه |
| ٣٣٣ | من كلام له عليه السلام قبل موته |
| ٣٣٥ | من خطبة له عليه السلام في الملاحم |
| ٣٣٧ | وصف فتنة |
| | من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله وخمس خصال لا ينفع معهن |
| ٣٤٤ | عمل |
| ٣٤٨ | في الداعي الى الله وذكر اهل البيت |
| ٣٥٠ | خطبته عليه السلام في وصف الخفافش |
| ٣٥٤ | كلام مع اهل البصرة وفيه ذكر ام المؤمنين عائشة |
| ٣٥٦ | كلامه عليه السلام وقد سئل عن الفتنة |
| ٣٦٣ | حال الناس قبل البعثة وبعدها |
| ٣٦٦ | فيمن يزعم أنه يرجو الله تعالى ولا يعمل |
| ٣٧٣ | من خطبة له عليه السلام وعظية |
| ٣٧٥ | جوابه عليه السلام لرجل اسدي سأل له لم دفعكم قومكم من مقامكم |
| ٣٨١ | من خطبة عليه السلام في تمجيد الله وعظيم قدرته في خلق الانسان |
| ٣٨٥ | كلامه مع عثمان حين كلفه الثائرون عليه بذلك |
| ٣٩٠ | من خطبته عليه السلام في عجب خلق الطاووس |

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| وصية له في ان يتأسى الصغير بالكبير ويعطف الكبير على الصغير | ٤٠١ |
| من خطبة له عليه السلام في اول خلافته | ٤٠٣ |
| كلامه عليه السلام وقد طلب اليه ان يعاقب قتلة عثمان | ٤٠٥ |
| من خطبة له عليه السلام عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة | ٤٠٦ |
| كلامه عليه السلام مع رجل طلب منه ان يبايعه | ٤٠٨ |
| من كلامه عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين | ٤١٠ |
| كلامه عليه السلام في ذكر الشورى والجمل واستعداؤه على قريش | ٤١٢ |
| من خطبة له عليه السلام في وصف من يقاتلهم | ٤١٥ |
| كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيدالله | ٤١٨ |
| خطبة له (ع) في الوعظ وفيها ذكر اخبار النبي (ص) له بما يكون | ٤٢٠ |
| من خطبة له (ع) في الوعظ ، ووصف القران ، وبيان اقسام الظلم | ٤٢٢ |
| من كلام له عليه السلام في معنى الحكمين | ٤٣١ |
| كلامه في ان العبد اذا اخلص في الدعاء يرد الله عليه كل شارد | ٤٣٣ |
| كلامه عليه السلام وقد سأل ذعلب هل رأيت ربك ؟ | ٤٣٥ |
| من خطبة عليه السلام في ذم اصحابه | ٤٣٧ |
| كلام له عليه السلام في قوم هموا باللاحق بالخوارج | ٤٤٠ |
| آخر خطبة عليه السلام خطبها وهو قائم على حجارة | ٤٤٣ |
| خطبة له عليه السلام في الوعظ وفيها ذكر النار | ٤٥٣ |
| كلام له عليه السلام مع البرج بن مسهر الطائي | ٤٦٠ |
| من خطبة له عليه السلام في صفة اصناف من الحيوان | ٤٦١ |
| من خطبة له عليه السلام في التوحيد | ٤٦٦ |
| من خطبة له عليه السلام في وصف آخر الزمان | ٤٧٧ |

ملاحظة : وقعت اخطاء مطبعية طفيفة تركنا اصلاحها للقارئ النبيه

